الرسائل السبعة

في العقائد

١- شرح الفقه الأكبر — لأبي منصور الماتريدي

٢- شرح الفقه الأكبر — لأبي المنتهى أحمد بن محمد المغنيسادي

٣- الجوهرة المنيفة في شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة — لملا حسين بن اسكندر الحنفي

٤- كتاب الإبانة — لأبي الحسن الأشعري البصري

٥- الملحق الأول لكتاب الإبانة — لمحمد عنايت علي حيدر آبادي

٦- الملحق الثاني للإبانة — لمحمد عنايت علي حيدر آبادي

٧- رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري — لأبي القاسم عبد الملك بن درباس

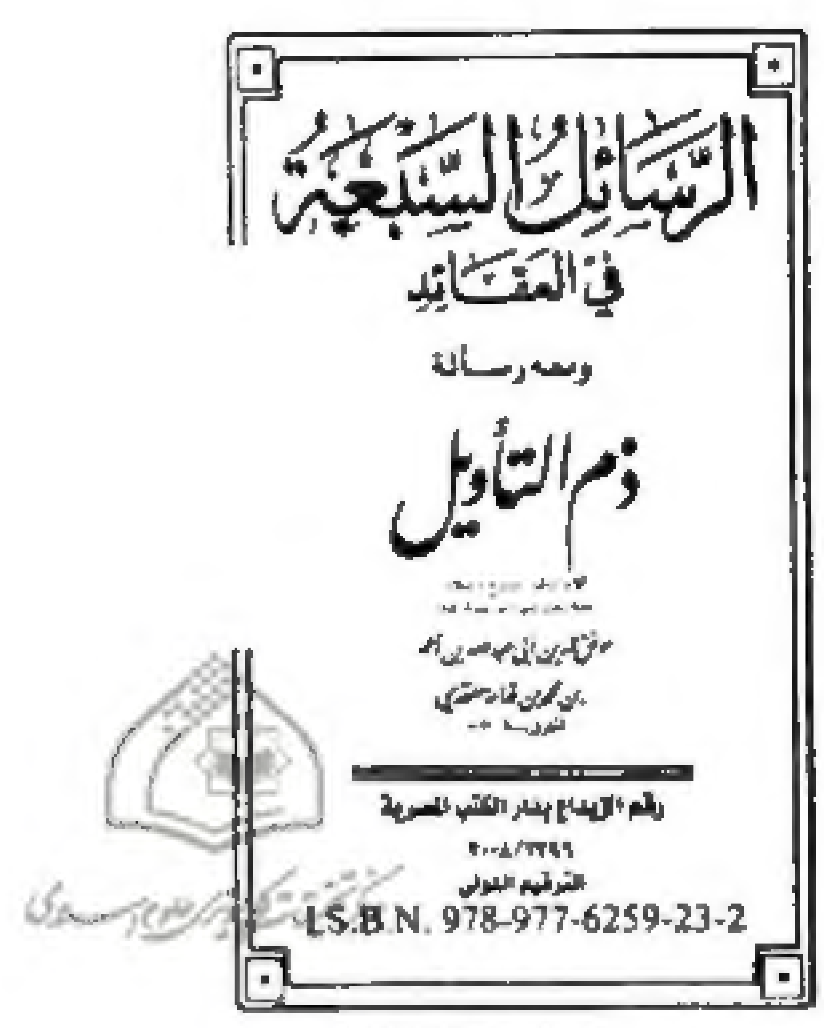
ومعه رسالة

ذم التأويل

للإمام الهمام شيخ الإسلام
العلامة صاحب التصانيف النافعة

موفق الدين أبي عبد الله بن أحمد
بن محمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة ٦٢٠هـ





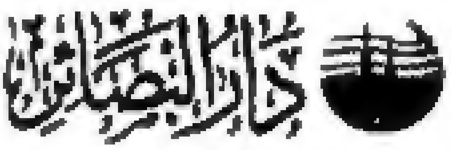
الرسائل السبعة في العقائد

ومعه رسالة

ذم التأويل

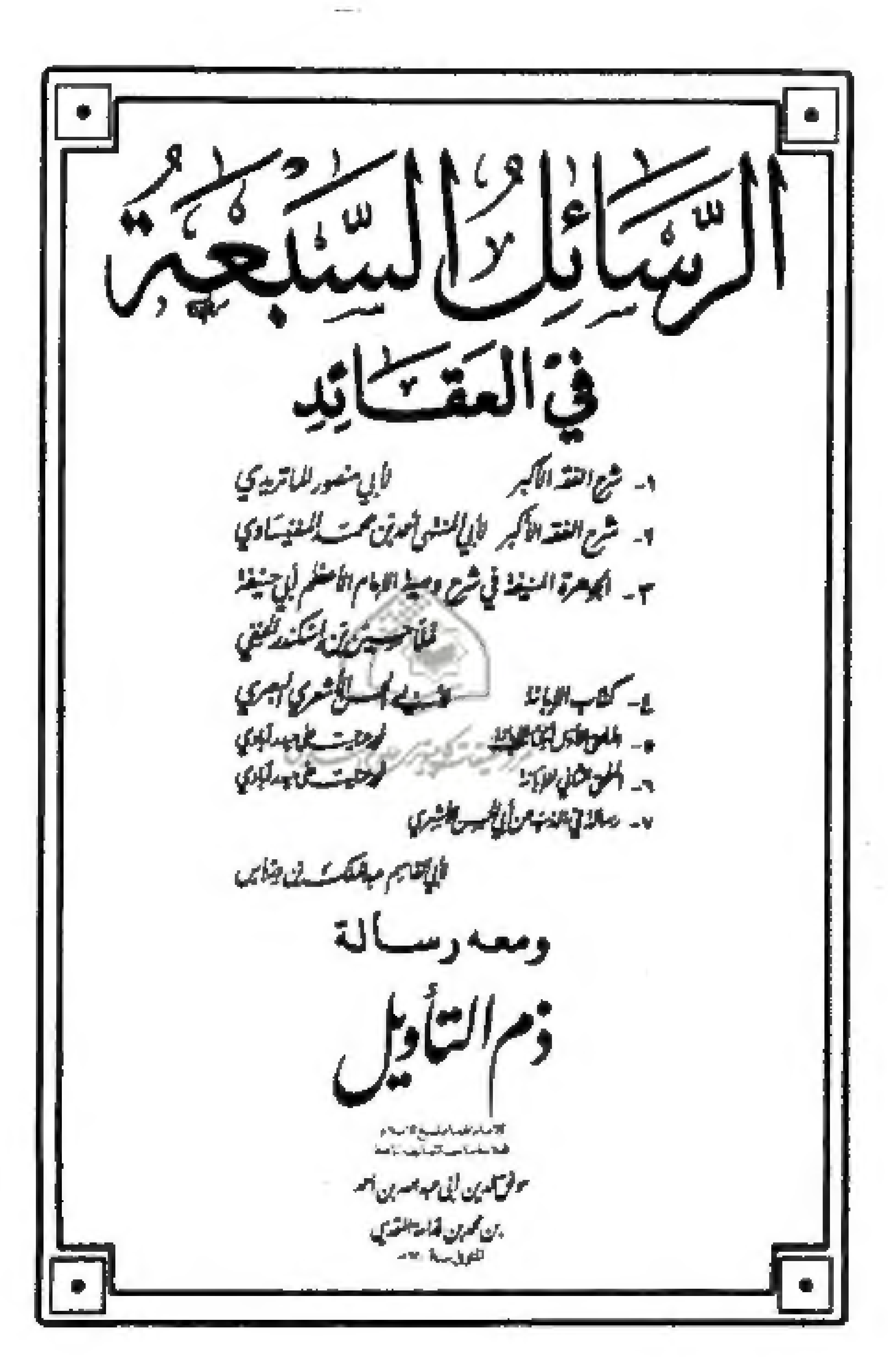
موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد
بن محمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٧٣٩٩/٢٠٠٨
الترقيم الدولي
I.S.B.N. 978-977-6259-23-2



القاهرة - زهراء مدينة نصر.
محمول: ٠١٠٥٠٤٨٩٨٣ - ٠١٦٨٨٣٣٥٢٥
مركز التوزيع/ ٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر.
محمول: ٠١٠٢٤٢٦٣٦٣ - ٠١٦٨٨٣٣٥٢٤

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



الرسائل السبعة في العقائد

١- شرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي

٢- شرح الفقه الأكبر لأبي المنتهى أحمد بن محمد المغنيساوي

٣- الجوهرة المنيفة في شرح وصية الإمام الأعظم أبي حنيفة لملا حسين بن إسكندر الحنفي

٤- كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري البصري

٥- [illegible]

٦- [illegible]

٧- رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم عبد الملك بن درباس

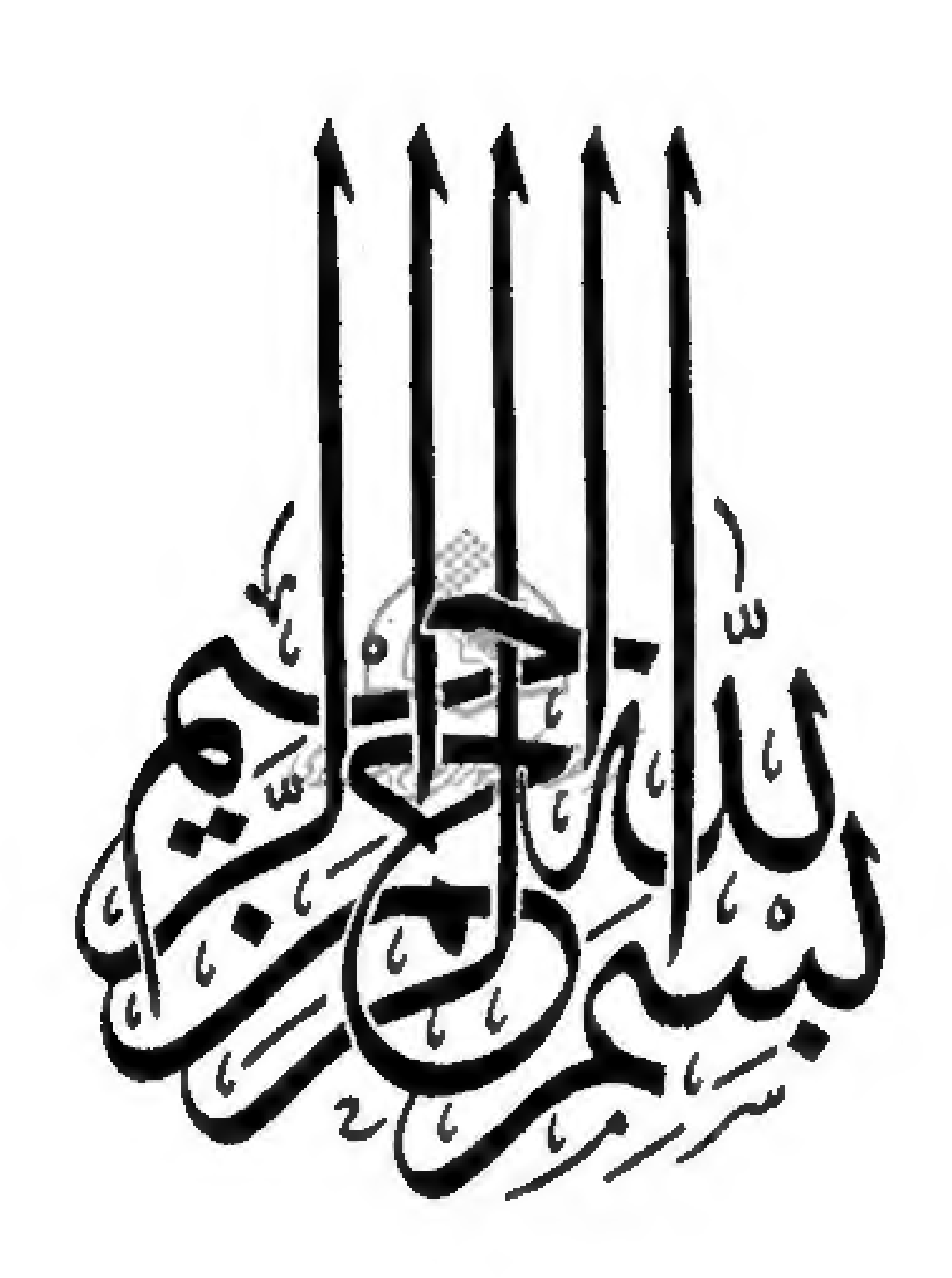
ومعه رسالة

ذم التأويل

[illegible]

موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي

المتوفى سنة ٦٢٠هـ


بسم الله الرحمن الرحیم

كتاب شرح الفقه الأكبر

المتن المنسوب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة خمسين ومائة، والشرح لإمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين علم الهدى رئيس أهل السنة أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي الماتريدي السمرقندي صاحب التصانيف الجليلة المتوفى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، تفقه على أبي بكر أحمد الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد رحمهم الله، جمع فيه بين الكلام والشريعة وأتقن المسائل وأوضحها غاية الإيضاح، تغمده الله بالرحمة والرضوان.

* * *


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال أبو حنيفة ﷺ: الحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، توحيدًا وتمجيدًا وعقيدة وحقيقة وشريعة، والحمد لله مستحق الحمد قبل عباده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما بعد! قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله: قد سألتموني -أكرمكم الله بالتقوى- أن أشرح لكم الفقه الأكبر الذي ينسب إلى أبي حنيفة ﷺ بأسانيد صحيحة، فأجبت إلى ملتمسكم بعون الله وحسن توفيقه إنه هو المعين الموفق، قال أبو حنيفة ﷺ: (لا نكفر أحدًا بذنب ولا ننفي أحدًا من الإيمان) قال الفقيه رحمه الله: هذه مسألة مختلف فيها.

قالت الخوارج: إذا ارتكب الإنسان كبيرة من الكبائر فإنه يكفر ويزول عنه الإيمان، وقالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالت القدرية والمعتزلة: يخرج بها من الإيمان ولا يدخل في الكفر ويكون بين الكفر والإيمان، فإذا تاب إلى الله ورجع عنها فإنه يدخل في حيز الإيمان قبل الموت، وإذا مات قبل أن يتوب منها دخل في حيز الكفر ويخلد في النار، واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[1] أخبر الله تعالى أنه مخلد في النار، والخلود المقطوع إنما هو للكافر، إلا أنا نقول لهم: إنما قلتم واحتججتم بهذه الآية لوفادتكم ومخالفتكم الإجماع، فلو ساعدتكم السعادة لاتبعتم وما ابتدعتم، وما خالفتم الصحابة ومن بعدهم من أهل التفسير: أجمعوا على أن المراد بالآية استحلال القتل، وهكذا قال ابن عباس ﷺ

(١) النساء: ٩٣.

وهو ترجمان القرآن، وعلى هذا إنا لا نسلم أن الخلود يعبر به عن الأبد، وإنما يعبر به عن طول الزمان، وقد اجتمعت على هذا أرباب اللسان وأصحاب البيان لأنه يقال: أخلد فلان في الحبس إذا طال حبسه فيه، وقال الله تعالى خبرًا عن بلعام: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[1] أي مال إليها واطمأن بها.

فإن قيل: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ»[2]، وفي حديث آخر: «بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[3] قلنا: تأويل الخبر كتأويل الآية على ما بيناه، ومن الدليل على أن الإيمان لا يرفع بالكبيرة قول الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾[4] أمر بالتثبت في نبأ الفاسق؛ فلو صار كافرًا لنهى عن قبول شهادته، وحديث ماعز بن مالك أيضًا حجة حين أقر بالزنا بين يدي رسول الله ﷺ؛ فلو صار مرتدًا لأمر بقتله أو استرجعه إلى الإسلام، والمعنى فيه هو أن الإيمان محله القلب، والمعاصي محلها الأعضاء، وهما في محلين مختلفين فلا يتنافيان.

وقوله: إنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، هذه مسألة بيننا وبين المجبرة فيها خلاف؛ لأنها لا ترى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحتجت بقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[5] قلنا: الآية في نفي المضرة وبه نقول: إن

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٣٣٤٨) من طريق محمد بن أبي داود، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك به، وقال: «لم يروه عن أبي جعفر الرازي إلا هاشم بن القاسم، تفرد به محمد بن أبي داود». اهـ وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٦): «رجاله موثقون إلا محمد بن أبي داود فإني لم أجد من ترجمه، وقد ذكر ابن حبان في الثقات: محمد بن أبي داود البغدادي، فلا أدري هو هذا أم لا». اهـ وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ١٤٨): «سئل الدارقطني في العلل عنه فقال: رواه أبو النضر عن أبي جعفر عن الربيع موصولاً، وخالفه علي بن الجعد فرواه عن أبي جعفر عن الربيع مرسلاً، وهو أشبه بالصواب». اهـ

(٣) أخرجه مسلم ح (٨٢)، والترمذي ح (٢٦١٨) من حديث جابر بن عبد الله، واللفظ للترمذي.

(٤) الحجرات: ٦.

(٥) المائدة: ١٠٥.

مضرة المعصية لا تعدو عن العاصي كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(١)] وإنما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد عرف بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[(٢)] وقوله ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»[(٣)]، هذه مسألة بيننا وبين القدرية والمعتزلة فيها خلاف، وهو أنهما ينفيان إرادة الله ومشيته عن فعل العبد إذا كان معصية، فقالوا: إن معصية العاصي وكفر الكافر ليسا بمشيئة الله وإرادته؛ لأنه لو أراد معصية العاصي وكفر الكافر ثم عذب عليهما كان ذلك جورًا منه، وحاشا أن يوصف الله بالجور والظلم، ومن هذا يسموننا أهل الجور، ويسمون أنفسهم: أهل العدل، قلنا: هذا من سخافتكم وخرافتكم وجرأتكم على الله تعالى، وقلة عقلكم وعدم فهمكم؛ حيث غلَّبتم إرادة المخلوق على إرادة الخالق، وحاشا أن تغلب إرادة المخلوق على إرادة الخالق، بل إرادته غالبة ومشيته نافذة، ولا يكون بإرادته معصية العاصي وكفر الكافر جائزًا؛ لأنه بيَّن لهم طريق الهداية والضلالة ويحدث لهم الاستطاعة ساعة فساعة، وليس لهم أن يعرفوا حقيقة الإرادة إذ لو عرفوها لكانوا أمثاله، وحاشا أن يوصف الرب جلت قدرته بالأمثال، ثم المذهب الصحيح -وهو مذهب أهل السنة والجماعة- أن أفعال العباد على نوعين: منها ما هو طاعة ومنها ما هو معصية؛ فالطاعة والمعصية بهذا كله دون رضاه وأمره.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ

---

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٦٩٩)، وابن ماجه ح (٧٧)، وصححه ابن حبان ح (٧٢٧) من حديث زيد بن ثابت.

﴿مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[١]؟ قلنا: معناه ألا يضاف الشر إلى الله عند الانفراد مراعاة للأدب وإن كان حصول ذلك من العبد بتخليق الله إياه، وذلك لأن الإضافة على نوعين: إضافة تحقيق وإضافة تكريم؛ فإضافة التحقيق مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] وإضافة التكريم مثل قوله تعالى: (بيت الله) و﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾؛ فالطاعة والمعصية خارجتان عن إضافة التحقيق لأن ذلك مذهب المجبرة، وبقيت إضافة التكريم؛ فالطاعة مكرمة مرضية جاز أن تضاف إلى الله تعالى عند الانفراد؛ فيقال: الخير من الله، والشر ليس من محل الإكرام عند الانضياف إلى الله عند الانفراد، ولكنه يضاف إلى الله عند الجملة كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣].

فإن أشكل هذا عليك في الأفعال فاعتبره بالأعيان أنه لا يقال: يا خالق الخنازير والحيات والعقارب مراعاة للأدب ولكنه يقال: خالق كل شيء.

قوله: (ولا نبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ) هذا بيننا وبين الرافضة فيه خلاف، إنهم يبرءون عن الصحابة ﷺ إلا عن علي ﷺ، فيرد عليهم بقوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[٤]، والأخبار في فضائل

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) الحديد: ١٠.

(٣) النساء: ٧٨.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩١)، وابن حزم في الإحكام (٦/ ٨٢) من طريق سلام بن سليم عن الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعًا به. وقال ابن عبد البر: «هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول». اهـ وقال ابن حزم: «هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شك». اهـ
وقد روي من حديث جماعة من الصحابة غير جابر، وأسانيده كلها واهية، لا يصح منها شيء، تنظر في التلخيص الحبير (٤/ ١٩١).

الصحابة كثيرة يطول ذكرها هاهنا

قوله: (ولا نتولى أحدًا دون أحد) هذا بيننا وبين الشيعة، أنها توالت عليًا فحسب، وهذا قريب من مذهب الرافضة أيضًا، وقد بين فساده

قوله: (أن نرد أمر عثمان وعلي إلى الله وهو عالم السر والخفيات) ولم يُرد بهذا الشك في أمرهما ولكنه أخذ أسلم الطرق، وإن أسلمها أن نكف ألسنتنا عنهم كما كف الله سيوفنا عن تلك الفتنة.

قال أبو حنيفة ﷺ: (الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم) لأن الفقه في الدين أصل والفقه في العلم فرع، وفضل الأصل على الفرع معلوم، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [1] ولا شك أن العبد أولا يلزمه الإسلام لقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [2] أي ليوحدون، ثم العلم يبنى على الدين فصار الدين هو التوحيد والعلم هو الديانة يعني الشرائع، وهو بعد التوحيد، ثم الدين عقد على الصواب والديانة سيرة عن الصواب

قال أبو مطيع رحمه الله: قلت لأبي حنيفة ﷺ: أخبرني عن أفضل الفقه- يعني عن أفضل الفقه بعد الفقه- فأجاب أبو حنيفة ﷺ قال: (يتعلم الرجل الإيمان) أي أحكام الإيمان والثبات عليه يعني بعلم الحال العلم الذي هو عليه من الشريعة، وهو أن يعرف العبد نفسه على أي حال هو فيكون مستعدًا لإتيان ملك الموت عليه، وعن هذا قال ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

*

قال البزار كما في جامع بيان العلم (٢/ ٩٠): «هذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه». اهـ وقال ابن حزم في الأحكام (٥/ ٦٤): «هذا الحديث باطل مكذوب من توليد أهل الفسق» اهـ

(١) آل عمران: ١٩

(٢) الذاريات: ٥٦

وَمُسْلِمَةٍ»[1] أراد به الحال والحالة التي يكون فيها عاملًا أي عاملًا عالمًا، وفقيهًا طالبًا فيعرف نفسه، وقال ﷺ أيضًا «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»[2]، والشرائع والسنن أراد بها الحلال والحرام.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٢٢٤) من حديث أنس، وليس عنده «ومسلمة» وطرقه عن أنس كلها معلولة واهية، وفي الباب عن جماعة من الصحابة.
قال الإمام أحمد كما في العلل المتناهية (١/ ٧٥) «لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء». اهـ. وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/ ٧) «هذا حديث يروى عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، كلها معلولة، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد» اهـ. وقال البزار في مسنده (١/ ١٧٢) «روي عن أنس من غير وجه، وكل ما يروى فيها عن أنس غير صحيح» اهـ. وقال البيهقي في الشعب (٢/ ٢٥٣). «هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلها ضعيفة» اهـ. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٧٢) بعد ما خرجه عن جماعة من الصحابة «هذه الأحاديث كلها لا تثبت». اهـ. ومثل به الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ١٥)، وابن الصلاح في معرفة أنواع علم الحديث (ص ٣٠٧) للمشهور الذي ليس بصحيح. وقد صحح بعض الأئمة بعض طرقه كما قال العراقي، وقال المزي: إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن. ينظر المقاصد الحسنة للسخاوي (ص ٤٤٠-٤٤٢).
تنبيه: قال السخاوي: قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث «ومسلمة»، وليس لها ذكر في شيء من طرقه، وإن كان معناها صحيحًا.
(٢) قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٩). «بعض الناس يروي هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد، ولكن يروى في بعض الكتب المتقدمة - إن صح -: يا إنسان اعرف نفسك تعرف ربك، وهذا الكلام سواء كان معناه صحيحًا أو فاسدًا، لا يمكن الاحتجاج بلفظه، فإنه لم يثبت عن قائل معصوم، لكن إن فسر بمعنى صحيح عرف صحة ذلك المعنى، سواء دل عليه هذا اللفظ أو لم يدل». اهـ.
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٦٥٧). «قال أبو المظفر ابن السمعاني في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع أنه لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله، وكذا قال النووي: إنه ليس بثابت» اهـ. وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٩): «بعض الناس يروي هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد، ولكن يروى في بعض الكتب المتقدمة - إن صح -: يا إنسان اعرف نفسك تعرف ربك، وهذا الكلام سواء كان معناه صحيحًا أو فاسدًا لا يمكن الاحتجاج بلفظه، فإنه لم يثبت عن قائل معصوم، لكن إن فسر بمعنى صحيح عرف صحة ذلك المعنى، سواء دل عليه هذا اللفظ أو لم يدل». اهـ.

قوله: (والحدود) أراد به علم الاجتناب عن المعاصي والائتمار بالأوامر، قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[1]

قوله: (واختلاف الأمة رحمة) أراد به علم النظر بدقائق المعاني قياسًا واستحسانًا واستنباطًا لا اختراعًا من جهة هوى النفس، وهذا لأن الأشياء تعرف بأضدادها، فمن لم يعرف الكفر لا يعرف الإيمان، ومن لا يعرف البدعة والضلالة لا يعرف الاهتداء والاستقامة

فصل

ثم اختلفوا في الإيمان والإسلام، قال بعضهم: هما واحد لقوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]، وقال بعضهم: هما متغايران لقوله تعالى ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا﴾[3]؛ فقد علم تغاير بين الإسلام والإيمان، إلا أن الأصح ما قال أبو منصور الماتريدي أن (الإسلام) معرفة الله تعالى بلا كيف وعمله الصدور مصادقة لقوله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[4]، و(الإيمان) معرفة الله تعالى بالألوهية، وعمله القلب لقوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[5] والقلب داخل الصدر؛ (والمعرفة) معرفة الله بصفاته وعملها الفؤاد وهو داخل القلب؛ (والتوحيد) معرفة الله تعالى بالوحدانية، وعمله السر وهو داخل الفؤاد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ﴾ الآية[6]، جعل الله الصدر بمنزلة

---

(١) الطلاق: ١.
(٢) آل عمران: ٨٥.
(٣) الحجرات: ١٤
(٤) الزمر: ٢٢
(٥) الحجرات: ٧
(٦) النور: ٣٥

المشكاة، والقلب بمنزلة الزجاجة، والفؤاد بمنزلة المصباح، والسر بمنزلة الشجرة، وداخل السر موضع يقال له: خفي، وهو موضع نور الهداية، ولا صنع للعبد فيه سوى أن الله تعالى إذا أراد أن يهدي عبده الضال يلقي نوره في الخفي فيتلألأ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(١) ثم يتلألأ ذلك النور إلى السر فيقوم للعبد فعل التوحيد فيوحد الله ويبرأ عن الأصنام، ثم لا يسكن ذلك النور بل يتلألأ إلى الفؤاد فيقوم للعبد فعل المعرفة لله تعالى فيصير عارفًا لله تعالى بجميع صفاته، ثم يتلألأ ذلك النور إلى القلب فيقوم للعبد فعل الإيمان، ثم يتلألأ إلى الصدر فيقوم له فعل الإسلام، ثم ينتشر ذلك النور في جميع الأعضاء فيتقاضى العبد بالاجتناب عن المعاصي والائتمار بالأوامر، وبإجابة العبد إلى ذلك صار مؤمنًا تقيًا حتى دخل تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٢) وقيل للنبي ﷺ: من آلك؟ قال: «كُلُّ مُؤْمِنٍ»(٣)، فإن لم يجبه إلى ذلك زال عنه التقوى واتسم بسمة الفسق بارتكابه المعاصي، فيخاف عليه لفسقه ويرجى له بمحض إيمانه.

فإذًا صار هاهنا عقود أربعة: التوحيد والمعرفة والإيمان والإسلام، ليست هي بواحدة ولا متغايرة، فإذا اجتمعت صارت دينًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٤) إلى آخر المروي عن النبي ﷺ وهو ما روي عن

---

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية من حديث أنس، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ». اهـ. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٠) بعدما ذكره من حديث أنس: «وفي الدلائل من حديث ابن الشخير ومن حديث شريك، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور، عن علي ﷺ قال: قلت: يا رسول الله من آل محمد؟ قال: كل تقي. وأسانيدها ضعيفة، ولكن شواهده كثيرة، منها في الصحيحين قوله: إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين» اهـ.

(٤) آل عمران: ١٩.

ابن عمر ﷺ قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ في مسجد المدينة إذ دخل أعرابي حسن الوجه حسن الهيئة أبيض الثياب، ووقف على طرف المسجد وسلم على النبي ﷺ؛ فرد جوابه ثم استأذن وقال: أدنو؟ فقال له النبي: «أُدنُ!» فدنا، ثم وقف واستأذن كالموقر ودنا إلى أن جثا بين يدي النبي، وقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ فقال النبي: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ الله»، قال: صدقت، فعجبنا منه يسأله ويصدقه، ثم قال: يا رسول الله: فما الإسلام؟ فقال ﷺ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وإِقَامُ الصَّلَاةِ وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وصَوْمُ رَمَضَانَ وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله: ما الإحسان؟ فقال ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فقال: صدقت»[1] وهذا الحديث معروف، وأبو منصور رحمه الله إنما ذكر الحقيقة قال: فمن استيقن هذا وأقر به فهو مؤمن لأنه عقد على الصواب على ما بيناه، وإنما قال: إن استيقن هذا وأقر به لأن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان؛ فإذا صدقه بقلبه وأقر به بلسانه فإنه مؤمن، وإذا صدقه بقلبه ولم يقر بلسانه وهو في الإمكان من الإقرار فإنه لا يصير مؤمنًا كما لو أقر بلسانه ولم يصدق بجنانه، قال: فإن أنكر لشيء من خلقه فقال: لا أدري من خلق هذا فهو كافر؛ لأن الله تعالى خلق كل شيء، وكذلك إذا قال: لا أعلم أن الله تعالى فرض عليَّ صلاة ولا صومًا ولا زكاة فقد كفر؛ لأن الفرض منصوص عليه، وهو قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2] وإذا قال: أؤمن بهذه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٥٢) من حديث بن عمر به، وقال الترمذي في الجامع (٥/ ٦) «والصحيح هو ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ» اهـ. وحديث ابن عمر عن عمر أخرجه مسلم ح (٨). والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٢) النساء: ٧٧.

الآية ولا أعلم تأويلها وتفسيرها فإنه لا يكفر؛ لأنه مصدق بالتنزيل وإن كان مخطئًا في التأويل، قال: فإن أقر مجملة الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئًا من الفرائض ولا شرائع الإيمان ولا الكتاب ولا يقر بشيء منها فإنه مؤمن، وإن كان لا يعلم شيئًا ولم يعمل به.

قال الفقيه رحمه الله: هذا يفيد فائدتين

(أحدهما) أن الإيمان بالتقليد صحيح وإن لم يستند إلى الاستدلال، خلافًا للمعتزلة والأشعرية أنهما لا يصححان الإيمان بالتقليد ويقولان بكفر العامة، وهذا قبيح لأنه يؤدي إلى تفويت حكمة الله تعالى في الرسالة والنبوة؛ لأن من أعطي الرسالة والنبوة أمر أولًا بعرض الإسلام على الكفرة، فلو كان الإسلام لا يصح بالعرض والتقليد لفاتت الحكمة في الرسالة، إلا أن درجة الاستدلال أعلى من درجة التقليد ألف مرة؛ فكل من كان في الاستدلال والاستنباط أكثر كان إيمانه أنور، وهذا كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ -من جهة النور والضياء- مَعَ إِيمَانِ جَمِيعِ الخَلَائِقِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ»[1] من جهة النور والضياء لا من جهة الزيادة والنقصان

(الفائدة الثانية) أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان والعمل بالشرائع

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٠١) في ترجمة عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد، وقال عن عبد الله: «يحدث عن أبيه عن نافع عن ابن عمر بأحاديث لا يتابعه أحد عليه»، وأخرجه أيضًا بنحوه (٥/ ٢٥٩) في ترجمة عيسى بن عبد الله القرشي، وقال عن عيسى: «ضعيف يسرق الحديث». وقال أيضًا: «الضعف على حديثه بين». وله شاهد عن أبي بكر مرفوعًا: أن رجلاً قال: يا رسول الله رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، أخرجه أبو داود ح (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقد صح الحديث موقوفًا على عمر عند البيهقي في الشعب (٣٦). ينظر المقاصد الحسنة (ص ٥٥٥).

لا من الإيمان.

قالت الشكاكية: العمل من الإيمان، وعن هذا قالت بزيادة الإيمان ونقصانه، واحتجت بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾[1]، إلا أنا نقول: معنى الإيمان هاهنا هو التصديق إيمانًا أي تصديقًا؛ إذ الإيمان بجميع القرآن واجب، والقرآن كان ينزل على النبي ﷺ آية فآية وسورة فسورة؛ فكلما نزلت آية وجب التصديق بها؛ فمن لم يصدق بآية من القرآن فقد كفر كما لو لم يصدق بجميع القرآن؛ فهذا تأويل الآية على ما ب،، وقد ثبت العمل بخلقه فلم يعذبه على خلق نفسه؟

قلنا: الثواب والعقاب على استعمال العمل المخلوق لا على أصل الخلق، ولهذا قال أبو حنيفة: إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية هي بعينها تصلح لعمل الطاعة، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه وأمره بأن يستعملها في الطاعة لا في المعصية صرفها إلى المعصية لا على إحداث الاستطاعة، ولهذا قلنا: الاستطاعة مع العمل لا قبله ولا بعده؛ لأن كل جزء من الاستطاعة مقرون بكل جزء من العمل.

وقالت القدرية: الاستطاعة قبل العمل وهي موجودة في العبد استعملها كيف شاء، قلنا: هذا يوجب استغناء العبد عن الله حيث يختار لنفسه ما شاء، والاستغناء عن الله كفر.

فإن قيل: نحن لا ننفي المشيئة ولكنا نقول المشيئة على نوعين: مشيئة جبر ومشيئة تفويض، فمشيئة الجبر كخلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما، ومشيئة التفويض مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن

---

(١) التوبة: ١٢٤.

﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ مشيئة جبر أي لو شاء الله يجبركم على الإسلام، وقوله: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾، مشيئة تفويض، وهذا اعتقاد العدلية. قلنا: العجب من تزهدكم وعبادتكم حيث قسمتم مشيئة الله تعالى قسمين كأنكم شركاء الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ثم نريكم قبح هذه المقابلة أن الرجل إذا خيَّر إنسانًا بين أمرين وفوض العمل بين الطريقين يعني بين الخير والشر فإن اختار الشر كان معذورًا، وإذا جعلتم العباد معذورين في ارتكاب المعاصي وإن اختار الخير يكون له منة على المفوض والمخير، وإذًا جعلتم للعباد منة على الله تعالى مثله لو خير الرجل امرأته[2] فافهم إن شاء الله تعالى، ثم المذهب الصحيح وهو مذهب أهل السنة والجماعة أن للعبد فعلًا حقيقة لا مجازًا.

وقالت المجبرة: لا فعل للعبد وله فعل على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة، ونرد عليهم فنقول: إن قولكم هذا يؤدي إلى إسقاط الرجاء والخوف عن العبد فلا يخاف من سوء فعله ولا يرجو على خير فعله وهذا كفر، لأن في زوال الرجاء قنوطًا قال الله تعالى: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[3] وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[4] وفي زوال الخوف إسقاط العبودية وتعريت الربوبية وهذا أشد من الأول، وقد ضل الفريقان، القدرية بإضافة صفة الله تعالى إلى العبد وهي خلق الأفعال، والمجبرة بإضافة أفعاله القبيحة إلى الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) النحل: ٩٣.
(٢) كذا والظاهر أن هنا سقط.
(٣) الزمر: ٥٣.
(٤) يوسف: ٨٧.

وتوسط أبو حنيفة وأصحابه ﷺ فقالوا: الخلق فعل الله وهو إحداث الاستطاعة في العبد، واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازًا على ما بيناه، فسلموا من القدر والجبر، واختلاف آخر بينا وبين الأشعرية أنها تقول: إن الاستطاعة التي تصلح للشر لا تصلح للخير، وهذا قريب من الجبر بل عين الجبر؛ لأن استطاعة الشر إذا كانت لا تصلح للخير صار مجبورًا في فعل الشر، ومن هذا جوز الأشعرية تكليف ما لا يطاق، ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1].

فإن قيل: قال الله تعالى خبرًا عن المصطفى ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ فلو كان الأمر فوق الطاقة لكان هذا السؤال من المصطفى ﷺ كفرًا كما قال: «لا تظلمنا ولا تجر علينا»، قلنا: سؤال النبي ﷺ كان على سبيل التخفيف لا على سبيل نفي الطاقة أصلًا دليله سياق الآية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ألا ترى أنك إذا رأيت دابة قد حملت حملًا ثقيلًا قلت هذه الدابة حملت فوق طاقتها، قلت: إن تعلقهم بهذه الآية من الوخامة وقلة الفهم، وذكر في كتاب الأسئلة وجوابها وكل ذلك يرجع إلى ما بيناه، ثم ذكر بعض هذا الخبر وجوابها معروفان به[2] ولكن المراد من الخبر أن الشقاوة المكتوبة في اللوح المحفوظ تتبدل سعادة بأفعال السعداء، والسعادة المكتوبة فيه تتبدل شقاوة بأفعال الأشقياء.

وقالت الأشعرية: لا تتبدل عن ذلك، وعن هذا قالوا: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا مؤمنين في حال سجودهما للصنم، وسحرة فرعون كانوا مؤمنين في

---

(١) البقرة: ٢٨٦
(٢) ما مر ذكر الخبر، ولعل في عبارة الأصل نقصًا.

حال خلفهم بعزة فرعون وإقرارهم بألوهيته.

قلنا: هذا مردود عليكم بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1] أثبت الغفران لما سبق قبل الإسلام، فلو كان الكافر مؤمنًا قبل الإيمان لفاتت فائدة الغفران وتعطل كلام الرحمن، وهذا من أقبح القبائح، وقال ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله»[2] ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[3] يعني يمحو المعاصي عند التوبة ويثبت التوبة، وهذا قد اجتمعت عليه المفسرون.

فإن قيل: القول بالتبديل يؤدي إلى تجوير البداء على الله تعالى، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

قلنا: هذا من قلة فهمكم وسخافة عقلكم؛ أحسبتم أن المكتوب في اللوح المحفوظ صفة الله تعالى بل هي صفة العبد بسعادة وشقاوة، والعبد يجوز عليه التغيير من حال إلى حال فلذلك صفته متغيرة، وأما قضاء الله وقدره فلا يتغير ولا يتبدل، والقضاء صفة القاضي، والمقضي المكتوب في اللوح المحفوظ، والقضاء صفة الرب غير محدثة والمقضي محدث، والحكم غير محدث والمحكوم به غير محدث، والمقدور محدث، وتغير المقضي عليه لا يوجب تغير القضاء؛ إذ الناس على أربع فرق: (فريق) منهم قضي عليه بالسعادة ابتداء وانتهاء مثل علي وولديه الحسن والحسين ﷺ (وفريق) قضي عليه بالشقاوة ابتداء وانتهاء مثل أبي جهل وأصحابه (وفريق) منهم قضي عليه بالسعادة انتهاء مثل أبي بكر وعمر

---

(١) الأنفال: ٣٨.
(٢) أخرجه مسلم ح (١٢١)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٠٤، ٢٠٥) من حديث عمرو بن العاص، ولفظ مسلم: «الإسلام يهدم».
(٣) الرعد: ٣٩.

وسحرة فرعون، فبعد قضاؤه على ما كان في الأزل جرى؛ فالتغير للمقضي عليه لا للقضاء- والله الموفق.

وقوله: فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك أناس فخرج على الجماعة هل ترى ذلك؟ قال إسماعيل في ذلك: لا، فهذا يفيد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ارتفعا في هذا الزمان لأنه ذكر بعده، فقال: إن ما يفسد من استحلال المحارم وانتهاب الأموال أكثر مما يصلح، وعن هذا قلنا: إن السلطان إذا كان جائرًا فإنه لا يجوز أن يخرج عليه بالسيف لما فيه من الفساد من سفك الدماء وانتهاب الأموال.

قال أبو حنيفة ﷺ: (لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل لكم أجركم وعليه وزره) قال: هذا القول يفيد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الزمان مرتفع؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الزمان ليس إلا على هذا الوجه لا على وجه الخشية لله تعالى.

ثم ذكر بعد هذا أحكام الخوارج ولا نحتاج إليها.

وقوله فيمن قال: لا أعرف الكافر كافرًا فهو مثله؛ لأن الأشياء تعرف بأضدادها، فلما لم يعرف الكفر لم يعرف الإيمان، وكذلك لو قال: لا أدري أين يصير الكافر فإنه يكفر؛ لأن الله تعالى أعلمت أن مصيره إلى النار، ثم بعد هذه المسألة الاستثناء في الإيمان وهي بيننا وبين الشكاكية فترد عليهم بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] وما استثنى وقال خبرًا عن السحرة ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] من غير استثناء، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) البقرة: ١٣١
(٢) الأعراف: ١٢١

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1] وقال ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾[2] وقال: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية، وهم المنافقون فصاروا على ثلاثة أصناف، ولم يذكر الصنف الرابع لأن الإيمان عقد -على ما بينا- فالاستثناء يبطله كسائر العقود.

فإن قيل: روي عن النبي ﷺ أنه مر بمقبرة فسلم عليهم وقال: «إنا لاحقون بكم إن شاء الله»[3] فاستثنى في الموت ألا ترى أن الموت مشكوك فيه؟ فكذلك نحن لا نشك في إيماننا ولكن يجوز الاستثناء فيه.

قلنا: سكوتكم كان خيرًا لكم من تعلقكم بهذا الخبر؛ لأن النبي ﷺ لم يشك في الموت وإنما استثنى في اللحوق، واللحوق مشكوك فيه؛ إذ الفريق فريقان فريق في الجنة وفريق في النار، فكل ما كان مشكوكًا فيه يجب الاستثناء عليه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]، وكل ما كان متحققًا لا يجوز الاستثناء فيه كقوله: هذا رجل وهذه امرأة إن شاء الله، ولا من جوز الاستثناء في الإيمان جوز الاستثناء في الكفر، وقد ذكرنا أن الاستثناء في الكفر كفر مثله.

فإن قيل: إنما الاستثناء للخاتمة لا ندري أن نموت على الإيمان أم لا.

قلنا: هذا الاستثناء في الثبات على الإيمان وذلك مشكوك فيه، والاستثناء فيه واجب عندنا أيضًا، وكلامنا إنما وقع في الاستثناء للإيمان؛ فإذا بطل الاستثناء فيه في حال بطل في جميع الأحوال، والذي روي عن عبدالله بن مسعود ﷺ من جواز

---

(١) الأنفال: ٤.
(٢) النساء: ١٥١.
(٣) أخرجه مسلم ح (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، ح (٩٧٤) من حديث عائشة.
(٤) الكهف: ٢٣-٢٤.

الاستثناء فهو محمول في الثبات على الإيمان وكان ذلك زلة منه فرجع عنها، وقوله. فمن قال أنا من أهل الجنة فقد كذب؛ لأنه إذا قال: أنا من أهل الجنة فقد أسقط الخوف عن نفسه، وإذا قال. أنا من أهل النار فقد أسقط الرجاء عن نفسه، وكلاهما لا يجوز كما بينا.

ثم اعلم بأنه يجوز أن يقال في الجملة. إن المؤمنين في الجنة بلا شك؛ لأن في جملة المؤمنين الأنبياء والرسل والأولياء، ويجوز أن يقال. إن الكافرين في النار من غير شك، فإذا شك فيه فقد كفر لأنه أنكر النص، وأما إذا أشرت إلى واحد بعينه فإن كان المشار إليه من الأنبياء والرسل أو ممن شهدت له الرسل والأنبياء بالجنة وهم أصحاب النبي ﷺ وهم عشرة مبشرة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية[1] إنه يجوز لك أن تقول: هذا في الجنة، من غير شك، فإذا شككت فيه فقد كفرت وكذبت على الله تعالى، وإن كان ذلك المشار إليه من غير الأنبياء أو ممن لم يشهد له الأنبياء بالجنة فلا يجوز لك أن تقول. هذا في الجنة، إلا بالشرط، وهو أن تقول. إن كان هذا على الإيمان فهو في الجنة، وكذلك إن كان المشار إليه ممن نطق الكتاب أنه من أهل النار جاز لك أن تقطع القول بأنه في النار وإلا فالشرط.

قال أبو حنيفة ﷺ. (من آمن بجميع ما يؤمر به إلا أنه قال: لا أعرف موسى وعيسى عليهما السلام أمن المرسلين أم من غير المرسلين فإنه يكفر) لأنه أنكر النص.

قال أبو حنيفة: (من قال: لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر) لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] فإن قال. أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في

---

(١) الفتح ١٨.
(٢) طه: ٥.

السماء أم في الأرض فقد كفر أيضًا، وهذا يرجع إلى المعنى الأول في الحقيقة؛ لأنه إذا قال: لا أدري أن العرش في السماء أم في الأرض فكأنه قال: لا أدري أن الله تعالى في السماء أم في الأرض.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: اجتمعوا في هذه المسألة، قالت الكرامية والمشبهة: بأن الله على العرش علوًا مكانيًّا ممكنًا وأن العرش له مستقر، ويصفونه بالنزول والمجيء والذهاب ويقولون: هو جسم لا كالأجسام- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ إلا أنا نرد عليهم فنقول: إن العرش لم يكن فكان بتكوينه؛ فلا يخلو إما أن يكون كونه لإظهار عظمته وجبروته على خلقه وإما لاحتياجه إلى القعود عليه، ولا يجوز أن يقال: «لاحتياجه إلى القعود عليه» لأن المحتاج لا يكون خالقًا لأنه محتاج مقهور لحاجة، والمقهور لا يكون أمينًا فكيف يكون إلهًا؟ فإذا بطل هذا الوجه صح الوجه الأول وهو كونه لإظهار عظمته وجبروته على خلقه ولا حاجة له إليه، ثم معنى الاستواء استواء المملكة؛ لأن كل شيء مقهور العرش والعرش مقدور الرب، وهذا كما يقال: فلان استوى على سريره ومد عليه رجليه، يعنون بذلك استواء أمور الولاية له وانقطاع المنازعة في الإمارة عنه، وتأويل آخر: وهو معنى الاستواء خلقه على عرشه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[(١)] أي استوى فعل التخليق على عرشه، فقد مررنا على المشبهة فلم يبق لهم شبهة في الاستواء، ونرد عليهم في قولهم: «الجسم لا كالأجسام» فنقول: إن الجسم من عرض وجوهر، والله تعالى خالق الأعراض والجوهر فلا يوصف بهما.

---

(١) الأعراف ٥٤

فإن قيل: أليس يقال له: شيء لا كالأشياء؟ فكذلك يقال: جسم لا كالأجسام.

قلنا: الشيئية عبارة عن الوجود في معنى الوجود، ود؛ لا يجوز وليس الجسم بمثابته، ألا ترى أنه لا يقال: الكلام جسم، ويقال له: شيء، لأنه عبارة عن وجوده، وعن هذا قلنا: إنه لا يجوز للمعدوم أن يقال له: شيئًا خلافًا للمعتزلة.

فإن قيل: أيش تقولون في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]؟

قلنا: اليد صفة وصف بها نفسه ونؤمن بها وبجميع أوصافه، وعلى أن تأويل اليد صفة وغيرها من الوجه والعين والقدم وهو القدرة والقوة؛ لأن زوال هذه الأشياء في الخاصة توجب الضعف وزوال القوة، والله تعالى قوي بدون الجوارح، والمعطلة تنكر أن تكون اليد والعين والوجه صفة الله تعالى فلا حاجة لإنكارها؛ لأن في ذلك تعطيل كلامه وتفويت صفاته مع أن له تأويلًا صحيحًا، والمشبهة طائفة وصفت الله ﷻ باليد والقدم، والخارجية خالفت كلا الفريقين.

وقالت القدرية والمعتزلة: إن الله تعالى في كل مكان، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾[2] أخبر أنه في السماء وفي الأرض، إلا أنا نقول: لا حجة لكم في الآية لأن المراد من الآية لو كان ما قلتم لكان وهو الذي كلٌّ فيه، فلما وصف بالشيئية دل على أن المراد به نفوذ الإلهية في السماء وفي الأرض، وبه نقول، وقول المعتزلة والقدرية في هذا أقبح من قول المشبهة لأن قولهم يؤدي إلى أن الله تعالى في أجواف السباع والهوام والحشرات- تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وأما مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى على العرش علو عظمة وربوبية لا علو ارتفاع مكان ومسافة

---

(١) ص: ٧٥.

(٢) الزخرف: ٨٤.

قال أبو حنيفة ﷺ: (ونذكره من أعلى لا من أسفل) لأن الأسفل ليس من الربوبية والألوهية في شيء، وروي في الحديث أن رجلاً أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: وجب علي عتق رقبة مؤمنة أفيجزئ أن أعتق هذه؟ فقال لها النبي ﷺ: «أمؤمنة أنت؟» قالت: نعم، فقال: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء، فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(١)!

والمعتزلة تنكر هذا الخبر وترده، وذكر في الكتاب حديث معاذ بن جبل ﷺ أن شاباً سأله فقال: ما تقول فيمن يصلي ويصوم ويحج البيت ويجاهد في سبيل الله ويؤدي زكاته ويعتق غير أنه يشك في الله ورسوله؟ قال معاذ: هذا له النار، قال: فما تقول فيمن لا يصلي ولا يصوم ولا يحج البيت ولا يؤدي زكاة ماله غير أنه يؤمن بالله ورسوله؟ قال: هذا أرجو له وأخاف عليه، فقال الشاب: يا أبا عبدالرحمن كما لا ينفع مع الشرك عمل فكذلك لا يضر مع الإيمان شيء ثم مضى، فقال معاذ: ليس في هذا الوادي أفقه من هذا الشاب.

قال ﷺ: وقد ذكرنا في هذا اختلافاً بيننا وبين الخوارج والقدرية في ارتكاب الكبيرة، غير أن هاهنا اختلافاً آخر بيننا وبين المرجئة أنها قالت: إن المؤمن في الجنة ولو ارتكب الكبائر والمعاصي وانه لا تضر مع الإيمان، واحتجت بقول الشاب وترك إنكار معاذ، إلا أنا نقول: خرج قول الشاب عقيب قول معاذ «أرجو له وأخاف عليه»، وكان المراد من قول معاذ أن الإيمان لا يرتفع بالكبيرة، والدليل على أن الخوف واجب أن الله تعالى أمر عباده بالتقوى في غير آية من القرآن وهو يوجب الخوف، وإن زوال الخوف يوجب إسقاط العبودية وتعطيل

---

(١) أخرجه أبو داود ح (٣٢٨٤) من حديث أبي هريرة، ومسلم ح (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي، كلاهما بنحوه، ولفظ أبي داود أقرب للفظ المصنف.

الربوبية وذلك غير جائز.

قال أبو حنيفة رحمه الله (من قال لا أعرف عذاب القبر فهو من الطبقة الجهمية والهالكية) اعلم أن هذه المسألة فرع لمسألة أخرى، وهي أن الجهمية والقدرية والمعتزلة يجعلون العقل حسة سادسة كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ويثبتون الأمور على عقولهم ويقولون: إنا نرى ونشاهد أن الميت لا يتألم بها يؤلمنا في الشاهد فكذلك في الغائب، وعن هذا أنكروا عذاب القبر وتسبيح الجماد لأنهم يقولون لو كان لها تسبيح لسمعنا، وعن هذا أنكروا الميزان والصراط وخروج أهل الإيمان بالكبائر من النار والمعراج ورؤية الباري جل جلاله.

ونرد عليهم فنقول: إن العقول عدلتنا معرضة للعجز والضعف والكلال والتلاشي كما قال ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الخالق»[1] لا يحتاجون إلى التفكر في الله تعالى لتلاشي أوهامهم وذهول عقولهم فلعمري إنه بيت الحس للعلل، فللمعقولات المدركات لا لغير المعقولات وهو يتوقف في غير المعقولات حتى يرد السمع فيتبعه إذا كان سليمًا غير سقيم اتباعه إياه في المنافع والمضار، فأراد القدرية والمعتزلة أن يدركوا كنه الربوبية بعقولهم العاجزة الكالة حتى مرضت عقولهم وسقمت نفوسهم المعرفة، وزاحم المنافقون في هذا! قال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ح (٤) من حديث أبي ذر، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٦-٦٧)، وأبو الشيخ في العظمة ح (٢١) من حديث عبد الله بن سلام، وأبو الشيخ في العظمة ح (٣) من حديث ابن عباس، واللفظ لحديث أبي ذر.
وأخرجه الطبراني في الأوسط ح (٦٣١٩)، والبيهقي في الشعب ح (١٢٠) من حديث ابن عمر بلفظ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله»، وقال البيهقي عقبه: هذا إسناد فيه نظر. اهـ.
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٢٦١): «وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكسب قوة». اهـ.

أَلِيمٌ﴾[1]، وكل عقل إذا كان سليمًا يتوقف فيما لا يستدركه بالعقل حتى يرد السمع فإذا أورد السمع تبعه، ومن الدليل على عذاب القبر أنه كائن قول الله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[2] جاء في التفسير مرة في القبر ومرة في القيامة، فقال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[3] وهو عذاب القبر، وقال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾[4]، جاء في التفسير أن العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والدليل على تسبيح الجماد قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[6] والأخبار في هذا كثيرة ما لا يمكن ردها

ثم أصحاب الأهواء والبدع فرق شتى كلهم في النار، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «افترقت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا السواد الأعظم»[7]، وقال: «من أحدث حدثًا في الإسلام فقد هلك، ومن ابتدع بدعة فقد ضل، ومن ضل ففي النار» إلى آخر ما ذكرناه

اعلم أن المشيئة صفة الشائي، والإرادة صفة المريد، والأمر صفة الآمر، والعلم صفة العالم، والكلام صفة المتكلم، إن قال قائل لك صفات الله واحدة أو متغايرة؟

قيل: هي ليست واحدة ولا متغايرة، لأنا لو قلنا هي واحدة فقد عطلنا

---

(١) البقرة: ١٠
(٢) التوبة: ١٠١
(٣) الطور: ٤٧
(٤) السجدة: ٢١
(٥) الإسراء: ٤٤.
(٦) الأنبياء: ٤٧.
(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٨، ٢٧٤)، والأوسط (٧٢٠٢) من حديث أبي أمامة بنحوه، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥١٢) «فيه أبو غالب وثقه ابن معين وغيره، وبقية رجال الأوسط ثقات، وكذلك أحد إسنادي الكبير» اهـ.

صفاته تعالى وهو مذهب القدرية والمعتزلة؛ لأنهم يجعلون الإرادة والمشيئة والقضاء والقدر والحكم كلها على معنى العلم، وعن هذا أنكروا المشيئة والإرادة والقضاء عن الشر، وكلام الله تعالى يرد عليهم في غير موضع من القرآن- وقد بينا ذلك- ولو قلنا هي متغايرة فقد أوقعنا المغايرة بين الذات وبين الصفات وهو مذهب المعتزلة والأشاعرة، أنهم يجعلون صفات الفعل محدثة وذا لا يجوز فكذلك المغايرة بين الصفات، ثم صفات الله لا هي هو ولا غيره عند أهل السنة والجماعة، ولا هي محدثة سواء كانت من صفات الذات أو من صفات الفعل، ولا توصف بالسبق على بعض، وقوله في الكتاب ولكن سبقت مشيئته أمره يعني مأموره.

وقالت القدرية: هي غيره، وتابعها الأشعرية، وهذا فرع لمسألة أخرى وهي أن صفات الفعل محدثة عندهم، وقالوا: إنا نرى في الشاهد أنه لا يكون المكتوب مكتوبًا إلا بالكاتب ولا يحصل البناء إلا بفعل البناء ولا المفعول إلا بالفاعل فكذلك في الغائب، وعن هذا أنه تعالى خالق بخلقه ورازق برزقه وآمر بأمره ومريد بإرادته، ونحن نقول: خالق لم يزل خالقًا ورازق لم يزل رازقًا ومريد لم يزل مريدًا كما نقول: عالم لم يزل عالمًا وقدير لم يزل قادرًا وسميع لم يزل سميعًا وبصير لم يزل بصيرًا، وفي هذا اتفق لأن هذا من صفات الذات، ثم من صفات الذات الجلال والكبرياء والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام، وما سواها من صفات الفعل كان للتخليق والتكوين والرزق والفعل والإرادة والمشيئة والقضاء والحكم.

ويرد على القدرية والأشعرية برهانهم فنقول: إن الباني بانٍ وإن لم يبن، والكاتب كاتب وإن لم يكتب، وليس من ضرورة صيرورة الكاتب كاتبًا أن يحصل منه فعل الكتابة؛ فلذلك جاز أن يكون الرب خالقًا وإن لم يخلق.

ثم الدليل على ما قلنا أنه لو لم يكن خالقًا من قبل ثم أحدث لنفسه فمن الخلق مخلق الخلق به بطلت تلك الصفة عند فراغه من الخلق فبقي عاجزًا عن الخلق - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وقال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] ولأن الشيء المحدث محل التغير، فكما لا يجوز التغير على ذاته وصفاته الذاتية فكذلك لا يجوز التغير على صفاته الفعلية، ولأنه لو كان يُحدث لنفسه صفة اسم لكان شبيهًا بخلقه وهو: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2]

ثم المذهب الصحيح أن الله تعالى موصوف بجميع صفاته في الأزل ذاتية أو فعلية، وأن صفته لا هو ولا غيره على معنى أنه لا يزايله كون الشيء لا هو عين الشيء ولا غيره، ولم نرد به الشبيه وإنما أردنا به لطف الكلام.

وسئل أبو منصور عن صفات الله تعالى، ما هي؟ قال: لا هو ولا غيره، قيل له: لا هو ولا غيره ما هو؟ قال: صفاته لا تجاوز عن هذا، ثم يجوز أن يقال: عالم بعلمه وقادر بقدرته، وكذلك في جميع صفاته الذاتية لأن صفاته الذاتية كما كانت أزلية من غير خلاف لم يكن في هذا اللفظ جدل، وأما في صفاته الفعلية فلا يجوز أن يقال: خالق بخلقه لتمكن اختلاف أصحاب الأهواء فيه لكي لا يقع في الشبه.

واختلف مشايخ سمرقند احترازًا عن هذا أيضًا قالوا: عالم هو وله علم، وموصوف به في الأزل، وقادر وله قدرة، وهو موصوف بها في الأزل، ومتكلم وله كلام، وهو موصوف به في الأزل، قالوا: لأن الباء توهم الآلة كما يقال: قاطع بالسكين وضارب بالسيف، ثم هاهنا اختلاف آخر في أن الكلام محدث ولم يطلقوا عليه اسم الخلق ولا فرقوا بين اللفظين احتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا

(١) الرحمن: ٢٩.
(٢) الإخلاص: ٣-٤.

عَرَبِيًّا﴾[1] فالجعل إنما هو في الخلق إلا أن هنا هو من القدرية والمعتزلة لأن الجعل لا ينبئ عن الخلق؛ ألا ترى إلى قوله تعالى خبرًا عن الملحدين: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[2] فترى أن الجعل هاهنا للحق، وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[3]، وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[4].

والدليل على ما قلنا: أنه لو جعل الكلام محدثًا صار الخرس عليه قبل إحداث الكلام، والأخرس عاجز عن أن يكون أميرًا فكيف يصلح أن يكون إلهًا؟!

فإن قيل: المكتوب في المصاحف ما هو؟ قلنا: هو كلام الله تعالى، وكذلك المقروء في المحاريب والمحفوظ في الحجر، ولكن الحروف والهجاء والألوان والصوت كلها مخلوقة، وكلام الله تعالى لا صوت فيه ولا نغمة ولا حروف ولا هجاء، وعن هذا احترزت مشايخ سمرقند فقالوا: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ولكن لا يقع على الحروف والهجاء واللون.

وقالت الأشعرية: ما في المصحف ليس بكلام الله تعالى وإنما هو عبارة عن كلام الله تعالى حكاية عنه، وعن هذا جوزوا إحراق ما في المصاحف، قالت: لأن الكلام صفته، والصفة لا تزايل عن الموصوف، إلا أنا نقول: هذا الهوس من نفس الأشعرية أكثر من هوس المعتزلة؛ لأن المعدوم معلوم بعلم الله تعالى، أفترى أن صفة العلم زائلة بكون المعدوم معلومًا فكذلك الكلام لا يوصف بالمزايلة بظهور المكتوب في المصاحف، ولسنا نقول: إن الكلام حالٌّ في المصاحف حتى يكون قولًا بالمزايلة، يدل عليه أنه لو لم يكن المكتوب كلام الله

---

(١) الزخرف: ٣.
(٢) الحجر: ٩١.
(٣) الزخرف: ١٩.
(٤) الأنعام: ١٠٠.

تعالى لكان الكلام معدوماً فيما بين بعد مؤدي إلى تعويت خطاب الله تعالى.

وأما الأحدية والواحدية، فإن الأحدية صفة الذات والواحدية صفة الفعل فيقال: أحد بذاته، وواحد بفعاله ثم أحديته ووحدانيته ليست من جهة العدد عتمدة بالزيادة والنقصان والشركة ونحو ذلك، ويقال: العدد أحد وأحاد وواحد ووحدان، حتى قيل: فلان وحيد زمانه وفريد أوانه، فأما وحدانية الرب جل جلاله فمن جهة نفي الأمثال والأنداد عنه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

قال أبو منصور رحمه الله: الكاف هنا زائدة لأنها لو لم تكن زائدة لتوهم أن له مثلاً ثم ليس لمثله مثل بل معناه: وليس مثله شيء، وأما وحدانيته من جهة نفي الشركة عنه في أفعاله كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[2] فلهذا قيل في التمجيد: أحد لا مثل له وواحد لا شريك له، ثم مسألة المشيئة والإرادة قد ذكرناها من قبل إلا أن ههنا سؤالاً مقال: أمر الله تعالى بشيء ولم يشأ بخلقه أو شاء ولم يأمر بخلقه، وهذا أيضاً قد ذكرناه أنه خلق الكفر وشاءه وأمر الكافر بالإيمان ولم يشأ له.

فإن قيل: مشيئة الله مرضية أو غير مرضية؟ قلنا: هي مرضية.

فإن قيل: إذاً يعاقب الله عباده على ما يرضى؟ قلنا: لا، بل يعاقبهم على ما لا يرضى لأنه يعاقب الكافر على كفره، والكفر غير مرضي، وكذلك المعاصي غير مرضية بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3].

فإن قيل: ألست قلت: المعاصي والكفر بمشيئة الله تعالى، ومشيئته مرضية؟

---

(١) الشورى: ١١

(٢) البروج: ١٦

(٣) الزمر: ٧

قلنا: نعم، إن المشيئة والإرادة والقضاء وجميع صفاته مرضية غير أن الفعل الحاصل من العبد بمشيئته قد يكون مرضيًّا نحو الطاعة، وقد يكون مسخوطًا غير مرضي كالمعاصي، اعتبر هذا بالأعيان لأنه خلق نفس الكافر بلا خلاف وليس يرضى بنفس الكفر، وكذلك الخمر والخنازير فكذا هذا في الأفعال.

فإن قيل: هل كان الله قادرًا على أن يخلق الخلق كلهم مطيعين كالملائكة؟ قلنا: نعم لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[2].

إن الملائكة خلقوا للطاعة وهم معصومون عن المعاصي إلا هاروت وماروت فإنهما مخصوصان من بين الجملة، والشياطين خلقوا للشر إلا واحدًا منهم قد أسلم ولقي النبي ﷺ هو هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس فعلمه ﷺ سورة الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص، والمعوذتين، فإنه مخصوص من جملة الشياطين، وأما الإنس والجن فخلقوا على الفطرة.

ثم اختلفوا في تفسير الفطرة

قالت المعتزلة: هي الإسلام، وعن هذا أن الكافر بكفره نبذ الإسلام وراء ظهره بفعله من غير مشيئة الله - وقد مر الكلام في المشيئة.

وقال أهل السنة والجماعة: إن الفطرة كما قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[3]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4]. الآية، أي خالقها، وقول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه أو

---

(١) الأنعام: ١٤٩.
(٢) المائدة: ٤٨.
(٣) الروم: ٣٠.
(٤) فاطر: ١.

ينصرانه أو يمجسانه حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرًا وإما كفورًا»(1) إما بحق وإما بباطل، لو ترك على الخلقة التي ولد عليها لاستدل بها على خالقه إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي يصيران سببًا للتهود والتنصر، كما قال تعالى في شأن الأصنام ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾(2) أي صرن سببًا للضلالة؛ فإذًا الإنس والجن جبلوا على صفة الإسلام لا على صفة الكفر، ثم من اهتدى فقد اهتدى بهداية الله، ومن ضل فقد ضل بإضلال الله كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(3)، فالهداية صفة الرب جلت قدرته، والاهتداء صفة العبد، والإضلال صفة الرب تعالى، والضلال صفة العبد، والرب بجميع صفاته خالق لم يزل لم يلد ولم يولد ولم يحدث له صفة على ما بيناه، والعبد بجميع صفاته مخلوق، ثم الإنس والجن غير معصومين إلا الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فإنهم معصومون عن الكبائر؛ فإنهم لو لم يكونوا معصومين عنها لم يمكنوا عن الكذب، والكاذب لا يصلح للرسالة، وغير معصومين عن الصغائر لأن الله تعالى أثبت لهم مقام الشفاعة، فلو عصموا عن الصغائر لوقع الضعف في مقام الشفاعة؛ لأن من لم يُبتلَ ببلية لم يرقّ على

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (3/ 435)، (4/ 24)، والطبراني في الكبير (1/ 283)، وأبو يعلى في مسنده ح (942) من حديث الحسن البصري عن الأسود بن سريع، وليس فيه: «إما شاكرا وإما كفورا»، قال الهيثمي في المجمع (5/ 570): «بعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح». اهـ. والحسن لم يسمع من الأسود بن سريع كما في المراسيل لابن أبي حاتم (ص 40)، وجامع التحصيل للعلائي (ص 163-164).
وقد ورد قوله: «إما شاكرا وإما كفورا» من حديث الحسن عن جابر عند أحمد في مسنده (3/ 353)، وليس فيه: «إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، وقال الهيثمي في المجمع (7/ 441): «فيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات». اهـ. والحسن لم يسمع من جابر كما في المراسيل لابن أبي حاتم (ص 38)، وجامع التحصيل (ص 163-164).
(2) إبراهيم: 36.
(3) النحل: 93.

المبتلى، فهذا هو الحكمة في زوال العصمة عن الأنبياء في الصغائر، وبعض أصحابنا لم يلفظ الصغائر وإنما يسمونها الزلل، ولا فرق بين اللفظتين في الحقيقة.

قالت المعتزلة: الأنبياء معصومون عن الكبائر والصغائر؛ لأنهم لا يرون الشفاعة مع الرسل وهم الذين أوحى الله إليهم بجبريل ﷺ، والأنبياء هم الذين لم يوحَ إليهم بجبريل وإنما أوحي إليهم بملك آخر أو أري في المنام أو شيء آخر من الإلهام، ثم الرسل من له درجة الرسالة والنبوة جميعًا غير أنه لا يؤمر باستعمال ما ظهر له في درجة من لم يوح جبريل بذلك يكون ذلك زلة صغيرة كما فعل ذلك داود ﷺ وهو تزوج امرأة أوريا من غير انتظار الوحي بمجيء جبريل ﷺ؛ فكان ذلك زلة منه كما قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾(١) والمصطفى ﷺ لما انتظر الوحي بجبريل في تزوج امرأة زيد زينب ولم يتزوج بما ظهر في درجة النبوة نجا من الزلة، قال تعالى في قصته: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾(٢).

فهذا هو الوجه في وقوع الأنبياء في الزلل والصغائر، وفيه وجه آخر وهو إن تركوا الأفضل ومالوا إلى الفاضل -أي المباح- باجتهاد يكون ذلك زلة منهم كما أن آدم ﷺ قال له ربه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(٣)، ثم إن إبليس وسوس لهما وقاسمهما وناشدهما الله حتى نسي آدم من طريق الأفضل، وظن أنه يحترم الله تعالى بقربان الشجرة فكان تاركًا للأفضل له، أن يرعى الأمر ولا يدخل في الاجتهاد فكان ذلك زلة منه حتى قال جل جلاله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(٤)، هذا من الله تعالى على وجه الزجر والتنبيه لا على وجه تحقيق الكبيرة

---

(١) ص: ٢٤.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) البقرة: ٣٥.

(٤) طه: ١٢١.

والغواية فيه، ألا ترى أن آدم لما انتبه مع حواء صلوات الله عليهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[١] قال الرب جلت قدرته ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[٢] فهذان الوجهان في وقوع الأنبياء في الزلل والصغائر.

ثم اختلفوا في تفضيل آدم ومحمد، قال بعضهم: آدم أفضل من محمد، وقال بعضهم: محمد أفضل من آدم، وهذا أصح من الأول، فهذا الاختلاف فيما بين مشايخنا، واختلاف آخر بيننا وبين المعتزلة، قالت المعتزلة: الملائكة أفضل من المؤمنين، وقال أهل السنة والجماعة: إن المؤمنين أفضل من الملائكة؛ لأن المؤمنين ركب فيهم الهوى مع العقل، والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى، ولهذا يثاب المؤمنون على أعمالهم ولا ثواب لأعمال الملائكة، وحسبت المعتزلة أن الفضل بالأعمال حتى قالت بتفضيل الملائكة على المؤمنين، وليس كما حسبت بل الفضل بالتفضيل كما قال تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٣] أضاف التفضيل إلى ذاته، وهذا اختلاف يرجع إلى اختلافنا معهم في تفويض الأعمال إلى العباد ونفي خلق أعمالهم وقد بينا ذلك، ثم بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر وعمر ﷺ، واختلفوا في عثمان وعلي ﷺ، قال بعضهم: عثمان أفضل من علي كما في مراتب الخلافة، وقال بعضهم: علي أفضل من عثمان، وقال بعضهم بتفضيل الشيخين وبحب الختنين، واختلفوا في تفضيل فاطمة وعائشة ﷺ، قال بعضهم: عائشة أفضل من فاطمة لأن درجتها مع النبي في الجنة، وقال بعضهم: فاطمة أفضل من عائشة لأن درجة عائشة إنما ارتفعت تبعًا للنبي ﷺ.

* * *

---

(١) الأعراف: ٢٣.
(٢) طه: ١١٥.
(٣) البقرة: ٢٥٣

باب آخر

قال الفقيه ﷺ: قد ذكرنا مسائل هذا الباب إلا مسألة واحدة وهي مسألة خلق الجنة والنار، قلنا: مخلوقتان، وقالت الجهمية والمعتزلة: هما غير مخلوقتين؛ لأن الله تعالى ليس بعاجز عن خلقهما فيخلقهما وقت افتراق الفريقين، ونرد عليهم بقوله تعالى في شأن الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وفي شأن النار بقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، ولأن قولهم يؤدي إلى تكذيب الله في خبره؛ لأنه تعالى خوف الكافرين بالنار ورغب المؤمنين في الجنة، والتخويف بالمعدوم والترغيب فيه لغو وعبث- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وقوله في الكتاب: أنهما شيء أم ليسا بشيء؟ هذا أيضًا مختلف فيه أن المعدوم شيء أم لا؟ قالت المعتزلة: هو شيء واحتجت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[3] والزلزلة معدومة فسماها الله شيئًا، إلا أنا نقول معناه: أن تكون الزلزلة شيئًا عظيمًا وقت كونها ووجودها، لا أنه سماها في الحال شيئًا.

فإن قيل: لو كان المعدوم يسمى معلومًا لوصفنا الله بالجهل وحاشا أن يوصف الرب جل جلاله بالجهل، ولو سميناه: شيئًا لقلنا بحدوث الأشياء بنفسها بقدمها وأزليتها، وهو بعينه مذهب الدهرية والزنادقة والأفلاكية وهم أشر من الدواب وأخبثها؛ لأنهم ينكرون الصانع ويقولون بقدم الدهر ويضيفون الأمور إلى الطبائع، فنرد عليهم بقول: بأن العالم محدث وأن له محدثًا، والدليل على هذا تغير الأشياء وتكونها من حال إلى حال من رطوبة إلى يبوسة ومن صحة إلى سقم ومن قوة إلى ضعف ومن استواء إلى اعوجاج، فلو كانت

---

(١) الشعراء: ٩٠.

(٢) البقرة: ٢٤.

(٣) الحج: ١.

بنفسها لما تغيرت عن حالها فلما تغيرت عن حالها دل أن لها مغيرًا ومحدثًا.

وروي عن أبي حنيفة ﷺ أنه ناظر دهريًّا وألقى عليه الحجة، فقال الدهري: إنما تغيرت الأشياء من حال إلى حال لأن بناءها على الطبائع الأربعة: رطوبة ويبوسة وبرودة وحرارة، فما دامت هذه الطبائع الأربع مستوية فصاحبها مستوٍ أيضًا، ومتى غلبت طبيعة منها على سائرها زالت عن الاستواء فزال استواء صاحبها أيضًا

قال أبو حنيفة ﷺ: أقررت بالصانع والمصنوع والغالب والمغلوب من حيث أنكرت؛ لأنك قلت: إحدى الطبائع تغلب على سائرها، وسائرها تصير مغلوبة، فثبت أن للعالم غالبًا في الحكمة، فقد تعدينا عن مسألتكم فقلنا: الغالب ليس هو إلا الصانع جلت قدرته، الدهري يهذي فقال أبو حنيفة: لي أن أتكلم مع الخصم حتى يهذي وليس لي أن أتكلم حتى يخرس لأن الإخراس معجزة والمعجزة للأنبياء لا لغيرهم، فإذًا الجنة والنار موجودتان عندنا والساعة لا تسمى شيئًا لأنها غير مخلوقة وغير موجودة عندنا خلافًا للمعتزلة؛ لأنها قالت: إن الساعة مخلوقة إلا أنها لا تظهر للأحياء فإذا مات الإنسان ظهرت له، واحتجت بقوله ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»[1] إلا أن نقول: إن معناه أنه يظهر له حال سعادته وشقاوته من ضيق القبر وسعته وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وانتزاع الروح على الإيمان أو على الكفر، والدليل على ما قلنا أن الساعة منتشرة في السماء والأرض غير مقتصرة فلو كانت موجودة لكانت ظاهرة، قال أبو منصور: ما أمون القيامة في قول المعتزلة أنها موجودة فيها

---

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٢٥): «أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف» اهـ وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٦٧٠) إلى الديلمي من حديث أنس أيضًا.

بيتا ولا نظهر أهوالها، واختلاف آخر في الجنة والنار أنهما يفنيان عند الجهمية والقدرية والمعتزلة، إلا أن المعتزلة لا يصرحون بذلك؛ لأنهم يجعلون الثواب بإزاء الأعمال الصالحة والعقاب بإزاء الكفر والمعاصي، والأعمال متناهية فكذلك ثوابها وعقابها إلا أنا نرد عليهم بقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1]، وقال في نعم الجنة: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[2].

فإن قيل: القول ببقاء الجنة والنار على الأبد يؤدي إلى الشركة في بقاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3].

قلنا: هذا من ترهاتكم لأن الجنة والنار لم يكونا فكانتا بتكوين الله إياهما وتدومان بدوام الله إياهما أيضًا، وقوله: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين ألبتة، وقد ذكرنا الكلام في الصفات، وهو يغضب ويرضى لأن من لا يغضب ولا يرضى لا يكون آمرًا ولا ناهيًا - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، غير أن غضبه ورضاه صفته لا هو ولا غيره، وقوله في الكتاب: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه؛ لأن عقوبته ناره وثوابه جنته وهما محدثتان، إلا أن عقوبته لما كانت بغضبه وثوابه لما كان برضاه جاز أن يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه.

* * *

---

(١) التين: ٦.
(٢) الواقعة: ٣٣.
(٣) القصص: ٨٨.

باب آخر

قد ذكرنا الإيمان مع تفاصيله وفروعه من قبل وقول ما هو في إصبعك، قد ذكرنا في الكتاب انتشار نور الإيمان أيضًا في جميع الأعضاء من قبل، وقوله: إذا قطعت الإصبع يذهب الإيمان منها إلى القلب.

قلنا: نعم، وهذا صحيح لأن المعنى الذي قارنه الإيمان في الجسد هو لا يتجزأ فقام بذلك المعنى.

فإن قيل: إذا مات العبد أين يذهب إيمانه، يكون مع روحه أو يكون مع بدنه؟ قلنا: لا بهذا ولا بذلك، ولكن بالمعنى الذي صار به العبد أهلًا للإيمان ولأنه صار صالحًا لعبادة ربه في حال حياته وجعله صالحًا لعبادته بعد مماته.

فإن قيل: أيش ذلك المعنى؟ قلنا: هو تنوير الله تعالى حقيقة على ما بيناه من قبل، فإن قيل: أين تذهب سائر أعماله؟ قلنا: اتصلت بثواب الله تعالى أو عقابه.

فإن قيل: بأي شيء يُعرف الله؟ قلنا: فيه اختلاف، قال بعضهم: يعرف بالعقل، وبه قالت المعتزلة، ومن هذا قالوا: إن الإيمان بالتقليد لا يصح، وقالوا بكفر العوام لأن الناس عندهم في العقل سواء، وسووا عقول الكفرة والفجرة مع عقول الأنبياء والرسل والأولياء، وقالت الأشعرية: يعرف الله بالله لا بغيره، ومن هذا قالوا: إن أحدًا لا يعرف الله حق معرفته وإن كان نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مقربًا وهو يعرف نفسه حق معرفته، وغيره من الملائكة والمؤمنين خالون عنه ولا يتعجب منهم هذا لأنهم شاكُّون في إيمانهم.

ونرد عليهم بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[1]... الآية؛ فالله بيَّن شهادة نفسه والملائكة وأولي العلم؛ فمن

---

(١) آل عمران: ١٨.

أوجب الشك في شهادة العبد فقد أوجب الشك في شهادة الرب أيضًا، وقال الله تعالى في شأن الكفر ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1] أي ما عرفوا الله حق معرفته، فمن قال بأن المؤمن لا يعرف الله حق معرفته فقد أوقع التسوية بين المؤمن والكافر وكفى به قبحًا وسيئًا.

وأما مذهب أهل السنة والجماعة فهو أن الله يعرف بتعريفه ببيان طريقه ودلالته، إليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2] وكما قال تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[3]، وإذا كانت المعرفة بتعريف الله ﷻ وقعت موقع الحقيقة، ولكن نحن لا نعبده حق عبادته؛ لأن الواحد منا وإن جمع عبادات أهل السموات والأرض وقوبلت تلك العبادات كلها بنظرة واحدة التزمتها.

فإن قيل: إن العبادات بتوفيقه فلم تقع موقع الحقيقة، قلنا: لا نقول بأن العبادة الخالصة لا تقع موقع الحقيقة وليست هي بحق الله بل هي حق الله، ولكن معنى قولنا: لا نعبده حق عبادته أننا ضعفاء عاجزون لا ننفك عن التقصير وإيقاع الخلل في العبادة، وهذا المعنى معدوم في المعرفة، وبالله التوفيق.

تمت الرسالة بحمد الله وحسن توفيقه.



---

(١) الحج: ٧٣-٧٤.
(٢) البلد: ١٠.
(٣) الزمر: ٢٢.



كتاب شرح الفقه الأكبر

صنفه العلامة النبيل والفهامة الجليل الذي فاق الفضلاء من أبناء زمانه واشتاق العلماء إلى استماع بيانه محيي الشريعة النبوية والملة الحنيفية علم الهدى:

الشيخ أبو المنتهى أحمد بن محمد المغنيساوي الحنفي.

برد الله مضجعه، وروح الله روحه في أعلى عليين.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا إلى طريق أهل السنة والجماعة بفضله العظيم، والصلاة والسلام على رسوله وحبيبه محمد الذي كان على خلق عظيم، وعلى آله وأصحابه الداعين إلى صراط مستقيم.

أما بعد! فيقول العبد الضعيف المذنب أبو المنتهى - عصمه الله الكبير الكريم عن الخطايا والمعاصي ومن الاعتقاد الفاسد السقيم -: إن كتاب الفقه الأكبر الذي صنفه الإمام الأعظم كتاب صحيح مقبول، قال الشيخ الإمام فخر الإسلام علي البزدوي في أصول الفقه: العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الفقه والشرائع والأحكام، والأصل في النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة، ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق أهل السنة والجماعة، الذي كان عليه الصحابة والتابعون، ومضى عليه السلف الصالحون، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا، وكان على ذلك سلفنا، أعني أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمدًا وعامة أصحابهم رحمهم الله تعالى.

* * *

«الفقه الأكبر للإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى

وقد صنف أبو حنيفة رحمه الله في ذلك (الفقه الأكبر) وذكر فيه إثبات الصفات وإثبات تقدير الخير والشر من الله ﷻ، وأن ذلك كله بمشيئة الله تعالى - إلى هنا كلامه، فأردت أن أجمع كلمات من الكتاب والسنة ومن الكتب المعتبرة حتى تكون شرحًا لهذا الكتاب الشريف اللطيف، قال الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله. (أصل التوحيد) أي هذا الكتاب في بيان حقيقة التوحيد، وهو في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد.

وفي الاصطلاح: التوحيد هو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان.

ومعنى كون الله تعالى واحدًا نفي الانقسام في ذاته تعالى ونفي الشبيه والشريك في ذاته وصفاته، والاعتقاد في قوله (وما يصح الاعتقاد عليه) يعم العلم وهو حكم جازم لا يقبل التشكيك، والاعتقاد المشهور وهو حكم جازم يقبل التشكيك، وعند البعض يعم الظن أيضًا أي كما يعم الاعتقاد المشهور؛ فإن الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض معتبر في الإيمان؛ فإن إيمان أكثر العوام كذلك، (يجب أن يقول) بياء الغيبة أي يفترض على المعتقد أن يقول. (آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى).

قال: أن يقول، ولم يقل: أن يؤمن بالله، ليدل على أن الإقرار ركن في الإيمان؛

لأن أصل الإيمان الإقرار والتصديق بالأشياء الستة المذكورة لقوله عليه السلام: «الإيمانُ أَنْ تؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]، (والملائكة) عند أكثر المسلمين أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، منقسمة إلى قسمين: قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزيه وهم العليون والملائكة المقربون، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى القلم الإلهي، فمنهم سماوية ومنهم أرضية.

(والإيمان بالكتب) هو التصديق الجازم بوجودها وبأنها كلام الله تعالى، وجميع الكتب المنزلة على الرسل مائة وأربعة كتب، أنزل على آدم عليه السلام منها عشر صحائف، وعلى شيث عليه السلام خمسون صحيفة، وعلى إدريس عليه السلام ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، والتوراة على موسى عليه السلام، والزبور على داود عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والفرقان على نبينا محمد ﷺ.

(والرسول) من له شريعة وكتاب فيكون أخص من النبي، وعند بعض العلماء هو مرادف للنبي، والإيمان لازم بكل نبي سواء أنزل عليه كتاب أو لم ينزل، (والبعث) هو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها، و(القدر) مصدر بمعنى المقدور، والمقدور بمعنى المقدر (خيره) مجرور، بدل من القدر بدل البعض من الكل (وشره) معطوف عليه؛ روي أن أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما تناظرا في مسألة القدر فكان أبو بكر يقول: الحسنات من الله تعالى والسيئات من أنفسنا، وكان عمر يضيف الكل إلى الله ﷻ، فذكرا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر به، وبحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه، وقد تقدم تخريجه.

والحساب والميزان والجنة والنار وذلك، كله حق

والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

تكلمَ بالقَدَرِ من جميعِ الخلقِ كلهم جبريلُ وميكائيلُ، فكان جبريلُ يقولُ مثلَ مقالتِكَ يا عمرُ، وكان ميكائيلُ يقولُ مثلَ مقالتِكَ يا أبا بكرٍ، فتحاكما إلى إسرافيلَ فقضى بينهما أن القدرَ كُلَّهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ من الله تعالى»، ثم قال ﷺ: «وهذا قضائي بينكما»، ثم قال: «يا أبا بكر لو أرادَ اللهُ تعالى أن لا يعصيَ أحدٌ لما خلقَ إبليسَ عليه اللعنة»[1]، (والحساب والميزان والجنة والنار كله حق) الميزان عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته، (والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له)؛ قد يقال: واحد، ويراد به نصف الاثنين وهو ما يفتتح به العدد، وهذا معنى الواحد من طريق العدد، وقد يقال: واحد، ويراد به أنه لا شريك له ولا نظير له ولا مثل له بحسب ذاته وصفاته أو جميع ذلك، فالله تعالى واحد من معنى أن لا شريك له ولا نظير له ولا مثل له في ذاته وصفاته (لم يلد) أي لا ولد له (ولم يولد) من الأب والأم، هذا رد لقول النصارى واليهود في ولدية المسيح وعزير، وقول الفلاسفة في تولد

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ح (٢٤٩٦)، والطبراني في الأوسط ح (٢٦٤٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٩٢): «شيخ البزار السكن بن سعيد لم أعرفه، وبقية رجال البزار ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر» اهـ.
وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٧٤-٢٧٥) من حديث جابر، وقال: «هذا حديث موضوع بلا شك، والمتهم به يحيى أبو زكريا، قال يحيى بن معين: هو دجال هذه الأمة. قال ابن عدي: كان يضع الحديث ويسرق» اهـ. وتعقبه ابن حجر في لسان الميزان (٦/ ٢٥٤) فقال: «هكذا نقل عن يحيى بن معين، ولم نجد ذلك عنه، وينظر في حكمه على هذا الحديث بالوضع، وقد وجدت له شاهدًا أخرجه البزار في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده» اهـ.

لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية؛ أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام

فضلًا عن واجب الوجود فإن قولهم في ذلك باطل؛ لأن الله تعالى هو الصمد، يعني السيد الغني عن كل شيء الذي يفتقر إليه كل شيء سواه، (ولم يكن له كفوًا أحد) أي ولم يكن شيء من الموجودات يماثله، وهو ليس بجسم فيُقدر ويُتصور وينقسم، ولا بجوهر فتحله الأعراض، ولا بعرض فيحل في الجواهر (لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه) أي لا يشبه الله تعالى شيئًا من المخلوقات، والمخلوقات كلها له (ولا يشبهه شيء من خلقه) أي ولا يشبهه تعالى شيء من مخلوقاته، لا في الوجود لأنه لا واجب لذاته إلا الله وما سواه ممكن، ولا في العلم ولا في القدرة ولا في سائر الصفات مشابه له وهو ظاهر.

اعلم أن الله تعالى واحد لا شريك له، قديم لا أول له، دائم لا آخر له، (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية) أي لم يحدث له اسم من أسمائه ولا صفة من صفاته، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل أن كل صفة يوصف الله تعالى بضدها فهي من صفات الفعل كالخالق، وإن كان لا يوصف بضدها فهي من صفات الذات كالحياة والعزة والعلم، وفي الفتاوى الظهيرية: إن حلف على صفات الله تعالى ينظر إلى تلك الصفة إن كانت من صفات الذات يكون يمينًا وإن كانت من صفات الفعل لا يكون يمينًا، فإذا قال: وعزة الله تعالى يكون يمينًا لأن الله تعالى لا يوصف بضدها، ولو قال: بغضب الله تعالى، وسخط الله تعالى لا يكون يمينًا لأن الله تعالى يوصف بضدها وهو الرحمة.

(أما) صفاته (الذاتية فالحياة) فإن الله تعالى حي بحياته التي هي صفة أزلية، (والقدرة) فإنه تعالى قادر على كل شيء بقدرته التي هي صفة أزلية، (والعلم) فإنه تعالى عالم بجميع الموجودات ويعلم الجهر وما يخفى بعلمه الذي هو صفة

والسمع والبصر والإرادة، وأما الفعلية: فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل، لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه، لم يحدث له صفة ولا اسم

أزلية، (والكلام) فإنه تعالى متكلم بكلامه الذي هو صفة أزلية، وكلام الله تعالى لا يشبه كلام الخلق لأنهم يتكلمون بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف، (والسمع) فإنه تعالى سميع بالأصوات والكلمات بسمعه القديم الذي هو له صفة أزلية، (والبصر) فإنه تعالى بصير بالأشكال والألوان ببصره القديم الذي هو له صفة في الأزل، (والإرادة) فإنه تعالى مريد بإرادته القديمة ما كان وما يكون؛ فلا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء صغير أو كبير قليل أو كثير خير أو شر نفع أو ضر فوز أو خسران زيادة أو نقصان إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، والله تعالى فعال لما يريد لا راد لإرادته ومشيئته ولا معقب لحكمه، ومن صفاته الذاتية الأحدية والصمدية والعظمة والكبرياء وغيرها.

(وأما) صفاته (الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل) كالإحياء والإماتة والإنبات والإنماء والتصوير وغيرها، والتخليق والإنشاء والصنع بمعنى واحد وهو إحداث الشيء بعد أن لم يكن سواء كان على مثال سابق أو لا، والإبداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على مثال سابق، والترزيق: إحداث رزق لشيء وتمكينه من الانتفاع به.

(لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه) يعني أن الله تعالى مع صفاته وأسمائه كلها أزلي لا بداية له وأبدي لا نهاية له، (لم يحدث له صفة ولا اسم) لأنه لو حدث له تعالى صفة من صفاته أو زالت عنه لكان قبل حدوث تلك الصفة وبعد زوالها ناقصًا وهو محال، فثبت أنه لم يحدث له صفة ولا اسم؛ لأن من كان له علم في

لم يزل عالمًا بعلمه والعلم صفة في الأزل، وقادرًا بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلمًا بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقًا بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلًا بفعله والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الأزل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق.

وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، ومن قال إنها مخلوقة أو محدثة أو

الأزل كان عالمًا في الأزل، (لم يزل عالمًا بعلمه والعلم صفة في الأزل) أي في القدم، (وقادرًا بقدرته والقدرة صفة في الأزل، ومتكلمًا بكلامه والكلام صفة في الأزل، وخالقًا بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلًا بفعله والفعل صفة في الأزل)، الفعل بالفتح مصدر وبالكسر اسم، وهنا بالفتح بمعنى التكوين والتخليق والإيجاد، وقول الإمام الأعظم: لم يزل عالمًا بعلمه.. إلخ يرد قول المعتزلة، فإنهم قالوا: صفات الله عين ذاته وهو عالم قادر بمجرد الذات لا بالعلم والقدرة، ويكفي لنا دليلًا قول الإمام الأعظم وسائر أئمة الهدى والذين من أهل السنة والجماعة، ونقول كما قال هؤلاء الأئمة رحمهم الله: صفات الله تعالى ليست عين ذاته ولا غير ذاته ولا يجب علينا الاستقصاء في مثل هذه المسألة.

(والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الأزل، والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق) يعني أن الله تعالى إذا فعل شيئًا يفعله بفعله الذي هو له صفة أزلية لا بفعل حادث؛ لأن الحادث هو أثر فعله لا فعله بخلاف المفعول فإنه محل لوقوع أثر الفعل وهو مخلوق بالاتفاق بلا خلاف، (وصفاته) مبتدأ (في الأزل) خبره، أي صفاته الذاتية والفعلية ثابتة في الأزل (غير محدثة) خبر بعد خبر، (ولا مخلوقة) عطف تفسير، (ومن قال إنها) أي صفاته ذاتية كانت أو فعلية (مخلوقة أو محدثة أو وقف) وهو أن لا يحكم بوجود الصفات ولا بعدمها إما لعناد أو

وقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى، والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من

الجهل (أو شك فيها) أي في وجود صفته أو أزليتها، والشك في اللغة خلاف اليقين، واليقين العلم وزوال الشك، وإنما قال الإمام الأعظم (فهو كافر بالله تعالى) لأن الإيمان هو التصديق بمعنى إذعان القلب وقبوله لوجود الباري تعالى ووحدانيته وسائر صفاته فإن صفته تعالى من جملة المؤمن به؛ فمن لم يؤمن بها يكون جاهلًا بالله تعالى وصفاته كافرًا به وبأسمائه، (والقرآن كلام الله تعالى) وهو في اللغة مصدر بمعنى الجمع والضم يقال: قرأت الشيء قرآنًا، أي جمعته جمعًا، وبمعنى القراءة، يقال: قرأت الكتاب قراءة وقرآنًا؛ فالقرآن ما يجمع السور ويضمها ولهذا سمي قرآنًا فيكون بمعنى اسم الفاعل، ويجوز أن يكون القرآن بمعنى المقروء لأنه يقرأ ويتلى فيكون مصدرًا بمعنى اسم المفعول، والمراد به هاهنا كلام الله تعالى الذي هو صفته لا المنظوم العربي، وقيل: هو النظم والمعنى جميعًا (في المصاحف مكتوب) جمع مصحف بضم الميم يعني أن كلام الله تعالى الذي صفته تعالى مكتوب في المصاحف بواسطة الحروف (وفي القلوب محفوظ) أي بالألفاظ المخيلة (وعلى الألسن مقروء) أي بالحروف الملفوظة المسموعة (وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل) أي بالحروف الملفوظة المسموعة بواسطة الملك (ولفظنا) أي تلفظنا (بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة) لأن ذلك كله من أفعالنا، وأفعالنا كلها مخلوقة بتخليق الله تعالى، (والقرآن) أي كلام الله تعالى (غير مخلوق) والحروف والكاغد والكتابة كلها مخلوقة لأنها أعمال العباد، وكلام الله تعالى غير مخلوق؛ لأن الكتاب والحروف

الأنبياء عليهم السلام وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارًا عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم،

والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء، فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ومن قال: القرآن مخلوق، وأراد به الكلام اللفظي القائم بذات الله -كما هو مذهب الكرامية- يكون كافرًا، لأنه نفى الصفة الأزلية وجعل الباري تعالى محلًا للحوادث، ومحل الحوادث حادث، ومن قال القرآن مخلوق، وأراد به نفي الكلام الأزلي يكون كافرًا، ومن قال: القرآن مخلوق، وأراد به الكلام اللفظي الغير القائم بذات الله تعالى ولم يرد به نفي الكلام الأزلي لا يكون كافرًا لكن هذا الإطلاق خطأ لأنه يوهم الكفر.

(وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام وعن فرعون وعن إبليس فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارًا عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم) يعني أن ما ذكره الله تعالى في القرآن إخبارًا عن موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفرعون وإبليس، فإنما قال ذلك بكلامه القديم الذي كتب الكلمات الدالة عليه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض لا بكلام حادث وعلم حادث حاصل بعد سمعه منهم، والإخبار: نقل المعنى لا باللفظ؛ لأن كلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق وكلام الله تعالى غير مخلوق، ويؤيده أن قدر ثلاث آيات من القرآن بالغ حد الإعجاز وليس ذلك من البشر، ومن المعلوم أن ما نقل عن المخلوقين في القرآن يزيد على قدر ثلاث آيات، فيكون القرآن كلام الله تعالى لا

وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]

وقد كان الله تعالى متكلمًا ولم يكن كلم موسى عليه السلام، وقد كان الله تعالى خالقًا

كلامهم؛ فإذًا لا فرق بين القصص المذكورة في القرآن وبين آية الكرسي وسورة الإخلاص في كون كل واحدة منها كلام الله تعالى.

(وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى) يعني سمع موسى عليه السلام من الله تعالى - بلا واسطة - كلامه القديم القائم بذاته تعالى (كما) جاء (في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾) والله تعالى قادر أن يكلم المخلوق من الجهات أو الجهة الواحدة بلا آلة ويسمعه بالآلة كالحرف والصوت لاحتياجه إليها في فهمه كلامه الأزلي فإنه على ذلك قدير لأنه على كل شيء قدير، قيل: كان موسى عليه السلام إذا كلمه الله تعالى سمع كلامه من باطن الغمام الذي كان كالعمود وقد يغشاه الغمام، (وقد كان الله تعالى متكلمًا ولم يكن كلم موسى عليه السلام) بأن قال لموسى في الأزل بلا صوت ولا حرف: «يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك»، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[1] والله تعالى علم في الأزل أنه ينزل القرآن على محمد ويخبره بقصص الأنبياء وغيرهم ويأمرهم وينهاهم.

ولما بين الإمام الأعظم الأمر في صفة الكلام من أنه لا يتوقف على حصول المخاطب أراد أن يبين الأمر في سائر الصفات كذلك دفعًا لتوهم اختصاص هذا الحكم بصفة الكلام فقال: (وقد كان الله تعالى خالقًا في الأزل ولم يخلق الخلق) واكتفى بالصفة الفعلية ولم يذكر غيرها من الصفات الذاتية لأن توقف الصفة

---

(١) طه: ١١-١٢.

في الأزل ولم يخلق الخلق، فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة وحروف، والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق.

العملية على وجود المتعلق أظهر من الصفة الذاتية فيعلم حال الصفة الذاتية بالطريق الأولى، واختار من الصفات الصعبة التحليق لأنه أعم لوجوده في ضمن كل صفة، ولما دفع الوهم عاد إلى تحقيق ما هو بصدده، فقال: (فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل) لأن كلامه أزلي أبدي لا يتغير ولا يتبدل. ولما لم تشبه صفاته تعالى صفات الخلق كما لا تشبه ذاته تعالى ذوات الخلق قال الإمام الأعظم: (وصفاته كلها) ذاتية كانت أو فعلية (بخلاف صفات المخلوقين) وذلك لأنه تعالى (يعلم لا كعلمنا) لأن علمنا حادث لا يخلو عن معارضة الوهم، وعلمه تعالى قديم جل أن يكون ضروريًا أو كسبيًا أو تصورًا أو تصديقًا، (ويقدر لا كقدرتنا) لأن قدرته تعالى قديمة ومؤثرة بالإيجاد، وقدرتنا حادثة غير مؤثرة ونحن لا نقدر إلا على بعض الأشياء بالآلات والأسباب والأنصار، والله تعالى قادر بقدرته القديمة على جميع الأشياء لا بآلة ولا بمشاركة غيره، (ويرى لا كرؤيتنا) لأنا نرى الأشكال والألوان بالآلات والشروط. والله تعالى يرى الأشكال والألوان ببصره الذي هو صفته في الأزل لا بآلة ولا بشروط من زمان ومكان وجهة ومقابلة، (ويتكلم لا ككلامنا) لأنا نتكلم بالآلات والشروط وهو يتكلم بلا آلة ولا شروط (ويسمع لا كسمعنا) لأنا نسمع بالآلات والشروط، والله تعالى يسمع الأصوات والكلمات كلها بسمعه القديم لا بآلة من أذن وصماخ ولا بشرط من زمان ومكان وجهة وقرب وبعد، (ونحن نتكلم بالآلات والحروف والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة) لأن المؤلف من المخلوق مخلوق (وكلام الله تعالى غير مخلوق)

وهو شيء لا كالأشياء، ومعنى الشيء الثابت بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له، وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له

لأن كلامه تعالى قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والآذان، (وهو شيء) لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾[١] (كالأشياء) بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢] (ومعنى الشيء الثابت) ومعنى الثابت الموجود، وفي أكثر النسخ إثباته؛ أي إثبات ذلك الشيء أي أن نثبته (بلا جسم) هذا بيان لقوله لا كالأشياء، لأن كل جسم منقسم وكل منقسم مركب وكل مركب محدث وكل محدث محتاج إلى المحدث؛ فكل جسم ممكن يحتاج إلى واجب الوجود، (ولا جوهر) لأن الجوهر يكون محلًّا للأعراض والحوادث، والله تعالى منزه عن ذلك، (ولا عرض) لأن العرض لا يقوم بذاته بل يفتقر إلى محل يقوم به فيكون ممكنًا، (ولا حدَّ له) لأن الحد تعريف الماهية بذكر أجزائها، وواجب الوجود فرد لا جزء له فيمتنع أن يكون له حد، والحد قد يكون بمعنى النهاية، ولا نهاية لله تعالى، (ولا ضد له) أي لا نظير له ولا كفء له، (ولا ند له) الند بالكسر المثل والنظير، (ولا مثل له) أي لا شريك له في النوع لأنه لا نوع له كما لا جنس له، والمماثلة الاشتراك في النوع، فإذا قيل: هما متماثلان، كان معناه أنهما متفقان في الماهية والنوعية، (وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن) بقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٣] وبقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٤] وبقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى

---

(١) الأنعام: ١٩.
(٢) الشورى: ١١.
(٣) الفتح: ١٠.
(٤) الرحمن: ٢٧.

صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال،

نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[1].

وفي بعض النسخ: (فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف) أي أصلها معلوم ووصفها مجهول لنا؛ فلا يبطل الأصل المعلوم بسبب التشابه والعجز عن درك الوصف، وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أن الكيفية مجهولة والبحث عنه بدعة، (ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه) أي في هذا القول (إبطال الصفة) التي دل على ثبوتها القرآن (وهو)، أي إبطال الصفة (قول أهل القدر والاعتزال) عطف الخاص على العام لأن أهل القدر هم المعتزلة والإمامية من الشيعة؛ فكل المعتزلة قدرية وليست كل قدرية معتزلة.

قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَن مَاتَ مِنْهُم فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ وَمَن مَرِضَ مِنْهُم فَلَا تَعُودُوهُم وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَن يُلْحِقَهُم بِالدَّجَّالِ!»[2] صدق رسول الله، وقال عليه الصلاة والسلام: «الإِيمَانُ بِالقَدَرِ يُذْهِبُ الهَمَّ وَالحَزَنَ»[3] صدق حبيب الله.

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) أخرجه أبو داود ح (٤٦٩٢)، وأحمد في مسنده (٥/ ٤٠٦) من طريق عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار، عن حذيفة به.

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥٧): «هذا حديث لا يصح قال ابن حبان مولى غفرة لا يحتج به كان يقلب الأخبار». اهـ.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥٦) من طريق السري بن عاصم، عن محمد بن مصعب، عن الأوزاعي، عن جده، عن أبي هريرة به. وقال: «هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ».

ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف، خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء، وكان الله تعالى عالمًا في الأزل بالأشياء قبل كونها، وهو الذي قدر الأشياء وقضاها،

(ولكن يده صفته بلا كيف) وكذا وجهه ونفسه قال الشيخ الإمام فخر الإسلام علي البزدوي في أصول الفقه: وكذلك إثبات اليد والوجه عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات، (وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف) أي بلا بيان الكيفية؛ فإن كيفيتهما مجهولة لأن غضبه ورضاه لا يشبه غضبنا ورضانا؛ فإن الغضب منَّا غليان دم القلب، والرضا امتلاء الاختيار حتى يفضي إلى الظاهر؛ فهما من الكيفيات النفسانية كالفرح والسرور والعشق والتعجب، فإن كلها تابع للمزاج المستلزم للتركيب المنافي لوجوب الذات.

(خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء) يعني خلق الله تعالى الموجودات كلها لا من مادة (وكان الله تعالى عالمًا في الأزل بالأشياء قبل كونها) أي قبل حدوثها (وهو الذي قدر الأشياء وقضاها) تعليل للقول السابق، والواو الأولى للحال؛ فكأنه قال: وكيف لا يكون عالمًا في الأزل بالأشياء قبل وقوعها والحال أنه تعالى هو الذي قدر الأشياء وقضاها، وتقدير الأشياء وقضاؤها لا يكون إلا قبل وقوعها، والقضاء والتقدير لا يكون إلا مع العلم. قيل في معنى قدرنا: كتبنا،

=

قال ابن عدي: كان السري يسرق الحديث، وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به، وقال يحيى: محمد بن مصعب ليس بشيء». اهـ.

وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب ح (٢٧٧) من طريق المزاحم بن عوام عن الأوزاعي به

ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم.

قال الزجاج: معنى قدرنا دبرنا، وأصل القضاء إتمام الشيء قولًا كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] أو فعلًا كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[2] كذا في تفسير القاضي.

(ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء) من الجواهر والأعراض (إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ) قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمُ فقال له: اكْتُبْ، فقال القَلَمُ: ماذا أَكْتُبُ يا رَبِّ؟ فقال اللهُ تعالى: اكتب ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة»[3] (ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم) يعني كتب في اللوح المحفوظ كل شيء بأوصافه من الحسن والقبح والطول والعرض والصغر والكبر والقلة والكثرة والخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والطاعة والمعصية والإرادة والقدرة والكسب وغير ذلك من الأوصاف والأحوال والأخلاق، ولم يكتب فيه شيء بمجرد الحكم بوقوعه بلا وصف ولا سبب، مثلًا لم يكتب فيه: ليكن زيد مؤمنًا وليكن عمرو كافرًا، ولو كتب كذلك لكان زيد مجبورًا على الإيمان وعمرو مجبورًا على الكفر؛ لأن ما حكم الله تعالى بوقوعه فهو يقع ألبتة، والله تعالى يحكم لا معقب لحكمه، ولكن كتب فيه أن زيدًا يكون مؤمنًا باختياره وقدرته، ويريد الإيمان ولا يريد الكفر،

---

(١) الإسراء: ٢٣.
(٢) فصلت: ١٢.
(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٧٠٠)، والترمذي ح (٣٣١٩، ٢١٥٥) من حديث عبادة بن الصامت، وقال الترمذي في الموضع الأول: «حديث غريب من هذا الوجه» وقال في الموضع الثاني: «حديث حسن غريب». اهـ.

والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدومًا ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجودًا ويعلم أنه كيف يكون فناؤه، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائمًا وإذا قعد فقد علمه قاعدًا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوقين.

خلق الله تعالى الخلق سليمًا من الكفر والإيمان ثم خاطبهم وأمرهم

وكتب فيه أن عمرًا يكون كافرًا باختياره وقدرته، ويريد الكفر ولا يريد الإيمان، فالمراد من قول الإمام الأعظم: ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم؛ هو نفي الجبر في أفعال العباد وإبطال مذهب الجبرية.

(والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف) أي بلا بيان كيفية؛ يعني أن أصل هذه الصفات ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا أنها من المتشابهات، وما يعلم تأويلها إلا الله فأوصافها مجهولة لا طريق للعقل أن يدركها بالاجتهاد، وكذلك كل صفة الله تعالى إذ لا يشبه صفاته صفات الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق (يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدومًا ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجودًا ويعلم أنه كيف يكون فناؤه، ويعلم الله القائم في حال قيامه قائمًا وإذا قعد فقد علمه قاعدًا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم، ولكن التغير والاختلاف يحدث عند المخلوقين) يعني أن الله تعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي؛ لم يزل موصوفًا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد، ولا يتغير علمه بتغير الأشياء واختلافها وحدوثها، وعلمه تعالى واحد والمعلومات متعددة.

(خلق الله تعالى الخلق سليمًا) أي خاليًا (من الكفر والإيمان) اللذين يكسبهما في الدنيا (ثم خاطبهم) عند البلوغ مع العقل (وأمرهم) بالإيمان والطاعة

فكفر من كفر، وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له. أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيمانًا، فهم يولدون على تلك الفطرة،

(ونهاهم) عن الكفر والعصيان (فكفر من كفر بفعله) الاختياري (وإنكاره وجحوده الحق) الجحود: الإنكار مع العلم بكونه حقًّا (بخذلان الله تعالى إياه) يعني ذلك الإنكار والجحود بسبب خذلان الله تعالى مَنْ كَفَرَ، في مختار الصحاح: خذله خذلانًا بالضم وخذلانًا بكسر الخاء: ترك عونه ونصرته (وآمن من آمن بفعله) الاختياري (وإقراره) باللسان (وتصديقه) بالجنان (بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له) التوفيق عبارة عن التأليف والتوفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله تعالى وقدره، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة، ولكن جرت العادة لتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الميل؛ فخصص بمن يميل إلى الباطل -كذا في إحياء العلوم-.

(أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيمانًا فهم يولدون على تلك الفطرة) أي الإيمان، وإنما سماه الفطرة لأنهم فطروا عليه، والفطرة الخلقة؛ اتفقت عامة المفسرين وجمهور الصحابة والتابعين على إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق عليهم في عصره، ومنهم من يقول: عرض ذلك على الأرواح دون الأبدان، فإن قيل: ما وجه إلزام الحجة بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[1] ونحن لا نذكر

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

ومن كفر بعد ذلك فقد بدَّل وغيَّر، ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم، ولم يجبر أحدًا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان، ولا خلقهم مؤمنًا

هذا الميثاق ولِمَ لا نتذكره؟ قلنا: أنسانا الله ذلك الابتداء لأن الدنيا دار غيب وعلينا الإيمان بالغيب، ولو تذكرنا ذلك الميثاق لزوال الابتداء، وما يُنسى لا تزول به الحجة ولا يثبت به العذر؛ قال الله تعالى في أعمالنا: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾(١) وجدد الله هذا العهد وذكرنا هذا حتى بإرسال الرسل وإنزال الكتب فلم يثبت العذر كذا في التفسير الشهير (ومن كفر بعد ذلك فقد بدَّل وغيَّر) أي بدل وغير إيمانه الفطري بالكفر الذي اكتسبه باختياره بعد البلوغ (ومن آمن وصدق) بعد خروجه إلى دار التكليف وصيرورته عرفًا (فقد ثبت عليه) أي على إيمانه الفطري الذي حصل له يوم الميثاق (وداوم) على ذلك الإيمان، فإن قيل: هذا يناقض قوله أولًا: خلق الله الخلق سليمًا من الكفر والإيمان، قلنا: معناه خلق الله الخلق سليمًا من الإيمان الكسبي متصفًا بالإيمان الفطري، قال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطرةِ فأبواهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ»(٢)، وهذا دليل على أن أطفال المسلمين وأطفال الكافرين مؤمنون بالإيمان الفطري (ولم يجبر أحدًا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان) يعني أن الله تعالى لا يخلق الكفر ولا الإيمان في قلب العبد بطريق الجبر والإكراه بل يخلقهما باختيار العبد ورضاه ومحبته؛ ألا ترى أن الإيمان محبوب للمؤمن والكفر مكروه ومبغوض ومنفور له محبوب للكافر (ولا خلقهم مؤمنًا) أي لا يخلق الله تعالى الخلق مؤمنًا بالإيمان

(١) المجادلة: ٦.
(٢) أخرجه البخاري ح (١٣٨٥)، ومسلم ح (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة به.

ولا كافرًا ولكن خلقهم أشخاصًا، والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرًا فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنًا في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته.

وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره والطاعات كلها كانت

الكسبي (ولا كافرًا) بالكفر الكسبي (ولكن خلقهم أشخاصًا، والإيمان والكفر فعل العباد) يعني أن الكفر والإيمان والطاعة والعصيان من أفعال العباد

(ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرًا فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنًا في حال إيمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته) لأن كل متغير حادث وكل حادث محتاج إلى مُحْدِث عالم قادر حي مختار؛ فلو كان علمه تعالى متغيرًا لكان حادثًا، ولزمه أن يكون الله تعالى محلًا للحوادث- تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها) الكسب في اللغة طلب الرزق، وأصله الجمع، وفي الاصطلاح: تعلق إرادة العبد وقدرته بفعله، فحركته باعتبار نسبتها إلى قدرته وإرادته تسمى مكسوبًا، وباعتبار نسبتها إلى قدرة الله تعالى وإرادته تسمى مخلوقًا، وكذا سكونه؛ فحركته وسكونه خلق للرب ووصف للعبد وكسب له، وقدرة العبد وإرادته خلق للرب ووصف للعبد وليس بكسب له، وإلى هذا أشير في شرح المقاصد (وهي) أي أفعال العباد من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية (كلها بمشيئته) أي بمشيئة الله تعالى (وعلمه وقضائه وقدره) قال النبي ﷺ: «كُلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ حتَّى العَجْزِ والكَيْسِ»(١)، اعلم أن مذهب المعتزلة أن الله تعالى يريد الإيمان

---

(١) أخرجه مسلم ح (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر به.

واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضاه ولا بأمره

والطاعة من العبد، والعبد يريد الكفر والمعصية لنفسه؛ فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الله تعالى؛ فيكون إرادة العبد غالبة وإرادة الله تعالى مغلوبة، وأما عندنا فكل ما أراد الله تعالى فهو واقع؛ فهو تعالى يريد الكفر من الكافر ويريد الإيمان من المؤمن، وعلى هذا تكون إرادة الله غالبة وإرادة العبد مغلوبة (والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى) أي العبادات التي كانت واجبة على العباد، وهي كلها بأمر الله تعالى (وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضاه ولا بأمره) قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[1] وقال الله تعالى ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[3] أي القبيح من الكفر والمعاصي، وقال المصنف رحمه الله في كتاب الوصية: فقد بان أن الأعمال ثلاثة: فريضة وفضيلة ومعصية؛ فالفريضة بأمر الله تعالى ومشيئته ومحبته ورضاه وقضائه وقدره وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابته في اللوح المحفوظ.

والفضيلة ليست بأمر الله ولكن بمشيئته وبمحبته ورضاه وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ، والمعصية ليست بأمر الله ولكن بمشيئته لا بمحبته وبقضاه لا برضاه وتقديره وتخليقه لا بتوفيقه وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ، اعلم أن المعاصي نوعان: كبائر وصغائر، أما الكبائر فهي تسع، قال صفوان بن عسال: قال يهودي لصاحبه:

(١) البقرة: ٢٠٥.
(٢) الزمر ٧.
(٣) الأعراف: ٢٨

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح، وقد كانت منهم زلات وخطايا،

اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبه: لا تقل نبي إنه لو سمعك لكان له أربع أعين، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهما رسول الله ﷺ: «لا تُشْرِكُوا بالله شيئًا ولا تَسْرِقُوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ، ولا تمشوا ببريءٍ إلى ذي سلطانٍ ليقتُلَهُ ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا مُحْصَنَةً، ولا تولوا- أي لا تفروا- يومَ الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السَّبْتِ» قال: فقبَّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالا: إن داود عليه السلام دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود»[1] (والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح) يعني قبل النبوة وبعدها (وقد كانت منهم زلات وخطايا) مثال الزلات: أكل آدم من الشجرة، ومثال الخطايا: قتل موسى رجلًا من قوم فرعون فإنه لم يقصد قتله أصلًا بل قصد ضربه بيده ليدفعه عن الإسرائيلي فوقع الضرب قصدًا والقتل خطأ، والقتل زلة أيضًا؛ لأن كل خطأ زلة وليس كل زلة خطأ؛ فبينهما عموم وخصوص مطلقًا؛ لأن الزلة قد تكون بالخطأ وقد تكون بالنسيان وقد تكون بالسهو وقد تكون بترك الأولى والأفضل، قال الإمام عمر النسفي في التفسير: أئمة سمرقند لا يطلقون اسم الزلة على أعمال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٧٣٣)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٣٩)، والحاكم في المستدرك ح (٢٠) من حديث صفوان بن عسال به، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». اهـ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه». اهـ.

وحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده ورسوله ونبيه

لأنها نوع ذنب ويقولون: فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل؛ فعوتبوا عليه لأن ترك الأفضل منهم بمنزلة ترك الواجب من الغير، قيل: زلة الأنبياء والأولياء سبب القربة إلى الله تعالى، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما عمل داود عملاً أنفع له من الخطيئة؛ ما زال يهرب منها إلى ربه حتى وصل إليه؛ فالخطيئة سبب الفرار إلى الله تعالى من نفسه ودنياه.

(ومحمد ﷺ حبيبه) أي حبيب الله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخِرُونَ ونحن السابقونَ يومَ القيامةِ وإني قائلٌ قولاً غيرَ فَخْرٍ: إبراهيمُ خليلُ الله وموسى كليمُ الله وآدمُ عليه السلامُ صفيُّ الله، وأنا حبيبُ الله ومعي لواءُ الحمدِ يومَ القيامةِ»(١) ثم أشار الإمام الأعظم بقوله: (وعبده) إلى فائدتين: أعني تشريف محمد وحفظ الأمة عن قول النصارى، وقال أبو القاسم سليمان الأنصاري: لما وصل محمد عليه الصلاة والسلام إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج أوحى الله تعالى إليه فقال: بم أشرفك؟ قال: يا رب بنسبتي إلى نفسك بالعبودية؛ فأنزل فيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾(٢) فقال عليه السلام: «لا تُطْرُوني كما أُطْرِي عيسى ابنُ مريمَ وقولوا عبدُالله ورسولُه»(٣) كذا في المشارق أي لا تتجاوزوا عن الحد في مدحي كما بالغ النصارى في مدح عيسى عليه السلام حتى كفروا فقالوا: إنه ابن الله، وقولوا في حقي: إنه عبدالله ورسوله حتى لا تكونوا أمثالهم (ورسوله ونبيه) لقوله تعالى:

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه ح (٥٤) من حديث عمرو بن قيس به مرسلاً.
(٢) الإسراء: ١.
(٣) أخرجه البخاري ح (٦٨٣٠) من حديث عمر به.

وصفيه ونقيه، ولم يعبد الصنم، ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[2] والنبي أعم من الرسول، ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا»، فقيل: فكم الرسل منهم؟ فقال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا»[3] (وصفيه) أي مصطفاه ومختاره؛ قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[4] كذا في المصابيح (ونقيه) أي منتقاه تعالى مثل مصطفاه لفظًا؛ لأن الله تعالى نقّى وطهر قلبه ﷺ في زمن صباه عن المادة التي تمنعه من الترقي؛ قال أنس ﷺ: إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة، وقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قتل؛ فاستقبلوه وهو منتقع اللون، وقال أنس ﷺ: فكنت أرى أثر المخيط في صدره[5]. (ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط) يعني قبل النبوة وبعدها؛ لأن الأنبياء معصومون عن الجهل بالله تعالى، قال علي ﷺ: قيل للنبي عليه الصلاة والسلام:

---

(١) الفتح: ٢٩.
(٢) الأحزاب: ١.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧) من حديث أبي أمامة به، وفيه «ثلاثمائة وخمسة عشر» قال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٩٣): «مداره على علي بن يزيد وهو ضعيف». وأخرجه ابن حبان في صحيحه ح (٣٦١) من حديث أبي ذر به، وفيه «مائة ألف وعشرون ألفًا».
(٤) أخرجه مسلم ح (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع به.
(٥) أخرجه مسلم ح (١٦٢/ ٢٦١) من حديث أنس بن مالك به.

ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط

أفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق

هل عبدت وثنًا قط؟ قال: «لا»، قالوا: هل شربت خمرًا قط؟ قال: «لا، وما زلتُ أعرفُ أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان».[1] (ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط) يعني قبل النبوة وبعدها.

لما فرغ الإمام الأعظم من ذكر الأنبياء عليهم السلام شرع في ذكر الخلفاء فقال (أفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق) قال النبي عليه السلام: «ما طلعتِ الشمسُ ولا غربت على أحدٍ بعدَ النبيين والمرسلين أفضلَ من أبي بكر»[2] وروي أن النبي ﷺ لما ذكر قصة المعراج كذبوه وذهبوا إلى أبي بكر فقالوا له: إن صاحبك قد قال كذا وكذا فقال أبو بكر: إن كان قد قال ذلك فهو صادق ثم جاء رسول الله ﷺ فذكر له الرسول تلك التفاصيل فكلما ذكر شيئًا قال أبو بكر: صدقتَ، فلما تم الكلام فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله حقًّا قال الرسول ﷺ «وأشهد أنك صِدِّيقٌ حقًّا»[3]. كذا في التفسير الكبير (ثم عمر بن الخطاب الفاروق) قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل

---

(١) عزاه السيوطي في الخصائص الكبرى (ص ١٤٩) إلى أبي نعيم وابن عساكر من حديث علي به.

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ح (٢١٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٥) من حديث أبي الدرداء به، وقال أبو نعيم: «غريب من حديث عطاء عن أبي الدرداء، تفرد به عنه ابن جريج، ورواه عنه بقية بن الوليد وغيره عن ابن جريج». اهـ

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (سيرة ابن هشام - ٢/ ٢٤٤) عن الحسن بنحوه، وأخرجه الحاكم في المستدرك ح (٤٤٥٨) من حديث عائشة بنحوه وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فإن محمد بن كثير الصنعاني صدوق». اهـ

ثم عثمان بن عفان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله

السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر»[1] من المصابيح، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقًا خاصم يهوديًا فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فحكم إلى اليهودي، فلم يرض المنافق وقال: نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم إليك، فقال عمر ﷺ للمنافق: أكذلك؟ فقال: نعم فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما؛ فدخل وأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد أي مات وقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرّق بين الحق والباطل فسمي الفاروق- كذا في تفسير القاضي (ثم عثمان بن عفان ذو النورين) لأنه عليه السلام زوّجه بنته رقية، ولما ماتت زوّجه النبي عليه السلام أم كلثوم، ولما ماتت أم كلثوم قال النبي عليه السلام: «لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها»[2]، فلذا سمي بذي النورين، روي عن أنس ﷺ قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله عليه السلام إلى مكة فبايع الناس فقال رسول الله: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسول الله» فضرب عليه السلام بإحدى يديه على الأخرى؛ فكانت يدا رسول الله لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم[3]. من المصابيح (ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٣٦٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري به، وقال: «حديث حسن غريب» اهـ.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٨٤) من حديث عصمة به، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٩٣): «فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف» اهـ.

(٣) أخرجه الترمذي ح (٣٧٠٢) من حديث أنس به، وقال: «حديث حسن صحيح غريب» اهـ.

أجمعين عابدين ثابتين على الحق، ومع الحق نتولاهم جميعًا، ولا نذكر أحدًا من أصحاب رسول الله إلا بخير
ولا نكفر مسلمًا بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه

عليهم أجمعين) قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام إلا أنه لا نبيَّ بعدي»[1]. (عابدين) أي كانوا عابدين لله تعالى (ثابتين على الحق، ومع الحق) أي كانوا مع الحق تعالى في عبادتهم يعني: عبدوه بالصدق والإخلاص والخشوع والخضوع (نتولاهم) أي نحبهم (جميعًا) أي جميع الخلفاء الأربعة لا نفرق بينهم بحب البعض وبغض البعض، والروافض أبغضوا الخلفاء الثلاثة أي جميع الخلفاء الثلاثة فرفضوا وتركوا المذهب الحق، والخوارج أبغضوا عليًّا فخرجوا عن الصراط المستقيم

(ولا نذكر أحدًا من أصحاب رسول الله إلا بخير) يعني اعتقاد أهل السنة والجماعة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليهم، وما جرى بين علي ومعاوية كان مبنيًّا على الاجتهاد- كذا في الإحياء، عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «أكرموا أصحابي فإنهم خياركم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب»[2] من المصابيح (ولا نكفر مسلمًا بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها) يعني: ولا نكفر مسلمًا بذنب كما يكفر الخوارج مرتكب الكبيرة؛ أما من استحل معصية وقد ثبتت بدليل قطعي فهو كافر بالله تعالى؛ لأن استحلالها تكذيب بالله ورسوله (ولا نزيل عنه) أي عن المسلم

---

(١) أخرجه البخاري ح (٤٤١٦)، ومسلم ح (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص به.
(٢) أخرجه الشافعي كما في مسنده (ص ٢٤٤)، وعبد الرزاق في المصنف ح (٢٠٧١٠)، والنسائي في الكبرى ح (٩٢٢٢، ٩٢٢٣، ٩٢٢٤) من حديث عمر به.

اسم الإيمان وتسميه مؤمنًا حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمنًا فاسقًا غير كافر والمسح على الخفين سنة، والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة، والصلاة خلف كل برٍّ وفاجر من المؤمنين جائزة،

الذي ارتكب كبيرة غير مستحل (اسم الإيمان وتسميه مؤمنًا حقيقة) أشار الإمام به إلى أن المسلم يسمى مؤمنًا حقيقة، وهذا يدل على اتحاد الإسلام والإيمان أي كالظهر والبطن (ويجوز أن يكون) مرتكب الكبيرة (مؤمنًا فاسقًا غير كافر) الفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب الكبيرة، قال صدر الشريعة: فالكبيرة كل ما يسمى فاحشة كاللواطة ونكاح منكوحة الأب، أو ثبت لها نص قاطع عقوبة في الدنيا والآخرة، وقالت المعتزلة: مرتكب الكبيرة فاسق لا يجوز أن يكون مؤمنًا ولا كافرًا، وأثبتوا منزلة بين المنزلتين أي بين الكفر والإيمان.

(والمسح على الخفين سنة) أي ثبت جوازه بالسنة المشهورة؛ فمن أنكره فإنه يخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخبر المتواتر (والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة) هذا رد على الروافض فإنهم أنكروا التراويح والمسح على الخفين ومسحوا على أرجلهم بلا خف؛ قال صاحب الخلاصة: وفي الملتقى سئل أبو حنيفة رحمه الله عن مذهب أهل السنة والجماعة فقال: أن تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين، وتصلي خلف كل بر وفاجر، والله الهادي.

(والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة) وتكره لوجود إيمانه، والكراهة لعدم اهتمامه في الأمور الدينية، قال النبي ﷺ: «مَنْ صلَّى خلفَ عالمٍ تقيٍّ فكأنَّما صلَّى خلفَ نبيٍّ من الأنبياءِ، ومن صلَّى خلفَ نبيٍّ من الأنبياءِ غُفِرَ له

ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب، ولا نقول: إنه لا يدخل النار، ولا نقول: إنه يخلد فيها وإن كان فاسقًا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنًا، ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول: من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة ولم يبطلها بالكفر والردة والأخلاق السيئة

ما تقدّمَ من ذَنبِه»[1] يعني الصغائر (ولا نقول: إن المؤمن لا تضره الذنوب، ولا نقول: إنه لا يدخل النار) كما قال المرجئة؛ قال الإمام الرازي في كتاب الأربعين: العاصي الذي ليس بكافر وكانت معصيته كبيرة فيه ثلاثة أقوال: قول من قطع بأنه لا يعاقب، وهذا قول مقاتل بن سليمان، وقول المرجئة، وثانيها: قول من قطع بأنه يعاقب، وهو قول المعتزلة والخوارج، وثالثها: قول من لم يقطع لا بالعفو ولا بالعقاب، وهو قول أكثر الأئمة وهو المختار (ولا نقول إنه) أي المؤمن (يخلد فيها) أي في نار جهنم (وإن كان فاسقًا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنًا) خلافًا للمعتزلة فإنهم قطعوا بخلود الفاسق في عذاب جهنم أبدًا كالكافر.

(ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها) من النية والإخلاص وغيرهما من الفرائض (خالية عن العيوب المفسدة) من الرياء والسمعة والعُجب (ولم يبطلها بالكفر والردة والأخلاق السيئة) قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ

---

(١) قال الزيلعي في نصب الراية (٢/ ١٧): «غريب» اهـ. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤٨٦): «لم أقف عليه بهذا اللفظ» اهـ.

وقد أخرج الطبراني في الكبير (٢٠/ ٣٢٨)، والدارقطني في سننه (٢/ ٨٨) من حديث مرثد الغنوي: «إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم»، وقال الدارقطني: «إسناد غير ثابت، وعبد الله بن موسى ضعيف» اهـ. وأخرج الدارقطني (٢/ ٨٧)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٩٠) من حديث ابن عباس: «اجعلوا أئمتكم خياركم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم»، وقال البيهقي: «إسناد هذا الحديث ضعيف» اهـ.

حتى خرج من الدنيا مؤمناً فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها، وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره وكذلك العجب.

عَمَلُهُۥ﴾[1] وأما ارتكاب الكبائر فلا يفسد الطاعات ولا يبطل ثوابها عند أهل السنة والجماعة (حتى خرج من الدنيا مؤمناً فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها) بلا وجوب عليه ولا استحقاق بل بفضله ووعده قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[4] (وما كان من السيئات دون الشرك والكفر) سواء كانت تلك السيئات صغيرة أو كبيرة (ولم يتب عنها) أي عن تلك السيئات التي ليست بشرك ولا كفر (صاحبها حتى مات مؤمناً) فاسقاً مصراً عليها (فإنه) أي ذلك الفاسق (في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار) عدلاً ثم أخرجه منها فضلاً (وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلاً) بفضله ورحمته أو شفاعة الشافعين، وفي بعض النسخ: وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أبداً؛ فيكون المعنى أن من يعذبه الله تعالى من المؤمنين لا يعذبه أبدًا مخلدًا في النار؛ لأن الإيمان يمنع الخلود

(والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه) أي الرياء (يبطل أجره) قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ

---

(١) المائدة ٥
(٢) التوبة ٧٢
(٣) الحديد ٢١
(٤) آل عمران ٩

وكذلك العجب
والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال في روي في الأخبار أنه كان ويكون لهم لا نسميه آيات

مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[1] وقال رسول الله عليه السلام «لا يَقْبَلُ اللهُ تعالى عملًا فيه مقدارُ ذَرَّةٍ من الرياء»[2]، والمصنف تمنة ذكر إبطال الأجر ولم يذكر إبطال العمل اهتمامًا بشأن الأجر والثواب؛ لأن المقصد الأقصى والمطلب الأعلى من العمل هو الأجر والثواب (وكذلك العجب) أي المعجب إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره وعمله كالرياء لأن المعجب يلمن من مكر الله ولا يخاف من زوال إيمانه وأعماله، والأمن من عذاب الله كفر (والآيات) أي المعجزات (ثابتة للأنبياء) عليهم السلام يعني أن خوارق العادة التي تصدر عن الأنبياء كإحياء الأموات وانفجار الماء من بين الأصابع وكعدم إحراق النار وغيرها تسمى آيات؛ لأن الله تعالى يريد بصدورها عنهم أن تكون علامة ودليلًا على نبوتهم وصدقهم.

(والكرامات للأولياء حق) أي الخوارق التي تصدر عن الأولياء تسمى كرامات؛ لأن الله تعالى يريد بصدورها عنهم إكرامهم وإعزازهم، والولي في اللغة: القريب، فإذا كان العبد قريبًا من حضرة الله تعالى بسبب كثرة طاعته وكثرة إخلاصه كان الرب تعالى قريبًا منه برحمته وفضله وإحسانه (وأما التي تكون لأعدائه) أي لأعداء الله تعالى من الأمور الخارقة للعادة (مثل إبليس وفرعون والدجال فيما روي في الأخبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات) فإنها

---

(١) البقرة ٢٦٤

(٢) قال العراقي في تخريج الإحياء (٣/ ٢١١) «لم أجده هكذا» اهـ وكذا قال الفتني في تذكرة الموضوعات (ص ١٧١)

ولا كرامات ولكن نسميه قضاء حاجاتهم؛ وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجًا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغيانًا وكفرًا، وذلك كله جائز ممكن

وكان الله تعالى خالقًا قبل أن يخلق ورازقًا قبل أن يرزق،

للأنبياء عليهم السلام (ولا كرامات) فإنها للأولياء إكرامًا لهم وإحسانًا إليهم (ولكن نسميها قضاء حاجاتهم)

ولما كان من المستبعد عند العقول نصرة قضاء حاجات أعدائه جمع الإمام الأعظم ذلك وبين الحكمة منه بقوله (وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجًا لهم وعقوبة لهم فيغترون به) أي بسبب قضاء حاجاتهم (ويزدادون طغيانًا وكفرًا) فيستحقون بذلك عذابًا مهينًا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1] (وذلك كله جائز ممكن) لا يستحيل في العقل وقوعه؛ قال الله تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] وقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتَ الله تعالى يُعطي العبدَ ما يحبُّ وهو مقيمٌ على معصية فإنما ذلك منه استدراجٌ»[3].

(وكان الله تعالى خالقًا قبل أن يخلق ورازقًا قبل أن يرزق) كرر الإمام الأعظم هذا الكلام للتأكيد؛ أي وكان الله تعالى خالقًا قبل وجود المخلوقات، ورازقًا قبل وجود المرزوقين، قادرًا قبل وجود المقدورات، قاهرًا قبل وجود المقهورات، راحمًا قبل وجود المرحومين، معبودًا قبل وجود العابدين، مجيبًا قبل وجود

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) الأعراف: ١٨٢.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٤٥)، والطبراني في الأوسط (٩٢٧٢) من حديث عقبة بن عامر به. قال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٤٨): «بسند حسن». اهـ.

والله تعالى يُرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رءوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة

السائلين، غنيًا قبل وجود السموات والأرضين، مالكًا قبل وجود المملكة والمملوكين، باقيًا بعد فناء الخلق أجمعين.

(والله تعالى يُرى) على صيغة المجهول (في الآخرة) صفة الدار بدليل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾[1] تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول، وإنما سميت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا، وهو من الصفات التي غلبت عليها الاسمية، وكذلك الدنيا، وإنما سميت بالدنيا لدنوها وقربها عن الآخرة (ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رءوسهم) حال من فاعل «يرى» أي حال كونهم في الجنة، قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيد لكم، فيقولون: ألم تبيِّض وجوهَنَا ألم تدخلنا الجنَّةَ وتنجنا من النارِ، فيقول: بلى»، قال عليه السلام: «فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا عليه السلام: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2]، (بلا تشبيه ولا كيفية) خلافًا للمشبهة والمجسمة (ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة) حين يرونه، والمسافة في اللغة البعد، والمراد بها هاهنا الجهة والمكان والمقابلة، اعلم أن رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة حق معلوم ثابت بالنص لا بالعقل لأنها من المتشابهات وصفًا، قال فخر الإسلام علي البزدوي رحمه الله تعالى في أصول الفقه مثال المتشابه في إثبات رؤية الله تعالى

(١) القصص: ٨٣

(٢) يونس: ٢٦ والحديث أخرجه مسلم ح (١٨١) من حديث صهيب به.

والإيمان هو الإقرار والتصديق،

بالأبصار عيانًا حقًا في الدار الآخرة بنص القرآن بقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾[1] ولأنه موجود بصفات الكمال، وأن يكون مرئيًا لنفسه ولغيره من صفات الكمال، والمؤمن لإكرامه بدلت أهل، لكن إثبات الجهة ممتنع فصار متشابهًا بوصفه فوجب تسليم المتشابه على اعتقاد الحقيقة.

(والإيمان) في اللغة التصديق، وهو قبول خبر المخبر بالقلب ومعناه بالتركي إيناتمق، وفي الشرع (هو الإقرار) باللسان (والتصديق) بالجنان بأن الله تعالى واحد لا شريك له موصوف بصفاته الذاتية والفعلية، وبأن محمدًا رسول الله أي نبيه الذي بعثه بالكتاب والشريعة؛ فالإقرار وحده لا يكون إيمانًا لأنه لو كان إيمانًا لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمانًا لأنها لو كانت إيمانًا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين، وقال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[2] وقال الله تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[3] فمن أراد أن يكون من أمة محمد ﷺ فقال بلسانه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وصدق قلبه معناه فهو مؤمن، وإن لم يعرف الفرائض والمحرمات، ثم إذا قيل له: إن الصلوات الخمس في كل يوم وليلة فرض عليك؛ فإن صدق فرضيتها عليه وقبلها فهو ثابت على إيمانه، وإن أنكرها ولم يقبلها فهو كافر بالله، وكذلك سائر الفرائض والمحرمات الثابتة بدليل قطعي من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقياس الفقهاء

---

(١) القيامة: ٢٢

(٢) المنافقون: ١

(٣) البقرة: ١٤٦

وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال

(وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق) يعني إيمان الملائكة وإيمان الإنس والجن لا يزيد ولا ينقص في الدنيا والآخرة من جهة المؤمن به، لأن من قال: آمنت بالله وبما جاء من عندالله، وآمنت برسول الله وبما جاء من عند رسول الله فقد آمن بجميع ما يجب الإيمان به فهو مؤمن، ومن آمن ببعض ما يجب الإيمان به بأن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولم يؤمن باليوم الآخر فهو كافر، ومن آمن بالله ورسوله ولم يؤمن بغيرهما فهو كافر أيضًا، فلا فرق بين من يؤمن ببعض المؤمن به وبين من يكفر بكل المؤمن به في كونهما كافرين حقًّا (والمؤمنون مستوون في الإيمان) بحسب المؤمن به كما مر (والتوحيد) أي نفي الشرك في الألوهية والربوبية والخالقية والأزلية والقديمية والقيومية والصمدية؛ فمن نفى الشرك في بعضها دون بعض فهو مشرك لا موحد؛ فلا يزيد التوحيد ولا ينقص من هذا الوجه، أما من وجه التقليد والاستدلال فيزيد وينقص، وليس توحيد المستدل بالأدلة العقلية كتوحيد العارف الواصل إلى المكاشفات والمشاهدات والمعارف الإلهية والعلوم الدينية، وكذلك لا يستوي إيمانهم من هذا الوجه (متفاضلون) ومتفاوتون (في الأعمال) أي في الطاعات الظاهرة والباطنة، وهذا يدل على أن العمل الصالح ليس جزءًا من الإيمان؛ لأن العمل يزيد وينقص؛ لأن بعض الناس يحافظ على الصلوات الخمس كلها، وبعضهم يصلي بعضها، وصلوات من صلى بعضها صلوات صحيحة لا باطلة، وصوم من صام رمضان كله صوم

والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى؛ فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام ولكن لا يكون

صحيح، وصوم من صام رمضان إلى نصفه صوم صحيح أيضًا لا باطل، وقس على هذا سائر الأعمال من الفرائض والنوافل، والإيمان ليس كذلك لأن إيمان من آمن ببعض المؤمن به ليس بإيمان صحيح بل هو باطل كصوم من صام بعض يوم واحد ثم أفطر

(والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى) في الصحاح: التسليم بذل الرضا بالحكم، والانقياد الخضوع والخشوع والتطامن والتواضع؛ فمعنى الإسلام هو الرضا بأحكام الله تعالى من الفرائض والمحرمات أي هو الرضا بحكم الله تعالى بكون بعض الأشياء فرضًا ويكون بعض الأشياء حلالًا ويكون بعض الأشياء حرامًا بلا اعتراض ولا استقباح (فمن طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام) لأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[1] أي بمصدق لنا، والإسلام عبارة عن التسليم، وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه، وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، ويدل على كون الإسلام أعم في اللغة كون المنافقين من المسلمين بحسب اللغة، وما كانوا مسلمين بحسب الشرع، وما كانوا مؤمنين بحسب اللغة والشرع؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[2] لوجود الاعتراف باللسان وهو إسلام في اللغة وليس بإيمان في اللغة؛ لعدم التصديق بالقلب (ولكن لا يكون) أي لا يوجد في حكم

(١) يوسف: ١٧
(٢) الحجرات: ١٤

إيمان بلا إسلام ولا يوجد إسلام بلا إيمان وهما كالظهر مع البطن، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها
نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته، وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له

الشرع (إيمان بلا إسلام) لأن الإيمان هو الإقرار والتصديق لألوهية الله تعالى كما هو بصفاته وأسمائه؛ فمن أقر وصدق يوجد فيه التسليم والقبول لمرضية أوامر الله تعالى وحقية أحكامه وشرائعه (ولا يوجد إسلام بلا إيمان) لأن الإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، وذلك لا يوجد إلا بعد التصديق والإقرار؛ فلا يعقل بحسب الشرع مؤمن ليس بمسلم أو مسلم ليس بمؤمن، وهذا مراد القوم بترادف الاسمين واتحاد المعنى (وهما كالظهر مع البطن) أي الإيمان والإسلام متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر كما لا ينفك الظهر عن البطن والبطن عن الظهر (والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها) يعني أن لفظ الدين قد يطلق ويراد به الإيمان، وقد يطلق ويراد به الإسلام، وقد يطلق ويراد به شريعة محمد عليه السلام، وقد يطلق ويراد به شريعة موسى عليه السلام، وقد يطلق ويراد به شريعة عيسى عليه السلام أو غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام

(نعرف الله تعالى حق معرفته) أي نعرف الله تعالى حق المعرفة التي كلفنا بها (كما وصف الله نفسه) أي ذاته تعالى (في كتابه بجميع صفاته) أي نعرف الله تعالى حق معرفته بجميع صفاته التي وصف نفسه بها في كتابه العظيم وكلامه القديم وبجميع أسمائه الحسنى التي في الكتاب والسنة أي نقدر على معرفته تعالى بصفاته وأسمائه على التفصيل، ولا نقدر على معرفته كنه ذاته تعالى، وهذا معنى ما يقال: ما عرفناك حق معرفتك

(وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له) لأن العبادة

ولكنه يعبده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله، ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله،

إجلال الرب وتعظيمه ولا نهاية لجلاله وعظمته وكبريائه؛ فلا يقدر عبد أن يأتي بالعبادة اللائقة بجلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، ولا يقدر أحد أن يعبد الله تعالى عبادة مساوية لثوابه؛ لأن ثوابه تعالى وأجره بغير حساب وبغير زوال، وأعمال العبد بحساب وعلى زوال، وكذلك لا يقدر عبد أن يشكر لله حق شكره؛ لأن شكره يعد ويحصى ونعمة الله تعالى لا تحصى؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1] (ولكنه يعبده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله، ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك) فالمعرفة في اللغة بمعنى العلم، وفي الاصطلاح هي العلم بأسماء الله تعالى وصفاته مع الصدق في معاملاته، واليقين في اللغة هو العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح اليقين هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان، وقد ذكر الله تعالى اليقين في القرآن العظيم على ثلاثة أوجه: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؛ فعلم اليقين ما يحصل عن الذكر والنظر، وعين اليقين ما يحصل عن العيان، وحق اليقين اجتماعهما؛ والأول لعوام العلماء، والثاني لخواص العلماء والأولياء، والثالث للأنبياء عليهم السلام، والتوكل هو الثقة بما عند الله تعالى واليأس عما في أيدي الناس، والمحبة في اللغة المودة، وفي الاصطلاح محبة العبد لله تعالى، هي حالة يجدها في قلبه لا توصف

---

(١) إبراهيم: ٣٤

والله تعالى متفضل على عباده عدل، قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد

بوصف ولا نجد بحد أوضح أو أقرب إلى الفهم من لفظ المحبة، وقال بعض المشايخ: محبة العبد لله تعالى هي التعظيم وإيثار الرضاء وقلة الصبر عن الله وكثرة الاستئناس بذكره دائمًا، والرضاء سرور القلب بمُرِّ القضاء المقضي من المصائب والبلاء، والخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب، والرجاء في اللغة الأمل، وفي الاصطلاح تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل، واعلم أن الرجاء لا يتحقق إلا مع الخوف كما أن الخوف لا يتحقق إلا مع الرجاء؛ فهما متلازمان؛ لأن الرجاء بلا خوف أمن وغرور، والخوف بلا رجاء قنوط ويأس من رحمة الله تعالى، أي المؤمنون يستوون كلهم -متى كان أو فتاة شيخًا كان أو شيخة عبدًا كان أو حرًا- في المعرفة أي في وجوب معرفة الله تعالى أولًا ثم معرفة الأعمال من الفرائض والواجبات والحلال والحرام، والإيمان في ذلك كله أي يستوي المؤمنون في الإيمان بأن المؤمنين يستوون في أصل المعرفة وأصل اليقين وأصل التوكل إلى آخره (ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله) يعني ويتفاوت المؤمنون كلهم في الأمور المذكورة بحسب وجود كل واحد منها وعدمه وزيادته ونقصانه، ولا يتفاوتون في الإيمان بذلك كله بحسب المؤمن به لا بحسب التصديق واليقين. (والله تعالى متفضل على عباده عادل قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد) أي ما يستحقه العبد استحقاقًا بحسب وعد الله تعالى وحكمه قال الله تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضَاعفُ الحسنةَ بعشرِ أمثالِها إلى سَبعِمائةِ

---

(١) الأنعام: ١٦٠

تفضلًا منه، وقد يعاقب على الذنب عدلًا منه، وقد يعفو فضلًا منه.

وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت،

ضعف»(1)، وقوله: (تفضلًا منه) لنفي الاستحقاق الذاتي؛ لأن الوعد بالثواب والحكم به ليس بواجب على الله تعالى بل هو تفضل واختيار من الله تعالى (وقد يعاقب على الذنب عدلًا منه) أي عدلًا من الله تعالى؛ لأنه تصرف في خالص ملكه، والظلم هو التصرف في ملك الغير بلا إذنه (وقد يعفو فضلًا منه) أي وقد يعفو عن الذنب صغيرًا كان ذلك الذنب أو كبيرًا مقرونًا بالتوبة أو غير مقرون بها، والعفو عن الذنب لمن يشاء فضل وإحسان لا حق للعبد، والعفو إسقاط العذاب عمن يستحق عقابه قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾(2) (وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت) بالكتاب والسنة وإجماع الأمة قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(3) وهو إثبات الشفاعة لمن أذن له بها، قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمتي مَنْ كَذَّبَ بها لم يَنَلْهَا»(4)، وقال رسول الله ﷺ:

---

(1) أخرجه البخاري ح (42)، ومسلم ح (129) من حديث أبي هريرة بنحوه.

(2) الشورى 25.

(3) البقرة 255

(4) أخرجه أبو داود ح (4739)، والترمذي ح (2435)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». اهـ. وصححه ابن حبان ح (6468)، والحاكم في المستدرك ح (228، 229، 230) من حديث أنس به، وأخرجه الترمذي ح (2436)، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». اهـ. وصححه ابن حبان ح (6467)، والحاكم في المستدرك ح (231) من حديث جابر به، وليس عندهم: «من كذب بها لم ينلها» ويشهد لهما ما أخرجه البخاري ح (6304، 7474)، ومسلم ح (199) من حديث أبي هريرة: «أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق، وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق، والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز،

«يَشْفَعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياءُ ثم العلماءُ ثم الشهداءُ»(١)، والشفاعة مصدر الشفيع وهو من يطلب قضاء حاجة غيره، مشتق من الشفع (ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق) قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾(٢) والإقرار بالوزن يوم القيامة من مذهب أهل السنة والجماعة والله تعالى أعلم بكيفيته، وقال الإمام الأعظم في كتاب الوصية: وقراءة الكتب حق لقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٣) (وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق) قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدًا»(٤)

(والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز) قال رسول الله ﷺ: «من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه من عِرْضِه أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٤٣١٣) من حديث علي بن عثمان به، وفي إسناده عنبسة بن عبد الرحمن: قال ابن معين: لا شيء، وقال أبو زرعة: منكر الحديث واهي الحديث، وقال أبو حاتم: متروك الحديث كان يضع الحديث، وقال البخاري: تركوه، وقال أبو داود والنسائي والدارقطني: ضعيف، وقال النسائي في موضع آخر: متروك، وقال الترمذي: يضعف، وقال أبو الفتح الأزدي: كذاب، وقال ابن حبان: هو صاحب أشياء موضوعة لا يحل الاحتجاج به. ينظر تهذيب الكمال (٢٢/ ٤١٨).

(٢) الأعراف: ٨.

(٣) الإسراء: ١٤.

(٤) أخرجه البخاري ح (٦٥٧٩)، ومسلم ح (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو به

والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبداً،

درهمٌ إن كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدرِ مَظْلَمَتِه، فإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئاتِ صاحبِه فَحُمِلَ عليه»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «أتدرون مَنِ المُفْلِسُ؟» قالوا: المفلسُ من لا درهمَ له ولا متاعَ له، فقال عليه السلام: «إن المفلسَ من أمتي من يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ يأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناتُهُ قبل أن يقضِيَ ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النارِ»(٢) (والجنة) وهي دار الثواب الدائم (والنار) وهي دار العقاب الدائم (مخلوقتان اليوم) كما قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾(٣) وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾(٤) والفعل الماضي هو اللفظ الدال على ثبوت معنى في زمان قبل زمانِ إخبارك، فالجنة والنار مخلوقتان قبل أن يقول جبريل عليه السلام لمحمد عليه السلام: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾، ولفظ «نجعلها» في قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ﴾(٥) بمعنى نعطيها كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾(٦) أي أعطيت له (لا تفنيان أبداً) معناه يطرأ عليهما الفناء، ولكن

(١) أخرجه البخاري ح (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة به.
(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة به.
(٣) آل عمران: ١٣٣.
(٤) آل عمران: ١٣١.
(٥) القصص: ٨٣.
(٦) المدثر: ١٢.

ولا تموت الحور العين أبدًا ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدًا

ليس فناؤهما أبديًا بل مؤقت بقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] ولا يلحقهما الفناء أصلًا، أما قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فمعناه أن كل ممكن فهو هالك في حد ذاته بمعنى أن الوجود الإمكاني بالنظر إلى الوجود الواجبي بمنزلة العدم، والبقاء العارضي بالنظر إلى البقاء الذاتي بمنزلة الفناء (ولا تموت الحور العين أبدًا) أي لا يطرأ عليهن عدم، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين يرفعن أصواتهن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له»[2]، قوله: فلا نبيد أي فلا نهلك، كذا في المصابيح (ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدًا) السرمد الدائم قال الله تعالى:

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) أخرجه الترمذي ح (٢٥٦٤) من حديث علي به، وقال: «حديث غريب». اهـ. وقال ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٥٦- ٢٥٧): «هذا حديث لا يصح، والمتهم به عبد الرحمن بن إسحاق وهو أبو شيبة الواسطي، قال أحمد: ليس بشيء منكر الحديث، وقال يحيى: متروك». وقال في العلل المتناهية (٢/ ٩٣١): «هذا حديث لا يصح قال أحمد: عبد الرحمن بن إسحاق ليس بشيء، وقال يحيى: متروك وقد روي في ذكر سوق الجنة غير هذا أصلح منه» اهـ. وتعقب ابن الجوزي ابن حجر في القول المسدد (ص ٣٤) فقال: «قد أخرجه من طريقه الترمذي وقال: غريب، وحسن له غيره مع قوله إنه تكلم فيه من قبل حفظه، وصحح الحاكم من طريقه حديثًا غير هذا، وأخرج له ابن خزيمة في الصيام من صحيحه آخر، لكن قال: في القلب من عبد الرحمن شيء. انتهى. وله شاهد من حديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط فيما رأيته في كتاب الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله، ولفظه: إن في الجنة لسوقًا ما يباع فيها ولا يشترى ليس فيها إلا الصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها، لم أقف على إسناده في الأوسط، ثم وقفت عليه في ترجمة محمد بن عبد الله بن مطير، وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف» اهـ.

والله تعالى يهدي من يشاء فضلًا منه ويضل من يشاء عدلًا منه، وإضلاله خذلانه، وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه، وهو عدل منه، وكذا عقوبة المخذول على المعصية، ولا يجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهرًا وجبرًا، ولكن نقول: العبد يدع الإيمان

﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[1] أي باقون دائمون، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾[2] والآيات والأحاديث في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار كثيرة.

(والله تعالى يهدي من يشاء فضلًا منه، ويضل من يشاء عدلًا منه، وإضلاله خذلانه، وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه وهو عدل منه) أي من الله تعالى (وكذا عقوبة المخذول على المعصية) عدل لا ظلم فيه؛ لأن الله تعالى لا يكون ظالمًا بالخذلان وبعقوبة المخذول على المعصية؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والله تعالى وضع التصرف في ملكه لا في ملك غيره، وعرف الإمام الأعظم إضلال الله تعالى بخذلانه وفسر الخذلان بأن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه؛ والهداية هنا بمعنى التوفيق وهو جعل الأسباب موافقة للسعادة والخير (ولا يجوز أن نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان) أي الإقرار والتصديق (من العبد المؤمن قهرًا وجبرًا) لأن غرض الشيطان من سلب الإيمان منه تعذيبه فلا يحصل غرضه بالقهر والجبر؛ لأن العبد المؤمن لا يكون معذبًا وهو مجبور في سلب الإيمان فلا يسلبه جبرًا (ولكن نقول: العبد يدع) أي يترك (الإيمان

---

(١) المائدة: ٨٠
(٢) النساء: ١٢٢

فحينئذ يسلبه منه الشيطان

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز.

فحينئذ) أي فحين تركه العبد (يسلبه منه الشيطان) لأنه لو سلبه قبل تركه لزم على الله تعالى جبر العبد على الكفر، وقد علمت أن الله تعالى لا يخلق الكفر في قلب العبد بدون اختياره وحبه

(وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم، ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز) المنكر اسم المفعول والنكير فعيل بمعنى المفعول، وإنما سميا بهذين الاسمين لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورتهما، وفي الصحاح منكر ونكير اسما ملكين؛ ضغط يضغط ضغطًا زحمه إلى حائط ونحوه، ومنه ضغطة القبر بالتركي قبر صيقمق، وفي المصابيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِرَ الميتُ أتاه ملكانِ أزرقانِ أسودانِ يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولانِ له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا فيقول: هو عبدُالله ورسولُهُ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفتح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له: نم فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نَمْ كَنَوْمَةِ العروسِ الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهلِهِ إليه حتى يبعثَهُ اللهُ من مَضْجَعِهِ ذلك، وإن كان منافقًا أو كافرًا قال: سمعتُ الناسَ يقولون قولًا فقلتُ مثلَهُ لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض: التئمي عليه؛ فتلتئم عليه، فتختلف أضْلَاعُهُ فلا يزال

وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى - عز اسمه - فجائز القول به، سوى اليد بالفارسية، ويجوز أن يقال: بروي خداي عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية، وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان، والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف،

فيها معذبًا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك»[1] (وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية) أي بغير العربية (من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به) وكذا كل شيء ذكره العلماء بغيرها من أسماء الله تعالى فجائز القول به؛ فيجوز أن يقال: خداي تعالى توانست (سوى اليد بالفارسية) أي بغير العربية؛ فلا يجوز أن يقال: دست خداي (ويجوز أن يقال: بروي خداي ﷻ بلا تشبيه ولا كيفية وليس قرب الله تعالى ولا بعده) أي وليس قرب العبد من الله تعالى ولا بعد العبد من الله تعالى (من طريق طول المسافة وقصرها) لأن القرب والبعد من هذا الطريق لا يتصور إلا في المتمكن والمتحيز في مكان وجهة، والله تعالى منزه عن المكان والحيز والجهة؛ لأنه تعالى ليس بجوهر ولا عرض (ولكن على معنى الكرامة والهوان) يعني قرب العبد من الله تعالى هو كرامة العبد وكماله، وبعد العبد من الله تعالى هوان العبد ونقصانه، وإطلاق القرب على الكرامة والبعد على الهوان مجاز مرسل من قبيل إطلاق السبب على المسبب (والمطيع قريب منه بلا كيف) ليس قربه من الله تعالى من طريق قصر المسافة والجهة (والعاصي بعيد منه بلا كيف) أي ليس بعده من الله تعالى من طريق طول المسافة والجهة

---

(١) أخرجه الترمذي ح (١٠٧١)، وقال: «حديث حسن غريب» اهـ. وصححه ابن حبان ح (٣١١٧) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي، وكذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه بلا كيفية.

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة والعظمة إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور، مثل آية الكرسي؛ لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته؛ فاجتمعت فيه فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور،

(والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي) أي يقع على العبد المتذلل لله تعالى المتضرع إليه لا على الله تعالى؛ ألا ترى أن القرب والبعد على معنى الكرامة والهوان، وأن الله تعالى أقرب إلى العبد من حبل الوريد (وكذلك جواره) أي مجاورة المطيع لله تعالى (في الجنة والوقوف بين يديه) أي بين يدي الله تعالى (بلا كيفية) أي ليس هذا على معناه الظاهر بل من المتشابهات. قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: القرب من الله تعالى في البعد من صفات البهائم والسباع، والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان، ومن لم يكن قريبًا ثم صار قريبًا فقد تغير أي تبدل من الشقاوة إلى السعادة بسبب حسن أعماله (والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب، وآيات القرآن في معنى الكلام) أي في كونها كلام الله تعالى (كلها مستوية في الفضيلة والعظمة) قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ كَلَامِ اللهِ تعالى على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ تعالى على خَلْقِهِ»[1] وآيات القرآن كلها مستوية في هذه الفضيلة فضل كل آية على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه (إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته فاجتمعت فيه فضيلتان: فضيلة الذكر وفضيلة المذكور)

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري به، وقال: «حديث حسن غريب». اهـ. وقال ابن حجر في الفتح (٩/ ٦٦): «رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف». اهـ.

وليعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفرة، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار.

وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها

وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعًا بنات رسول الله ﷺ

وهو الله تعالى وصفاته وأسماؤه، وكذلك الآيات التي يذكر فيها الأنبياء والأولياء فيها فضيلتان (وليعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار) فيها فضيلة القرآن لأنها كلام الله تعالى لا كلامهم (وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها) يعني لا تفاوت بين أسماء الله تعالى ولا تفاوت بين صفات الله أي لا تفاوت بين أسمائه وصفاته؛ إذ كلها مستوية في العظمة وفي الفضل الذي حصل لها بكونها أسماء الله تعالى وصفاته، وبكونها لا هو ولا غيره، قال الإمام الغزالي ﷺ تعالى: اعلم أن هذا الاسم - يعني اسم الله - أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية، ولأنه أخص الأسماء؛ إذ لا يطلق على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازًا، وسائر الأسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعالم والرحيم وغيره.

(وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعًا بنات رسول الله ﷺ) هذا رد على من روى أن أولاد رسول الله ﷺ أكثر أو أقل من المذكورين في هذه الرواية وهي الصحيحة؛ كان رسول الله ﷺ تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة فولد له منها ستة أولاد، وولد له من مارية إبراهيم وهي جارية قبطية، وولد إبراهيم بالمدينة ومات صغيرًا رضيعًا؛ قال البراء ﷺ: لما توفي إبراهيم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالمًا فيسأله، ولا يسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالوقف فيه ويكفر إن وقف.

«إن له مرضعًا في الجنة»[١] (وإذا أشكل) على الإنسان أي المؤمن (شيء) أي مسألة (من دقائق) أي من مسائل (علم التوحيد) والصفات (فإنه ينبغي له) أي يجب عليه (أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى) بأن يقول مثلًا: إن ما أراد الله منه حق واقع، أو يقول: اعتقدت ما هو الصواب عند الله تعالى، وهذا القدر يكفي (إلى أن يجد عالمًا) يعلم مسائل التوحيد والصفات (فيسأله) ما أشكل عليه (ولا يسعه) أي لا يجوز له (تأخير الطلب) أي تأخير طلب ما أشكل عليه من دقائق علم التوحيد، وتأخير طلب العلم الذي هو فرض عليه، وهو علم الإيمان وعلم ما يزول به الإيمان ويحصل به الكفر، وعلم ما يكون به من معتقد أهل السنة والجماعة؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢] وقال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] وقال رسول الله ﷺ «طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ»[٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا العِلْمَ ولو بالصين»[٥]، (ولا يعذر بالوقف فيه) أي لا يكون معذورًا

---

(١) أخرجه البخاري ح (١٣٨٢) من حديث البراء به.

(٢) محمد: ١٩.

(٣) النحل: ٤٣.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ١١٨)، والبيهقي في الشعب ح (١٦٦٣) من طريق الحسن بن عطية عن أبي العاتكة عن أنس به.

قال البزار في مسنده (١/ ١٧٥): «لا يعرف أبو العاتكة ولا يدرى من أين هو؟ فليس لهذا الحديث أصل» اهـ. وقال البيهقي: «هذا الحديث شبه مشهور وإسناده ضعيف وقد روي من أوجه كلها ضعيفة» اهـ. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢١٥-٢١٦) وقال: «هذا =

ويكفر إن وقف،
وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضال،

بالتوقف فيما أشكل عليه من الاعتقاديات (ويكفر إن وقف) فيه فيما أشكل عليه إذا كان من ضروريات الدين؛ لأن التوقف في المؤمن به كفر؛ لأن التوقف يمنع التصديق، وإذا قال: آمنت بالله واعتقدت ما هو الحق عند الله تعالى يثبت به إيمانه الإجمالي (وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضال) أي من أنكر المعراج إلى السماء فهو مبتدع ضال؛ لأن عروج رسول الله عليه الصلاة والسلام بجسده في اليقظة إلى السماء ثابت بالخبر المشهور، وهو قريب من الخبر المتواتر في القوة، وفي كتاب الخلاصة: ومن أنكر المعراج يعتبر إن أنكر الإسراء من مكة إلى بيت المقدس فهو كافر، ولو أنكر المعراج من بيت المقدس يكفر؛ لأن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ثبت بدليل قاطع من الكتاب قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] والمعراج من بيت المقدس لم يثبت بدليل قاطع من الكتاب فيكون منكره مبتدعًا ضالًا، قال مقاتل في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾: كان ذلك الإسراء قبل الهجرة بسنة، قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أنا في المسجدِ الحرام في الحِجْرِ عندَ البيتِ بين النائمِ واليقظانِ إذ أتاني جبريلُ عليه السلام بالبُراقِ وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يقع حافرُهُ عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ

---

* حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ فأما الحسن بن عطية فضعفه أبو حاتم الرازي، وأما أبو عاتكة فقال البخاري: منكر الحديث. قال ابن حبان: وهذا الحديث باطل لا أصل له. اهـ.

(١) الإسراء: ١.

وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن.

والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فربطته بالحلقة التي ربطها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ فجاءني جبريلُ عليه السلام بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاخترتُ اللبنَ، فقال جبريلُ عليه السلام: اخترتَ الفطرةَ، ثم عُرِجَ بنا إلى السماء» الحديث»[1]، (وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن) عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: طلع النبي عليه الصلاة والسلام علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟»، قالوا: نذاكر الساعة قال عليه الصلاة والسلام: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر الدَّجَّالَ والدُّخانَ والدابةَ وطلوعَ الشمسِ من مغربِها ونزولَ عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوجَ ومأجوجَ وثلاثةَ خسوفٍ: خسفٌ بالمشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرجُ من اليَمَنِ تطردُ الناسَ إلى محشرِهِمْ»[2]. كذا في المصابيح (والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٦٢/ ٢٥٩) من حديث أنس، وأخرجه ح (١٦٤) من حديث أنس لعله قال: عن مالك بن صعصعة.

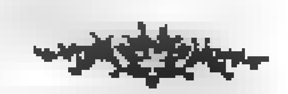
(٢) أخرجه مسلم ح (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري به.

قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٨/ ٢٧): «هذا الإسناد مما استدركه الدارقطني وقال: لم يرفعه غير فرات عن أبي الطفيل من وجه صحيح. قال: ورواه عبد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفًا. هذا كلام الدارقطني، وقد ذكر مسلم رواية ابن رفيع موقوفة كما قال، ولا يقدح هذا في الحديث، فإن عبد العزيز بن رفيع ثقة حافظ متفق على توثيقه فزيادته مقبولة». اهـ.

مستقيم) أي يوفق ويثبت على اعتقاد صحيح وعمل صالح من تعلقت مشيئته الأزلية في الأزل بهدايته.

قول الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى: والله يهدي من يشاء إلى آخره، كأنه قال: فما علينا إلا البلاغ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، اللهم يا هادي المهتدين اهدنا إلى الصراط المستقيم، بفضلك وإحسانك العميم يا حليم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم الشرح المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه





كتاب الجوهرة المنيفة

في شرح

وصية الإمام الاعظم أبي حنيفة

تأليف

الإمام المشهور بملا حسين

ابن إسكندر الحنفي

رحمهم الله تعالى



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود والبقاء، المتفرد بالقدرة الكاملة والعز والكبرياء، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد أشرف الأنبياء وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء، يقول العبد الفقير الحقير إلى مولاه العزيز القوي المدعو بملا حسين بن إسكندر الحنفي - عامله الله بلطفه الخفي

وبعد: فإني استخرت الله في وضع شرح مختصر على كتاب الوصية المنسوب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ بعد أن وقفت على شرحه للعلامة الأكمل، وهو شرح عظيم لكن في عبارته دقة، وفيه أيضًا مذاهب الفرق الضالة؛ فيعسر التمييز على المتعلمين، فإني إن شاء الله تعالى أذكر العبارات الواضحة ولا أذكر مذاهب الفرق الضالة استقلالًا، وأيضًا أزيد فيه - إن شاء الله تعالى - فوائد لطيفة جليلة من الترغيب والترهيب، وسميته (الجوهرة المنيفة في شرح وصية الإمام أبي حنيفة)

ثم اعلم أني متى ذكرت الشارح على الإطلاق فمرادي به العلامة الأكمل شارح هذا الكتاب، ومتى ذكرت شرح بدء الأمالي فمرادي به شرح شمس الدين محمد بن أبي اللطف المقدسي، ومتى ذكرت بحر الكلام فمرادي به كتاب العلامة سيف الحق أبي المعين النسفي، وبالله التوفيق.

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان) أقول: روجد في بعض نسخ المتن «ومعرفة بالقلب» والجنان بالفتح هو القلب كما قاله الأختري، والإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال الله تعالى خبرًا عن إخوة يوسف ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[1] أي بمصدق كما قاله الشارح ﷺ كما في بحر الكلام: الإيمان شرعًا إقرار باللسان وتصديق بالقلب بوحدانية الله تعالى، وفي الفقه الأكبر للمصنف: يجب أن يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى.

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (والإقرار لا يكون وحده إيمانًا لأنه لو كان إيمانًا لكان المنافقون كلهم مؤمنين، وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمانًا لأنها لو كانت إيمانًا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين، قال الله تعالى في حق المنافقين ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[2]) أقول: أي فيما أضمروه مخالفًا لما قالوا- كذا في تفسير الجلالين، وفي القاموس: نافق في الدين أي ستر كفره وأظهر إيمانه، ويأتي زيادة إيضاح، قال: (وقال الله تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾[3] أي محمدًا ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾) أقول: أي بنعته في كتابهم، قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي بمحمد ﷺ أشد، رواه البخاري- كذا في تفسير الجلالين[4].

وعن ابن عباس ﷺ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال عمر بن الخطاب ﷺ لعبد الله بن سلام: قد أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) يوسف: ١٧.
(٢) المنافقون: ١.
(٣) البقرة: ١٤٦.
(٤) تفسير الجلالين (ص ٢٨)، وليس فيه عزو قول ابن سلام للبخاري

﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فكيف يا عبدالله هذه المعرفة؟ فقال عبدالله بن سلام: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان، وأنا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني، فقَبَّل عمر رضي الله عنه رأسه ثم قال: وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وأصبت(١)- كذا في الشرح.

والحاصل أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان أي القلب، فتارك القول كافر عند الناس وإن كان مؤمنًا عند الله في الأصح، وتارك التصديق منافق، وبالله التوفيق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رضي الله عنه: (الإيمان لا يزيد ولا ينقص) أقول: هذا عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم، وقال عنه: (لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر، ولا يتصور زيادته إلا بنقصان الكفر، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمنًا وكافرًا؟) استدل الإمام رضي الله عنه على هذا بأن زيادة الإيمان لا يتصور إلا بنقصان الكفر، ونقصانه لا يتصور إلا بزيادة الكفر، واجتماعهما في ذات واحدة في حالة واحدة محال، وهذا لأن الكفر ضد الإيمان وهو تكذيب وجحود- كذا في الشرح.

وقال المصنف أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر: إيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص، والمؤمنون مستوون في درجة الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال.

فإن قيل: يرد علينا قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾(٢) وغير ذلك من الآيات، وقوله ﷺ: «الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ شُعْبَةً .. الحديث»(٣).

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٧) إلى الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس بنحوه.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) أخرجه مسلم ح (٣٥/ ٥٧) من حديث أبي هريرة به. وأخرجه البخاري ح (٩) من حديث أبي هريرة بلفظ: «بضع وستون شعبة».

أجيب بأن ذلك في حق الصحابة ﷺ؛ لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون به فيكون زيادة على الأول، وأما في حقنا فلا؛ لانقطاع الوحي- كذا في بحر الكلام.

وروي عن ابن عباس ﷺ وأبي حنيفة عنه أنهم كانوا آمنوا بالجملة ثم يأتي فرض بعد فرض فيؤمنون بكل فرض خاص فزادهم إيمانًا بتفصيل مع إيمانهم بالجملة- كذا في الشرح؛ فيكون زيادة الإيمان باعتبار المؤمن به لا في أصل التصديق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (والمؤمن مؤمن حقًا والكافر كافر حقًا).

أقول: إن من قام به التصديق فهو مؤمن حقٌّ، ومن قام به خلافه فهو كافر حقًا- كذا في الشرح، ويأتي الدليل من القرآن قال: (وليس في الإيمان شك كما أن ليس في الكفر شك لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[2] أقول: قال أهل السنة والجماعة: إذا أتى بالإيمان يقول: أنا مؤمن حقًا من غير شك ولا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله- كذا في بحر الكلام، وفيه أيضًا: أن الاستثناء يرفع جميع العقود نحو الطلاق والعتاق، فكذلك يرفع عقد الإيمان، وتمامه هناك في بعض الكتب: لو قال المؤمن: أكون مؤمنًا غدًا إن شاء الله تعالى أو أموت مؤمنًا إن شاء الله تعالى أو يكون إيماني مقبولًا إن شاء الله تعالى يكون مستحسنًا، لأن في هذا الاستثناء في الدوام والثبات والقبول لا في أصل الإيمان.

وذكر في الدرة المنيفة في نية الصوم: لا يبطل النية لفظ إن شاء الله، وفي شرحها: لأن الاستثناء هذا ليس على حقيقته وإنما هو للاستعانة وطلب التوفيق من الله تعالى؛ فلا يصير مبطلًا للنية بخلاف الطلاق والعتاق ونحوه وتمامه

---

(١) الأنفال: ٤.
(٢) النساء: ١٥١.

هناك، والحاصل أن المؤمن إذا قال: أنا مؤمن حقًا يكون مصيبًا بالاتفاق، وإن قال: أنا مؤمن إن شاء الله، فإن قصد التعليق بالمشيئة في الحال كان مخطئًا بالاتفاق، وإن قصد التعليق في المستقبل لا يكون مخطئًا بالاتفاق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (والعاصون من أمة محمد ﷺ كلهم مؤمنون وليسوا بكافرين). أقول: إن العبد المؤمن لا يكون كافرًا بالفسق والمعصية لأن الإيمان إقرار وتصديق، والإقرار والتصديق باق فيكون الإيمان باقيًا، إلا أن تكون المعصية موجبة للكفر فيكون الإيمان زائلًا لأن الكفر يزيل الإيمان كما سبق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (العمل غير الإيمان والإيمان غير العمل). أقول: هذا عند أهل الحق- نصرهم الله تعالى- خلافًا للخوارج، قال ابن حجر الهيثمي في شرح الأربعين النووية: الإيمان هو لغة التصديق، وشرط التصديق بالقلب فقط- إلى أن قال: وقيل: يشترط أن ينضم إلى ذلك إقرار باللسان وعمل بسائر الجوارح، فيكفر من أخل بواحد من هذه الثلاثة وهو مذهب الخوارج، وفيه فوائد جليلة تراجع هناك.

قال: (بدليل أن كثيرًا من الأوقات يرتفع العمل من المؤمن ولا يجوز أن يقال ارتفع عنه الإيمان؛ فإن الحائض والنفساء يرفع الله سبحانه وتعالى عنهما الصلاة، ولا يجوز أن يقال: رفع الله عنهما الإيمان، وأمرهما بترك الإيمان، وقد قال لهما الشارع: دعي الصوم ثم اقضيه، ولا يجوز أن يقال: دعي الإيمان ثم اقضيه).

أقول: الحائض تقضي الصوم إذا طهرت ولا تقضي الصلاة، وكذلك النفساء- كما في مفتاح السعادة، فدل أن الإيمان غير العمل والعمل غير الإيمان، قال: (ويجوز أن يقال: ليس على الفقير زكاة، ولا يجوز أن يقال: ليس على الفقير إيمان).

أقول: إن الإيمان غير العمل، والعمل غير الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١) سماهم مؤمنين قبل إقامة الصلاة- كما في بحر الكلام.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (نقر بأن تقدير الخير والشر كله من الله تعالى، لأنه لو زعم أن تقدير الخير والشر من غيره لصار كافرًا بالله تعالى وبطل توحيده) أقول: إن تقدير الخير والشر كله من الله تعالى لأنه خالق جميع الممكنات، ومن جملته الشر فيكون خالقًا له أيضًا؛ فمن زعم أي قال: إن الشر لا يكون من الله يكون كافرًا لأنه أشرك بالله تعالى- كذا في الشرح، وقال علي بن سلطان محمد القاري: قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبلَ أَنْ يَخلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةً وكان عَرْشُهُ على الماءِ» رواه مسلم(٢)، وقال القسطلاني في المواهب اللدنية: أخرج مسلم في صحيحه(٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ تعالى كَتَبَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أنْ يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ وكانَ عَرْشُهُ على الماءِ» وتمام هذا البحث يجيء إن شاء الله تعالى.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (نقر) أي معشر أهل السنة والجماعة (بأن الأعمال ثلاثة: فريضة وفضيلة ومعصية) أقول: أراد بالأعمال ما يتعلق بالآخرة يثاب أو يعاقب عليه، وإلا فالأعمال ليست محصورة في ثلاثة- كذا في الشرح، قال:

---

(١) إبراهيم: ٣١.

(٢) صحيح مسلم ح (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) انظر الهامش السابق.

(والفريضة بأمر الله) أقول: قال الشارح: اتفق المسلمون على أن الفرض إنما هو بأمر الله تعالى، لكنهم اختلفوا في مدلول الأمر وتمامه هناك، قال (ومشيئته ومحبته ورضاه) أقول: قال الشارح: المشيئة والإرادة واحدة عند المتكلمين، وقال الأختري: يقال: شاء أي أراد، والرضاء من الله هو إرادة الثواب على العمل أو ترك الاعتراض، والمحبة قريب منه، قال: (وقضائه وقدره) أقول: الفرق بين القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ إجمالاً، والقدر هو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في المواد الخارجية مفصلة واحدة بعد واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] وتمامه في شرح القرماني على مقدمة أبي الليث (وتخليقه) أقول: التخليق هو التكوين، وهو صفة الله تعالى أزلية تكوينية للعالم أي إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود وهو غير المكون عندنا، كما في متن العقائد وشرحها- وتمامه هناك، وفي التمهيد: التكوين غير المكون- بكسر الواو، والمكون- بفتح الواو- أثر التكوين، والتكوين غير المكون- وتمامه هناك، وفي شرح الفقه الأكبر: والتخليق والإنشاء والفعل والصنع واحد وهو إحداث الشيء بعد أن لم يكن لا على مثال سبق، قال: (وحكمه وعلمه) أقول: هما صفتان أزليتان لذاته تعالى وتقدس، قال: (وتوفيقه) أقول: التوفيق هو جعل الأسباب موافقة للسعادة والخير- كما في شرح الفقه الأكبر لأبي المنتهى.

وقيل: التوفيق هو فتح باب الطاعة وضيق باب المعصية، قال (وكتابته في اللوح المحفوظ) أقول: يأتي الكلام عليه قريباً، قال: (والفضيلة ليست بأمر الله تعالى) أقول: الفضيلة ليست بأمر الله تعالى، وإلا لكانت فريضة قال: (ولكن بمشيئته

---

(١) الحجر: ٢١.

ومحبته ورضاه وقضائه وقدره وحكمه وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ) أقول: بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة قال: (والمعصية ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيئته لا بمحبته، وبقضائه لا برضاه، وبتقديره وتخليقه لا بتوفيقه) أقول: قد سبق تفسيرها، قال (وبخذلانه) أقول: الخذلان ضد التوفيق، قال (وعلمه لا بمعرفته وبكتابته في اللوح المحفوظ) أقول: اختلفوا في اللوح المحفوظ، قال في دقائق الأخبار: خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض سبع مرات، وعلقه بالعرش مكتوب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام- كما في تفسير الخازن- وسعة الأرض مسيرة خمسمائة سنة، البحار ثلاثمائة، ومائة خراب، ومائة عمران- وتمامه في الدر المنثور[1]، وذكر الشارح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أول ما خلق الله تبارك وتعالى اللوح المحفوظ، حفظه بما كتب فيه عما كان وما يكون، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، وهو من درة بيضاء، قوائمه ياقوتتان حمراوان، وهو في عظم لا يوصف، وخلق الله سبحانه وتعالى قلمًا من جوهر طوله خمسمائة عام مشقوق اللسان ينبع النور منه كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المداد، وفي الهيئة السنية للسيوطي: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق لوحًا أحدُ وجهيه من ياقوتةٍ حمراءَ والوجهُ الثاني من زمردةٍ خضراءَ، قلمُهُ النورُ، فيه يخلق وفيه يرزق وفيه يحيي وفيه يميت وفيه يعز وفيه يذل وفيه يفعل ما يشاء في كل يوم وليلة إلى أن تقومَ الساعةُ»[2].

---

(١) (٤/ ٦٠٢)

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو الشيخ في العظمة ح (١٥٨/ ٤١) من حديث أنس بن مالك، وفي إسناده محمد بن عثمان الحراني، قال الذهبي في الميزان (٣/ ٦٤١): «عن مالك بن دينار بخبر باطل» قال

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله؟- تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا) أقول: إن معنى الألوهية الاستغناء عن كل ما سواه، وافتقار كل ما سواه إليه- كذا في السنوسية، فثبت أن الله تعالى منزه عن الاحتياج وعن الحلوس والقرار والمكان والزمان، وهو خالق الكل من غير احتياج، وعن جعفر الصادق ﷺ أنه قال: التوحيد ثلاثة أحرف: أن تعرف أنه ليس من شيء ولا في شيء ولا على شيء؛ لأن من وصفه أنه من شيء فقد وصفه بأنه مخلوق فيكفر، ومن قال: إنه في شيء فقد وصفه بأنه محدث فيكفر، ومن قال: على شيء فقد وصفه بأنه محتاج محمول فيكفر.

وعن محمد بن الحسن أنا نقول: نؤمن بما جاء من عند الله تعالى على إرادة الله تعالى ولا نشتغل بكيفيته، وبما جاء من عند رسول الله ﷺ على ما أراد به رسول الله ﷺ، واختلفوا في العرش قال بعضهم: هو سرير من نور، وقال بعضهم: ياقوتة حمراء- كما في بحر الكلام، وقال في دقائق الأخبار: خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض سبع مرات وعلقه بالعرش

= الأزدي: متروك الحديث، والخبر: لله لوح من در وياقوت قلمه النور فيه يخلق ويرزق ويحيي ويميت. وأما حديث ابن عباس فأخرجه أبو الشيخ في العظمة أيضًا ح (١٠٩/ ٢/ ٤٤) بنحوه موقوفًا عليه، وفي إسناده أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف رافضي ينظر تهذيب الكمال (٤/ ٣٥٧- ٣٥٩).

مكتوب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره(١) وأبو الشيخ في كتاب العظمة(٢) عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسي بالعرش ملتصق، والماء كله في جوف الكرسي، والماء على متن الريح، وحول العرش أربعة أنهار: نهر من لؤلؤ يتلألأ ونهر من نار يتلظى ونهر من ثلج أبيض تلمع منه الأبصار ونهر من ماء، والملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون الله تعالى، وللعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم فهو يسبح الله ويذكره بتلك الألسنة كلها، وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن كعب الأحبار قال: إن السموات في العرش كالقنديل المعلق بين السماء والأرض.

وأخرج ابن جرير(٤) وابن مردويه(٥) وأبو الشيخ(٦) عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرٍّ ما السمواتُ السبعُ في الكرسيِّ إلا كحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ في أرضٍ فَلَاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكرسيِّ كفضلِ الفَلَاةِ على تلك الحلقة» كما في الهيئة السنية للسيوطي.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﵁: (ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق) أقول: وكذا الحكم في سائر صفاته تعالى، قال العلامة سيف الحق أبو المعين النسفي: فنقول: الله تعالى بجميع

(١) عزاه له السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٤).
(٢) العظمة ح (١٩٠/ ١).
(٣) عزاه له السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٥)
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٦) بنحوه
(٥) عزاه له السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧).
(٦) العظمة ح (٢٠٧/ ١٧)، (٢٦٠/ ٧٠)

صفاته وأسماؤه قديم أزلي، وصفات الله تعالى وأسماؤه لا هو ولا غيره، لأنا لو قلنا بأن هذه الصفات هو الله يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، والله تعالى واحد لا شريك له، ولو قلنا بأن هذه الصفات غير الله تعالى لكانت هذه الصفات محدثة، وهذا لا يجوز- انتهى، قال: (مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسن، محفوظ في الصدور وغير حال فيها) أقول: ليس بموضوع في المصاحف ولا يحتمل الزيادة والنقصان حتى إن من أحرق المصاحف لا يحترق القرآن كما أن الله تعالى مذكور بالألسن محبوب بالقلوب معبود في الأماكن، وليس بموجود في الأماكن ولا في القلوب كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1] وإنما وجدوا نعته وصفاته لا شخصه- كما في بحر الكلام، والحاصل أن المكتوب في المصحف الألفاظ الدالة على المعنى القائم بالذات، والمعنى القائم بذاته تعالى غير حال في المصاحف، قال: (والحبر والكاغد والكتابة مخلوقة لأنها أعمال العباد، وكلام الله تعالى غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن).

أقول: وجد في بعض النسخ: آلة القرآن قال: (لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء) أقول: قال المصنف في الفقه الأكبر: وما ذكره الله تعالى في القرآن عن موسى وغيره من الأنبياء وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كلام الله تعالى إخبارًا عنهم، وكلام الله غير مخلوق- انتهى، وقال في شرح بدء الأمالي للعلامة المقدسي: إنه قد اتفق أهل الملة على أنه تعالى متكلم، فلو لم يكن متصفًا بالكلام في الأزل لكان متصفًا بضده وهو السكوت وذلك من النقائص- تعالى الله عن ذلك، ثم اختلفوا فمذهب أهل الحق منهم أن كلام الله

---

(١) الأعراف: ١٥٧

تعالى معنى قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت؛ لأن الحرف والصوت مخلوقان، وكلام الله تعالى غير مخلوق لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى؛ إذ هو من أمارات الحدوث، وتمامه هناك وغيره أيضًا كبحر الكلام.

قال: (فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم، والله تعالى معبود لا يزال كما كان وكلامه مقروء أو مكتوب ومحفوظ من غير مزايلة عنه) قال أبو يوسف ﷺ: إن أبا حنيفة موزع في خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيه على أنه غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر- كذا في الشرح.

فائدة

أخرج الدارمي[1] عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن»، كذا في البحر الرائق، وقال علي ﷺ: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات، وإن كان القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب- كما في شرح شرعة الإسلام للعلامة السيد علي، وإذا علمت ما ذكر فيجب تعظيم القرآن، ومن تعظيمه قراءته بالتجويد والعمل بما فيه، وبالله التوفيق.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (نقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين لقوله تعالى:

---

(١) سنن الدارمي ح (٣٣٥٨)، وفي إسناده ضعف، فيه عبد الله بن صالح صدوق كثير الغلط، ينظر تهذيب الكمال (١٥/ ٩٨)، والراوي عن عبد الله بن عمرو رجل من شيوخ مصر.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] وكل من كان أسبق فهو أفضل، ويحبهم كل مؤمن تقي ويبغضهم كل منافق شقي) أقول أجمع أهل السنة والجماعة أن أفضل الصحابة أبو بكر؛ يدل عليه أن عليًّا ﷺ كان خطيبًا على منبر الكوفة فقال محمد بن الحنفية: مَنْ خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: عمر، قال: ثم من؟ قال: عثمان، قال: ثم من؟ فسكت علي ﷺ فقال: لو شئت لأنبأتكم بالرابع، فقال محمد بن الحنفية: أنت؟ فقال علي: أبوك امرؤ من المسلمين، وإنما سكت علي لأنه لم يرد أن يمدح نفسه- كذا في بحر الكلام

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ (نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة) أقول: قال أهل السنة: أفعال العباد وجميع الحيوانات مخلوقة لله تعالى لا خالق لها غيره، وهو مذهب الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين-كذا في الشرح.

ثم اعلم أن المذاهب في الأفعال ثلاثة: مذهب الجبرية ومذهب القدرية ومذهب أهل السنة، فمذهب الجبرية وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط من غير مقارنة لقدرة حادثة، ومذهب القدرية وجود الأفعال الاختيارية بالقدرة الحادثة فقط مباشرة وتولدًا.

لطيفة

وهي أن الإمام أبا حنيفة ﷺ ناظر معتزليًّا فقال له: قل با، فقال: با، فقال له: قل جا، فقال: جا، فقال: بيِّن مخرجهما! فبيَّنهما، قال: إن كنت خالق فعلك

---

(١) الواقعة: ١٠-١٢.

فأخرج الياء من مخرج الحاء فصارت معتزلي- كذا ذكره الهروي.

ومذهب أهل السنة نصرهم الله تعالى وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية، لأن قدرة الحادث حادثة لا تأثير لها مباشرًا ولا تولدًا- كذا في المقدمة السوسية والحاصل أن أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد على معنى أن الله تعالى أجرى عادته بأن العبد إذا صمم العزم أي أحكمه على فعل الطاعة يخلق الله فعل الطاعة فيه، وإذا عزم على المعصية يخلق الله فعل المعصية فيه، وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وإن لم يكن موجدًا حقيقة- كذا ذكره العلامة الشارح وتمامه هناك.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (نقر) أي معشر أهل السنة والجماعة (بأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة لأنهم ضعفاء عاجزون) أقول: قال الشارح: الخلق والإيجاد بمعنى واحد، والخلق بمعنى المخلوق كالضرب بمعنى المضروب، صانع العالم أوجد المخلوقات كلها وهم ضعفاء لا قدرة لهم على تأثير أحوالهم عاجزون عما يتم به قوام بدنهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[1] انتهى.

قال: (والله خالقهم ورازقهم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[2]) أقول: فإنه سبحانه وتعالى خالق الخلق ورازقهم، ثم الرزق عندنا عبارة عن الغذاء كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[3] حلالًا كان ذلك أو حرامًا، وكل يستوفي مدة حياته ما قدر

---

(١) الروم: ٥٤.
(٢) الروم: ٤٠.
(٣) هود: ٦.

له- كذا قاله العلامة الشارح وغيره أيضًا.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ (والكسب حلال وجمع المال حلال) **أقول**. قال أهل السنة والجماعة: إن كان له قوت فلكسب له رخصة؛ فإن كان مضطرًا أو له أهل وعيال فالكسب عليه فريضة- كذا في بحر الكلام، وفيه أيضًا أن رؤية الرزق من الكسب كفر وضلال، ومن الله تعالى دين وشريعة، يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من طلب الدنيا حلالًا استعفافًا عن المسألة وسعيًا على عيالِهِ وتعطفًا على جارِهِ جاء يوم القيامة ووجهه كالقمرِ ليلة البدرِ، ومن طلب الدنيا حلالًا مفاخرًا مكاثرًا لقي الله وهو عليه غضبانُ**»[1].

وفيه أيضًا: ثم الدليل على أن الاكتساب من حلال ليس بحرام لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا متوكلين مكتسبين؛ لأن آدم ﷺ كان زراعًا، وإدريس ﷺ كان خياطًا، ونوحًا ﷺ كان نجارًا، وإبراهيم ﷺ كان بزازًا، وموسى ﷺ كان أجيرًا لشعيب ﷺ، ومحمدًا ﷺ كان غازيًا- انتهى ملخصًا من بحر الكلام وتمامه هناك.

قال: (وجمع المال من الحرام حرام) أقول: قوله: «وجمع المال من الحرام حرام» ظاهر لأن الحرام لا يصير حلالًا بالجمع كعكسه، وأيضًا أن الحرمة تنتقل من ذمة إلى ذمة، فقال في الأشباه والنظائر في الحظر والإباحة: الحرمة تتعدى في الأموال مع العلم بها إلا في حق الوارث فإن مال مورثه حلال له وإن علم

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده ح (١٤٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٠)، (٨/ ٢١٥)، والبيهقي في الشعب ح (١٠٣٧٤، ١٠٣٧٥) من رواية الحجاج بن فرافصة عن مكحول عن أبي هريرة به، وقال أبو نعيم: «غريب من حديث مكحول، لا أعلم له راويا عنه إلا الحجاج» اهـ. وضعف إسناده العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٧٤)، (٣/ ١٧٣).

بحرمته، وقيده في الظهيرية بأن لا يعلم أرباب الأموال، وقال في موضع آخر: ما حرم حرم إعطاؤه كالربا ومهر البغي وحلوان الكاهن والرشوة وأجرة النائحة- انتهى من الأشباه والنظائر

تنبيه

رد دانق حرام من فضة أفضل عند الله تعالى من ستمائة حجة مبرورة، وقيل: سبعين حجة متقبلة- كما في غنية الطالبين للشيخ عبدالقادر الكيلاني، والدانق وزن خمس شعيرات- كما قاله الأخترى، وقيل: الدانق وزن سدس درهم، والقيراط نصف دانق، وأخرج الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نَفْسُ المُؤمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»[1]، قال العلماء: معلقة أي محبوسة عن مقامها الكريم- كما ذكره الجلال السيوطي في شرح الصدور.

فائدة

من عليه ديون ومظالم جهل أربابها ويئس من معرفتهم فعليه التصدق بقدرها من ماله وإن استغرق جميعه وتسقط عنه المطالبة في العقبى، كما في التنوير وعزاه شارحه إلى المجتبى.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (ثم الناس على ثلاثة أصناف: المؤمن المخلص في إيمانه) أقول: قال في القاموس: أخلص لله أي ترك الرياء، وقال العلامة الشارح: المؤمن المخلص أي المصدق المقر من صميم قلبه.

---

(١) أخرجه الترمذي ح (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وابن ماجه ح (٢٤١٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم في المستدرك ح (٢٢١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٧٢).

قال: (والكافر الجاحد في كفره) أي المصر، وفي القاموس: الجحود الإنكار مع العلم.

قال: (والمنافق المداهن في نفاقه) أقول: قال في القاموس: نافق في الدين أي ستر كفره وأظهر إيمانه، وقال الشارح: المنافق المداهن أي الذي أقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه، وداهن مع المؤمن في نفاقه.

قال: (والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الإيمان وعلى المنافق الإخلاص بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾[1] يعني يا أيها المؤمنون أطيعوا ويا أيها الكافرون آمنوا ويا أيها المنافقون أخلصوا)

أقول: استدل المصنف أبو حنيفة ﵁ على هذه الأمور الثلاثة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ وجعل التقوى عبارة عما ينبغي لكل واحد منهم كما فسره في المتن، وتمام هذا البحث مبسوط في الشرح.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﵁: (ونقر بأن الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل) أقول: قال الشارح: الاستطاعة والقدرة والطاقة مترادفة إذا أضيف إلى العباد.

قال: (لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيًا عن الله تعالى وقت الحاجة، فهذا خلاف حكم النص لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[2] ولو كان بعد الفعل لكان من المحال لأنه حصول الفعل بلا استطاعة ولا طاقة لمخلوق في فعلٍ ما لم تقارنه الاستطاعة من الله تعالى) أقول: قال أهل الحق نصرهم الله: العبد مستطيع بفعل نفسه وقت الفعل باستطاعته؛ فإذا وجد منه الجهد والقصد

---

(١) الحج: ١.
(٢) محمد: ٣٨.

والنية والاكتساب في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده فيستحق العقوبة على فعل نفسه، وإذا وجد ذلك في الطاعة فيجري عون الله تعالى وتوفيقه مع فعله- كما في بحر الكلام انتهى، والمحال بضم الميم ما لا يمكن في العقل تقدير وجوده في الخارج- كما في شرح بدء الأمالي.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رضي الله عنه: (ونقر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يومًا وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها) أقول: المراد من الواجب هنا اعتقاد جوازه، يعني أن المسح على الخفين جائز واعتقاد جوازه واجب- ويأتي قريبًا.

قال: (لأن الحديث ورد هكذا، فمن أنكره فإنه يخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخبر المتواتر) أقول: ثبت جوازه بالأحاديث المشهورة القريبة من المتواتر، ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله: من أنكر المسح على الخفين يخاف عليه الكفر، وعلى قول أبي يوسف يكفر جاحده؛ لأن المشهور عنده من قسم المتواتر، ومن العلماء من قال: إنه ثبت بالكتاب على قراءة الجر- قاله الزيلعي، وقد أنكره الرافضة، ولذلك كان القول به محكومًا بأنه من عقائد الإسلام- كذا في هداية ابن العماد، وفي الخلاصة: لا يصلي خلف من ينكر المسح على الخفين- كذا في بعض شروح الفقه الأكبر.

قال: (والقصر والإفطار في السفر رخصة بنص الكتاب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[1] وفي الإفطار قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[2]) أقول: قال العلامة الشارح: والقصر والإفطار في السفر رخصة، والمراد اعتقاد

(١) النساء: ١٠١

(٢) البقرة: ١٨٤

حقيقة التبديل والتأخير في أحكام الشرع باعتبار مصالح العباد فضلًا من الله الرحيم الودود، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أي إذا سافرتم فلا إثم عليكم في قصركم الصلاة- انتهى كلامه ملخصًا.

فائدة

الرخصة ما بني على إعذار العباد، والعزيمة ما كان حكمًا أصليًا غير مبني على إعذار العباد، وتمامه في البحر الرائق

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (نقر بأن الله تعالى أمر القلم أن يكتب، فقال القلم: ماذا أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[1]) أقول: قال الشارح رحمه الله: روي أن الله تبارك وتعالى خلق اللوح المحفوظ وحفظه بما كتب فيه مما كان وما يكون، ولا يعلم ما فيه إلا الله تعالى، وهو من درة بيضاء قوائمه ياقوتتان حمراوان، وهو في عظم لا يوصف، وخلق الله سبحانه وتعالى قلمًا من جوهر طوله خمسمائة عام مشقوق اللسان، ينبع النور منه كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المداد.

قال أبو الحسن: ثم نودي بالقلم أن اكتب! فاضطرب من هول النداء حتى صار له ترجيع في التسبيح كصوت الرعد العاصف، ثم جرى في اللوح بما أجراه الله تعالى فيما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة، فامتلأ اللوح وجف القلم، وسعد من سعد وشقي من شقي، ولعل هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾، أخبر الله تعالى أن جميع ما فعله الأمم كان

(١) القمر: ٥٢-٥٣.

مكتوبًا عليهم؛ قال مقاتل: كل شيء فعلوه في الزبر أي مكتوبًا عليهم في اللوح المحفوظ، وكل صغير وكبير من الخلق والأعمال مستطر مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه- انتهى كلام الشارح.

وأخرج أبو الشيخ[1] عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى أوّل شيء خَلَقَ القَلَمَ وهو من نور؛ مسيرته خمسمائة عام، وجرى بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة؛ فصدقوا بكل ما بلغكم عن الله من قدرته وعظمته فهو القادر القاهر»، كذا في الهيئة السنية للسيوطي.

وأخرج البيهقي[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «وأوّلُ ما خلقَ اللهُ القَلَمَ ثم خَلَقَ العَرْشَ والكرسيَّ ثم لوحًا محفوظًا من درةٍ بيضاء دفتاهُ من ياقوتةٍ حمراءَ قَلَمُهُ نورٌ وكتابُهُ نُورٌ يَنظرُ اللهُ فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرةً يخلق الله في كل نظرةٍ ويحيي ويميت ويعز ويذل ويرفع أقوامًا ويخفض أقوامًا»، كذا في الهيئة السنية أيضًا.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (ونقر بأن عذاب القبر كائن لا محالة) أقول: قال المصنف أبو حنيفة في الفقه الأكبر: عذاب القبر حق للكفار كلهم ولبعض عصاة المسلمين - انتهى.

وقال في بحر الكلام: ثم المؤمن على وجهين: إن كان مطيعًا لا يكون له

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ح (٢٢٣/ ٣٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ح (٨٢٨، ١٠٠٤)، والحاكم في المستدرك ح (٣٩١٧)، وأبو الشيخ في العظمة ح (٢٤١/ ٥٢) عن ابن عباس موقوفًا، وصححه الحاكم فقال: «حديث صحيح الإسناد، فإن أبا حمزة الثمالي لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط». اهـ. وليس كما قال الحاكم، ففي إسناده أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف رافضي، ينظر تهذيب الكمال (٤/ ٣٥٧).

عذاب القبر ويكون له ضغطة، وإن كان عاصيًا يكون له عذاب القبر وضغطة القبر، لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليلته ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة، وإن مات يوم الجمعة أو ليلته يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة، ويكون الروح متصلًا بالجسد، وكذا إذا صار ترابًا يكون روحه متصلًا بجسده فيتألم الروح والتراب- انتهى ملخصًا.

وقال في خزانة الروايات: إذا كان كافرًا فعذابه يدوم إلى يوم القيامة، ويرتفع عنه العذاب يوم الجمعة وشهر رمضان بحرمة النبي عليه الصلاة والسلام- انتهى.

فإن قيل: كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح؟

فالجواب: سئل النبي ﷺ أنه قيل له: كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح؟ فقال ﷺ: «كما يوجع سنك، ولم يكن الروح»- كما في بحر الكلام وتمامه هناك.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (نقر بأن سؤال منكر ونكير حق لورود الأحاديث) أقول: سؤال منكر ونكير حق، وهما ملكان إذا وضع العبد في قبره يأتيان ويقعدان العبد سويًا ويسألانه: من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول المؤمن في الجواب: الله ربي ومحمد نبي والإسلام ديني.

قال بعضهم: تدخل الروح في الجسد كما في الدنيا، وقال بعضهم: السؤال للروح دون الجسد، وقال بعضهم: تدخل الروح إلى الصدر، وقال بعضهم: تدخل الروح بين الجسد والكفن، والصحيح نحن نؤمن بذلك ولا نشتغل بكيفيته- كما نبه عليه في دقائق الأخبار وغيره.

ثم الحكمة في سؤال منكر ونكير أن الملائكة طعنت في بني آدم حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1] الآية فرد الله عليهم قولهم وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيبعث الله الملكين إلى قبر المؤمن بسؤالاته عن ذلك إلى آخره فيأمرهما أن يشهدا بين يدي الملائكة بما سمعا من العبد المؤمن؛ لأن أقل الشهود اثنان، ثم يقول الرب جل وعلا: يا ملائكتي قد أخذت روحه وتركت ماله لغيره، وزوجته في حجر غيره، وجاريته لغيره، وضياعه لغيره، وأحباءه لغيره؛ فيسأل في بطن الأرض فلم يجب عن أحد إلا عني، فقال: الله ربي ومحمد نبيي والإسلام ديني، لتعلموا أني أعلم ما لا تعلمون- كذا في دقائق الأخبار.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (ونقر بأن الجنة والنار حق، وهما مخلوقتان الآن، لا تفنيان ولا يفنى أهلها لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] وفي حق الكفار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[3] خلقهما للثواب والعقاب) أقول: قال أهل السنة والجماعة نصرهم الله: سبعة لا تفنى: العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار بأهلها والأرواح، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[4] يعني الجنة والنار بأهلها من ملائكة العذاب والحور العين- كما في بحر الكلام ملخصًا.

فإن قيل: يرد عليكم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5] أجيب: لا

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) آل عمران: ١٣٣.
(٣) البقرة: ٢٤.
(٤) النمل: ٨٧.
(٥) القصص: ٨٨.

يرد بما تقدم من الاستثناء، وأيضاً قال القسطلاني في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي إلا ذاته، فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم- انتهى كلام القسطلاني.

وقال العلامة الشارح: قلنا لا نسلم أن قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يدل على أن ما سوى الله تعالى ينعدم، فإن معناه أن كل شيء مما سوى الله تعالى معدوم في ذاته بالنظر إلى ذاته من حيث إنه ممكن مع قطع النظر عن وجوده؛ لأن كل ما سواه ممكن، والممكن بالنظر إلى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر إلى ذاته موجوداً- وتمامه هناك.

وفي شرح الجوهرة للقاني: فقد استثنوا من ذلك العرش والكرسي والجنة والنار وأهلها فلا يعتريها هلاك ولا فناء، ومثل هذا الجواب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد استثناء اللوح والقلم والأرواح، وفيه أيضاً أن معنى هالك قابل للهلاك من حيث إمكانه وافتقاره، وكذلك معنى فان؛ فإن معناه قابل للفناء- وتمامه مبسوط هناك، فهذا كله رد على المعتزلة والجهمية.

فائدة

خلق الله الجنة فوق سبع سموات لا في السموات، وكيف يقال بأنها في السموات وهي ألف ألف مرة مثل السموات، قال الله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[1] والسدرة فوق سبع سموات، وكذلك جهنم تحت الأرض السابعة قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[2] والسجين تحت الأرض السابعة؛ فأرواح الكفار يذهب بها إلى سجين، وأرواح

---

(١) النجم: ١٤-١٥

(٢) المطففين: ٧

المؤمنين والشهداء إلى عليين - كذا في بحر الكلام.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ (ونقر بأن الميزان حق لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[1]) أقول: الميزان حق للكفار والمسلمين، وهو عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال وتوزن به أعمالهم خيرًا كان أو شرًا - كذا ذكره الشارح، وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: تكتب الحسنات في صحيفة وتوضع في كفة والسيئات في كفة أخرى، وقال محمد بن علي الترمذي: يوزن العمل من غير رجل، أي يوزن عمله دون شخصه فيرى ذلك كالنور والشمس والقمر وهذا للمسلم، أما عمل الكافر كظلمة الليل.

ثم إن العمل وإن كان عرضًا بالله سبحانه وتعالى قادر على أن يصيره بحال يمكن أن يوضع ويرى.

وقال الشيخ الإمام المفسر: إيمان المرء لا يوزن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى؛ لأن ضده الكفر، والإنسان الواحد لا يكون فيه الإيمان والكفر - كذا في بحر الكلام لسيف الحق أبي المعين النسفي، وفي تفسير المفتي أبي السعود أفندي: إن أعمال الكفار لا توزن ولا يوضع لهم ميزان قطعًا.

فإن قيل: أين محل الحسنات وأين الميزان؟

قلنا: الميزان والحساب على الصراط فيوزن حسنات كل واحد وسيئاته؛ فمن ثقلت موازينه يمضي إلى الجنة، ومن كان من أهل الشقاوة يسقط في النار، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَسْقُطُ فِي النَّارِ كَالمطرِ»، كذا في بحر الكلام، وروي عن ابن عباس ﷺ قال: ينصب الميزان يوم القيامة بين

---

(١) الأنبياء: ٤٧

عمودين طول كل عمود منها ما بين المشرق والمغرب، وكفة الميزان كأطباق الدنيا طولها وعرضها، وإحدى الكفتين عن يمين العرش وهي كفة الحسنات، والأخرى عن يسار العرش وهي كفة السيئات، وبين الموازين كرءوس الجبال من أعمال الثقلين مملوءة من الحسنات والسيئات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة- كما في دقائق الأخبار.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (ونقر بأن قراءة الكتاب يوم القيامة حق لقوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾[1]) أقول: يقال له: اقرأ كتابك الذي أملأته بالظلم في الدنيا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، وإذا جمع الله الخلائق في عرصات القيامة وأراد أن يحاسبهم تطاير عليهم كتبهم كتطاير الثلج، وينادى من قبل الرحمن: يا فلان خذ كتابك بيمينك! ويا فلان خذ كتابك بشمالك! ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك، فلا يقدر أحد أن يأخذ كتابه إلا كما أمر، فالأتقياء يعطون كتابهم بأيمانهم، والأشقياء بشمائلهم، والكفار من وراء ظهورهم كما قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[2] ..الآية، كما في دقائق الأخبار.

وفي الخبر: إذا أراد الله تعالى محاسبة الخلائق ينادي مناد من قبل الرحمن: أين النبي ﷺ الهاشمي الحرمي؟ فيعرض رسول الله ﷺ فيحمد الله ويثني عليه فتتعجب الجموع منه ويسأل ربه أن لا يفضح أمته، فيقول تعالى: اعرض أمتك لحسابهم يا محمد، فيعرضون فيحاسبهم الله تعالى، فمن حاسبه حسابًا يسيرًا لا

---

(١) الإسراء: ١٤.

(٢) الحاقة: ١٩.

يخصص عليه ويجعل سيئاته داخل صحيفته وحسناته ظاهر صحيفته ويوضع على رأسه تاج من ذهب مكلل بالدر والجوهر، ويلبس سبعين حلة، ويجعل له ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ، فيرجع إلى إخوانه المؤمنين فلا يعرفونه من حسنه وكماله، ويكون بيمينه كتاب أعمال حسناته والبراءة من النار مع الخلد في الجنة، فيقول لهم: أتعرفونني أنا فلان ابن فلان قد أكرمني الله تعالى وبرأني من النار وحسبني في دار الجنان- كما في دقائق الأخبار.

وأما الكافر فيوضع على رأسه تاج من نار ويلبس حلة من نحاس ذائب، ويقلد على عنقه حبل الكبريت ويشتعل فيه النار، ويغل يده إلى عنقه ويسود وجهه وتزرق عيناه؛ فيرجع إلى إخوانه، فإذا رأوه فزعوا منه ونفروا عنه فلا يعرفونه حتى يقول: أنا فلان، ثم يجرونه على وجهه إلى النار؛ فهؤلاء الكفار الذين يؤتون كتابهم بشمالهم فلا يأخذونها بشمالهم ولكن يأخذونها من وراء ظهورهم؛ على ما روي عنه ﷺ: «إن الكافر إذا دُعِيَ للحساب باسمه فيقدم ملك من ملائكة العذاب فيشق صدره حتى يخرج يده اليسرى من وراء ظهره بين كتفيه ثم يعطى كتابه بشماله»- كما في دقائق الأخبار أيضًا وتمامه هناك، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما بين مَنكِبَي الكافرِ مَسِيرَةُ ثلاثةِ أيامٍ للراكبِ المسرعِ»[1]، رواه البخاري ومسلم وغيرهما كما في الترغيب والترهيب[2].

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (ونقر بأن الله يحيي هذه النفوس بعد الموت ويبعثهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة للجزاء والثواب وأداء الحقوق): أقول: أجمع المسلمون على أن الله يحيي الأبدان بعد موتها، ويبعث الموتى من القبور ومن أجواف

(١) أخرجه البخاري ح (٦٥٥٣)، ومسلم ح (٢٨٥٢).

(٢) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٣)

الوحوش ومن حواصل الطيور بأن يجمع أجزاء معدم الأصلية بعد إعادة ما فني منها بعينه، ويعيد الأرواح إليها، وهذا هو النشر، ثم يسوقهم إلى الموقف، وهذا هو الحشر، فيجزيهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر - كما في شرح بدء الأمالي.

قال: (لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[1]) أقول: قال المصنف في الفقه الأكبر: والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق؛ فإن لم تكن لهم حسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز، وقال شارحه: قال رسول الله ﷺ: «من كانتْ له مظلمةٌ لأخيهِ مِنْ عِرْضِهِ أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدرِ مظلمتِهِ، وإن لم تكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحبِهِ فَحُمِلَ عليه»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «أتدرون مَن المفلسُ؟ المفلسُ من أمتي من يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا؛ فيُعطَى هذا من حسناتِهِ وهذا من حسناتِهِ، فإن فَنِيَتْ قبلَ أن يقضيَ ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ثم طُرِحَ في النَّارِ»[3] انتهى.

روي أنه يؤخذ يوم القيامة بالدانق ثواب سبعمائة صلاة بالجماعة - كما في شرح منية المصلي والبحر الرائق وغيرهما، والدانق: وزن خمس شعيرات كما قاله الأحتري، وقيل: وزن سدس درهم، والقيراط: نصف دانق.

فائدة

من عليه ديون ومظالم جهل أربابها ويئس من معرفتهم فعليه التصدق بقدرها من ماله، وإن استغرق جميعه وتسقط عنه المطالبة في العقبى، كما في التنوير وعزاه شارحه إلى المجتبى، وفي عمدة الفتاوى: إذا وجد لقطة وعرفها ولم يجد صاحبها

---

(١) الحج: ٧.

(٢) أخرجه البخاري ح (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة ؓ.

وهو محتاج فباعها وأنفق على نفسه ثمنها ثم وجد مالًا يجب عليه أن يتصدق مثل ما أنفق.

ثم الذنوب على أوجه: منها ما يكون بينه وبين ربه كالزنا وشرب الخمر والغيبة والبهتان إذا لم يبلغ صاحبه الخبر ترتفع بالتوبة، أما إذا بلغه الخبر لا ترتفع ما لم يجعله في حل؛ وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم لا يرتفع بالتوبة إلا بقضاء الفوائت- كذا في بحر الكلام ملخصًا.

فصل

قال أبو حنيفة ﷺ: (ونقر بأن لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة) أقول: لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق، يعني أن رؤية الباري عز وجل في الآخرة لأهل الجنة حق، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة؛ لأن الله تعالى موجود، ورؤية الموجود غير محال، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] وغير ذلك من الآيات والسنن.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (وشفاعة نبينا محمد ﷺ حق لكل من هو من أهل الجنة وإن كان صاحب كبيرة) أقول: بأن شفاعة نبينا عليه أفضل الصلاة يوم القيامة لعصاة الأمة حق، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2]، ولقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[3]، والمراد بالكبائر

---

(١) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٧٣٩)، والترمذي ح (٢٤٣٥)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٨)، والحاكم في المستدرك ح (٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠) من حديث أنس به، وأخرجه الترمذي ح (٢٤٣٦)، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٧)، والحاكم في المستدرك ح (٢٣١) من حديث

=

هنا ما عدا الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١].

فإن قيل: أنتم أثبتم الشفاعة للمؤمنين، والمعتزلة يقولون: مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، واستدلوا بظاهر قول النبي ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٢].

قلنا: أراد به إذا استحل ذلك، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذر الغفاري ﷺ: «نادِ في النَّاسِ: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإنْ زَنَى وإنْ سَرَقَ»[٣]- كذا في بحر الكلام للعلامة سيف الحق أبي المعين النسفي وغيره.

فإن قيل: ظاهر الحديث يقتضي أن من قال: لا إله إلا الله في عمره ولو مرة واحدة يموت على الإيمان قطعًا ويدخل الجنة مع أن الموت على الإيمان لا يقطع به لأحد إلا لمن أخبر الصادق عنه بأنه يدخل الجنة، قلت: هذا الحديث وأمثاله مقيد بقيد يفهم من أحاديث أخر، والتقدير من قال: لا إله إلا الله ومات على ذلك دخل الجنة.

فصل

قال المصنف أبو حنيفة ﷺ: (ونقر بأن عائشة بعد خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها أفضل نساء العالمين وهي أم المؤمنين ومطهرة عن الزنا وبريئة عما قال الروافض فمن شهد عليها بالزنا) أقول: من افترى عليها واتهمها به (فهو ولد الزنا) أقول. قال الشارح: بل هو كافر، لأنه ينكر الآيات الدالة على براءة ساحتها رضي الله عنها وعن

جابر ﷺ. ويشهد لها ما أخرجه البخاري ح (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم ح (١٩٩) من حديث أبي هريرة «أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»

(١) النساء: ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ح (٢٤٧٥)، ومسلم ح (٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٨٢٧)، ومسلم ح (٩٤)، وليس فيه أنه أمره أن ينادي في الناس

أبيها، ومن أنكر آية من القرآن فهو كافر - انتهى ملخصًا

فصل

قال المصنف أبو حنيفة رحمه الله: (ونقر بأن أهل الجنة في الجنة خالدون وأهل النار في النار خالدون لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] وفي حق الكافرين ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2])

أقول: إن قوله: «وأهل الجنة في الجنة خالدون إلخ» إشارة إلى أن العفو عن الكفر لا يجوز عقلًا عندنا خلافًا للأشعري، وتخليد المؤمنين في النار وتخليد الكافرين في الجنة عنده يجوز عقلًا أيضًا، وعندنا لا يجوز، لأن الحكمة تقتضي التفرقة بين المحسن والمسيء، ولهذا استبعد الله التسوية بينهما لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[3] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[4] - كذا ذكره الشارح، وأدلتنا وأدلتهم مبسوطة في الشرح - والله أعلم.

* * *

---

(١) الأعراف: ٤٢

(٢) البقرة: ٣٩

(٣) ص: ٢٨.

(٤) الجاثية: ٢١.

تتمة في الترغيب والترهيب وغيره

الترغيب في ذكر الجنة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قلنا: يا رسول الله! حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لَبِنَةٌ من ذهبٍ وَلَبِنَةٌ من فضةٍ، وحصباؤها اللؤلؤُ والياقوتُ، ومِلَاطُهَا المِسْكُ وترابُها الزعفرانُ، من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت؛ لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[1]- كذا في الدر المنثور[2].

الملاط: بكسر الميم هو الذي يجعل بين لبنة الذهب والفضة.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجنةِ حَافَّتَاهُ من ذهبٍ ومَجْرَاه على الدرِّ والياقوتِ، وتربتُهُ أطيبُ من المسكِ، وماؤه أحلى من العسلِ وأبيضُ من الثلجِ»[3]- رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح- كذا في الترغيب والترهيب[4]، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً الذي له ثمانون ألفَ خادمٍ»[5]، الحديث رواه الترمذي، وتمامه في الترغيب والترهيب[6].

وفي دقائق الأخبار قال كعب: سئل رسول الله ﷺ عن أشجار الجنة، فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٥٢٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤)، وعبد بن حميد في مسنده ح (١٤٢٠)، وابن حبان في صحيحه ح (٧٣٨٧)، وقال الترمذي: «حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي مدلة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ». اهـ

(٢) الدر المنثور (١/ ٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي ح (٣٣٦١)، وابن ماجه ح (٤٣٣٤).

(٤) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٥)

(٥) أخرجه الترمذي ح (٢٥٦٢)، وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين». اهـ

(٦) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٩).

«لا تيبسُ أغصانُها ولا تسقطُ أوراقُها ولا تفنى أرطابُها»، وفيه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها[1]، وفيه أيضًا قال النبي ﷺ: «الجنةُ بيضاءُ تتلألأُ لا ينامُ أهلُها ولا شمسَ فيها ولا ليلَ فيها ولا نومَ فيها لأن النومَ أخو الموتِ».

وفيه أيضًا أن أهل الجنة لا يبزقون ولا يمتخطون ولا يكون لهم شعر الإبط والعانة إلا الحاجبين وشعر الرأس والعين ثم يزدادون كل يوم جمالًا وحسنًا كما يزدادون في الدنيا هرمًا -انتهى كلام دقائق الأخبار.

وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: «نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع» قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى، قال: «فتكون حاجةُ أحدِهم رَشحًا يفيضُ من جلودِهم كَرَشْحِ المسكِ فيضمُرُ بطنُهُ»[2]، رواه أحمد والنسائي وغيرهما، كذا في الترغيب.

* * *

---

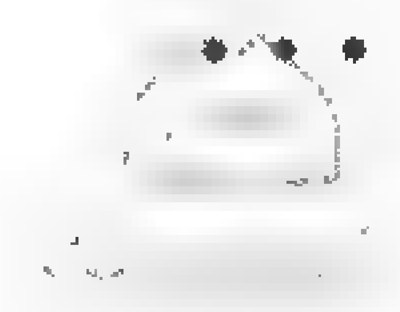
(١) أخرجه البخاري ح (٤٨٨١)، ومسلم ح (٢٨٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٧)، والنسائي في الكبرى ح (١١٤٧٨)، وصححه ابن حبان ح (٧٤٢٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٩١): «رواته محتج بهم في الصحيح» اهـ. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٢٥١): «بإسناد صحيح». اهـ.

الترهيب من ذكر جهنم - أعاذنا الله منها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريلُ صِفْ لي النارَ وانعتْ لي جهنمَ»، فقال جبريل عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتحت من جهنم لمات مَنْ في الأرض كلهم[1] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لو أن رجلًا من أهل النار أخرج إلى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره ونتن ريحه[2]

* * *



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٢٥٨٣) من طريق سلام الطويل عن الأجلح بن عبد الله الكندي عن عدي بن عدي الكندي عن عمر بن الخطاب به، وقال: «لا يروى هذا الحديث عن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به سلام» اهـ. وقال ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار (ص ٥٥): «سلام الطويل ضعيف جدًّا» اهـ. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٠٦): «فيه سلام الطويل وهو مجمع على ضعفه» اهـ.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ح (١٠٤)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٦٣): «رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا وفي إسناده ابن لهيعة» اهـ.

الترهيب أيضًا من دخول بعض عصاة المؤمنين النار اللهم أجرنا منها

إذا ألقي عصاة المؤمنين في النار نادوا بأجمعهم لا إله إلا الله فترجع عنهم النار، فيقول مالك: يا نار خذيهم، فتقول النار: كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله، فيقول مالك: نعم بذلك أمر رب العرش العظيم فتأخذهم! منهم من تأخذه إلى قدمه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى سرته، ومنهم من تأخذه إلى حلقه؛ فإذا قرب صوت النار إلى وجوههم يقول مالك: يا نار لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن ولا تحرقي قلوبهم فطالما عطشوا من شدة رمضان فيقول: ما شاء الله - انتهى كلام دقائق الأخبار، وبعدما أنفذ الله تعالى حكمه فيهم وانتقم منهم يخرجون من النار بشفاعة محمد ﷺ؛ فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد خرجوا من النار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار، وهو قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1] كما في دقائق الأخبار، ثم يدخلون الجنة بمحض فضل أرحم الراحمين ويخلدون في الجنة أبدًا كما ذكر.

* * *

---

(١) الحجر: ٢.

فوائد في عجائب قدرة الله تعالى جل جلاله

فائدة

يروى في الأخبار المأثورة المشهورة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة مثل السموات السبع والأرضين السبع ثم نظر إليها نظرة هيبة فصارت ماءً ثم نظر إلى الماء فغلى وعلاه زبد ودخان؛ فخلق من الزبد الأرض ومن الدخان السماء- كذا في قصص الأنبياء.

فائدة

قال الربيع بن أنس: سماء الدنيا موج مكفوف، والثانية من صخرة، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة[1]- كذا في قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

فائدة

خلق الله في الأرض الثالثة خلقًا وجوههم مثل وجوه بني آدم، وأفواههم كأفواه الكلاب، وأيديهم كأيدي الإنس، وأرجلهم كأرجل البقر، وآذانهم كآذان المعز، وأشعارهم كأصواف الضأن، لا يعصون الله تعالى طرفة عين، ليس لهم ثواب، ليلنا نهارهم ونهارنا ليلهم- كما في قصص الأنبياء.

فائدة

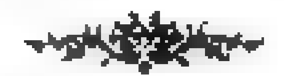
يروى أن الملائكة قالت: يا رب! لو أن السموات والأرض حين أمرتها عصياك ما كنت صانعًا بها؟ قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبلعها، قالوا: يا رب! وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي، قالوا: يا رب! وأين ذلك

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ح (٥٦٦١)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/١٠٤٤) من طريق حكام بن سلم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس به، وقال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن الربيع بن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به حكام بن سلم» اهـ.

المرج؟ قال في علم من علومي- كذا في قصص الأنبياء- صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين- للثعالبي.

والحمد لله رب العالمين.



كتاب الإبانة عن أصول الديانة

للشيخ العلامة

أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال السيد الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري رحمه الله: الحمد لله الواحد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، والمتمجد بالتمجيد، الذي لا تبلغه صفات العبيد، ليس له منازع ولا نديد، وهو المبدئ والمعيد، الفعال لما يريد، جل عن اتخاذ الصواحب والأولاد، وتقدس عن ملابسة الأجناس والأرجاس، ليست له صورة تقال، ولا حد يضرب له المثال، لم يزل بصفاته أولًا قديرًا، ولا يزال عالمًا خبيرًا، استوفى الأشياء علمه، ونفذت فيها إرادته، ولم تعزب عنه خفيات الأمور، ولم تغيره سوالف صروف الدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا مسه لغوب ولا نصب، خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعز ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون، وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطن ذوي الألباب، وقامت بحكمته السموات السبع واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو الله الواحد القهار.

نحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله ومستحقه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانة من فوض أمره إليه، وأقر أنه لا منجأ ولا ملجأ منه إلا إليه، ونستغفره استغفار مقر بذنبه معترف بخطيئته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا بوحدانيته وإخلاصًا لربوبيته، وأنه العالم بما تبطنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس وما تجن البحار، وما تواري الأسراب، وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار، لا توارى عنه كلمة ولا تغيب عنه غائبة، وما تسقط من ورقة

إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، ويعلم ما يعمل العاملون وما ينقلب إليه المنقلبون، ونستهديه بالهدى ونسأله التوفيق لمجانبة الردى.

ونشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله ونبيه وأمينه وصفيه، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع، والسراج اللامع، والحجج الظاهرة، والبراهين والآيات الباهرة، والأعاجيب القاهرة، فبلغ رسالة ربه ونصح لأمته، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تمت كلمة الله عز وجل وظهر أمره، وانقاد الناس للحق خاضعين حتى أتاه اليقين، لا وانيًا ولا مقصرًا، فصلوات الله عليه من قائد إلى هدى مبين، وعلى أهل بيته الطيبين، وعلى أصحابه المنتجبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، عرفنا الله به الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وبيّن لنا به شريعة الإسلام حتى انجلت عنا طخياء الظلم، وانحسرت عنّا به الشبهات، وانكشفت عنا به الغيابات، وظهرت لنا به البينات، جاءنا بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم وحبله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن تخلف ضل وغوى، وفي الجهل تردى، وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[3] وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ

(١) الحشر: ٧

(٢) النور: ٦٣.

(٣) النساء: ٨٣.

إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] يقول: إلى كتاب الله وسنة نبيه، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[3]، فأمرهم أن يسمعوا قوله ويطيعوا أمره ويحذروا مخالفته، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[4] فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت عليه شقوته واستحوذ عليهم الشيطان سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم دينهم ودانوا بدياناتهم، وأبطلوا سنن نبي الله ﷺ ودفعوها وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله عز وجل وأحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة تغر أهلها وتخدع ساكنها؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝﴾[5] من كان فيها في حبرة أعقبته بعدها عبرة، ومن أعطته من سرائها بطنًا أعقبته من ضرائها ظهرًا، غرارة غرور ما فيها، فانية فانٍ ما عليها؛ كما حكم عليها ربها بقوله إذ يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[6] فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة والخلود الأبد؛ فإن الدنيا تنقضي عن أهلها وتبقى

(١) النساء: ٥٩.
(٢) يونس: ١٥.
(٣) النور: ٥١.
(٤) النور: ٥٤.
(٥) الكهف: ٤٥.
(٦) الرحمن: ٢٦.

الأعمال قلائد في رقاب أهلها

واعلموا أنكم ميتون ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَى﴾[1] فكونوا بطاعة ربكم عاملين وعما نهاكم عنه منتهين.

* * *

(١) النجم: ٣١.

باب في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة

أما بعد: فإن كثيرًا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، وَمَنْ مضى مِنْ أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلًا لم ينزل الله به سلطانًا، ولا أوضح به برهانًا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين، وخالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار، وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين، ودفعوا الروايات في ذلك عن المتقدمين، وجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون.

وتكلموا بخلق القرآن نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: إن هذا إلا قول البشر، وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر نظيرًا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين: أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر.

وزعمت القدرية أن الله عز وجل يخلق الخير والشيطان يخلق الشر، وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء خلافًا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وردًّا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(١) فأخبر أنا لا نشاء شيئًا إلا وقد شاء الله أن نشاءه، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾(٢) ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾(٣) ولقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٤) ولقوله تعالى مخبرًا عن

---

(١) الإنسان: ٣٠.
(٢) البقرة: ٢٥٣.
(٣) السجدة: ١٣.

شعيب أنه قال ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ﴾(٢).

ولهذا سماهم رسول الله ﷺ مجوس هذه الأمة(٣) لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا أقاويلهم، وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاؤه الله كما قالت المجوس، وأنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله ردًّا لقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾(٤) وإعراضًا عن القرآن وعما أجمع عليه أهل الإسلام، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله عز وجل بالقدرة عليه كما أثبتت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل؛ فكانوا مجوس هذه الأمة، إذ دانوا بديانة المجوس وتمسكوا بأقاويلهم ومالوا إلى أضاليلهم وقنطوا الناس من رحمة الله، وأيسوهم من روحه.

وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها خلافًا لقول الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾(٥)، وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها خلافًا لما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يخرج قومًا من النار بعد أن

---

(١) البروج: ١٦.
(٢) الأعراف: ٨٩.
(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٦٩١)، والحاكم في المستدرك ح (٢٨٦) من حديث ابن عمر به، وقال الحاكم: «الحديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر، ولم يخرجاه» اهـ.
(٤) الأعراف: ١٨٨.
(٥) النساء: ٤٨.

استحشوا فيها وصاروا حمًا[١].

ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢]، وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٣]، وأنكروا أن يكون له عينان مع قوله. ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[٤]، وأنكروا أن يكون لله علم مع قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[٥]، وأنكروا أن يكون لله قوة مع قوله. ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٦]، ونفوا ما روي عن النبي ﷺ أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا[٧]، وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية أهل الزيغ فيما ابتدعوا خالفوا الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية، وأنا ذاكر ذلك بابًا بابًا وشيئًا شيئًا، إن شاء الله وبه المعونة.

* * *

(١) أخرجه البخاري ح (٦٥٦٠)، ومسلم ح (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري به
(٢) الرحمن ٢٧
(٣) ص ٧٥
(٤) القمر ١٤.
(٥) النساء ١٦٦.
(٦) الذاريات. ٥٨
(٧) أخرجه البخاري ح (١١٤٥)، ومسلم ح (٧٥٨) من حديث أبي هريرة به

باب في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون؛ وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل- نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم مفخم.

وجملة قولنا: إنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[2] وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[3] وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[4] وأن له عينًا بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي

---

(١) طه: ٥.
(٢) الرحمن: ٢٧.
(٣) ص: ٧٥.
(٤) المائدة: ٦٤.

بِأَعْيُنِنَا﴾[1]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًا، وأن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[2] وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[3]، ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج، ونثبت أن لله قوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[4].

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق وإنه لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له: كن فيكون؛ كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5]، وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله الله، ولا يستغني عن الله ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدرة كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[6]، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا وهم يخلقون كما قال: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[7] وكما قال: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[8] وكما قال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[9] وكما قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[10] وهذا في كتاب الله كثير.

---

(١) القمر: ١٤.
(٢) النساء: ١٦٦.
(٣) فاطر: ١١.
(٤) فصلت: ١٥.
(٥) النحل: ٤٠.
(٦) الصافات: ٩٦.
(٧) فاطر: ٣.
(٨) النحل: ٢٠.
(٩) النحل: ١٧.
(١٠) الطور: ٣٥.

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكن أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره خَيْرِهِ وشَرِّهِ، حُلْوِهِ ومُرِّهِ، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا بالله كما قال عز وجل، ونلجئ أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه.

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وندين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ[1] ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[2]، وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكًا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

وندين بأن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمور كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلًا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرًا.

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٥٤)، ومسلم ح (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله به.
(٢) المطففين: ١٥.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمانًا، وندين بأن الله عز وجل يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل[1]، وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع[2] كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ، وندين بأن لا ننزل أحدًا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنةً ولا نارًا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين.

ونقول: إن الله عز وجل يخرج قومًا من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقًا لما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ[3]، ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ رواها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين، وقدمه المسلمون بالإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة، وسموه بأجمعهم: خليفة رسول الله ﷺ؛ ثم عمر بن الخطاب ﷺ، ثم عثمان بن عفان ﷺ، وأن الذين قاتلوه قاتلوه ظلمًا وعدوانًا، ثم علي بن أبي طالب ﷺ؛ فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم ح (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٢) أخرجه البخاري ح (٤٨١١)، ومسلم ح (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود
(٣) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه.

وخلافتهم خلافة النبوة.

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكف عما شجر بينهم، وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون، فضلاء لا يوازيهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: هل من سائل، هل من مستغفر[1]، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[2] وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[3] وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[4].

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره، كما روي أن عبدالله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج.

وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافاً لقول من أنكر ذلك.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف وترك القتال في الفتنة، ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن

---

(١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه.
(٢) الفجر: ٢٢.
(٣) ق: ١٦.
(٤) النجم: ٨-٩.

رسول الله ﷺ[1].

ونؤمن بعذاب القبر ونكير ومنكر ومساءلتهما المدفونين بقبورهم؛ ونصدق بحديث المعراج، ونصحح كثيرًا من الرؤيا في المنام، ونقر أن لذلك تفسيرًا.

ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم، ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك.

ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحرًا، وأن السحر كائن موجود في الدنيا

وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم

ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل،

وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها عباده حلالًا وحرامًا،

وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه خلافًا لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[2] وكما قال: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾[3]

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات يظهرها عليهم.

وقولنا في أطفال المشركين: إن الله يؤجج لهم في الآخرة نارًا ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت بذلك الرواية.

وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين.

ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبة أهل الأهواء، وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه مما لم نذكره بابًا بابًا وشيئًا شيئًا، إن شاء الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٤٥٢)، ومسلم ح (٢٩٣٤، ٢٩٣٥) من حديث حذيفة بن اليمان وأبي مسعود الأنصاري.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) الناس: ٤-٥.

باب الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة

قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾(١) يعني مشرقة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢) يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها.

إما أن يكون الله عز وجل عنى نظر الاعتبار لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(٣) أو يكون عنى نظر الانتظار لقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾(٤) أو أن يكون عنى نظر التعطف كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٥) أو يكون عنى نظر الرؤية فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار اعتبار، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: «انظر في هذا الأمر بقلبك» لم يكن معناه نظر العينين، ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالقلب، وأيضاً فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم، وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على

---

(١) القيامة: ٢٢.

(٢) القيامة: ٢٣.

(٣) الغاشية: ١٧.

(٤) يس: ٤٩.

(٥) آل عمران: ٧٧.

خالقهم؛ وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظر الانتظار أنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقرونًا بقوله: (إلى) لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار «إلى» ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ لم يقل «إلى»، إذ كان معناه الانتظار، وقال عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[1] فلما أرادت الانتظار لم تقل «إلى»، وقال امرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل «إلى»، فلما قال عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية، ولما قرن الله النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾[2] فذكر الوجه، وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة.

فإن قال قائل: لم لا قلتم إن قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد: إلى ثواب ربها ناظرة؟

قيل له: ثواب الله عز وجل غيره، والله تعالى قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة وإلا فهو على ظاهره؛ ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: «صلوا لي واعبدوني»، لم

---

(١) النمل: ٣٥.
(٢) البقرة: ١٤٤.

يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره؛ فكذلك لما قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة؛ فلم لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1] أراد به: لا تدرك غيره ولم يرد أنها لا تدركه، وهذا ما لا يقدرون على الفرق فيه.

ودليل آخر: ومما يدل على أن الله تعالى يُرى بالأبصار قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[2] ولا يجوز أن يكون موسى ﷺ الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين وعصمه بما عصم به المرسلين قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل، ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا -كما زعمت المعتزلة- ولم يعلم ذلك موسى ﷺ وعلموا هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى ﷺ، وهذا ما لا يدعيه مسلم.

فإن قال قائل: ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم، ولم يكن نبي الله ﷺ يعلم ذلك قبل أن ينزل؟

قيل له: لم يكن يعلم نبي الله ﷺ ذلك قبل أن يلزم الله العباد حكم الظهار، فلما لزمهم الحكم به أعلم نبيه قبلهم ثم أعلم نبيُّ الله عبادَ الله ذلك، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلمه ﷺ، وأنتم زعمتم أن موسى كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية وأنها مستحيلة عليه، وإذا لم يعلم ذلك وقت أن لزمه علمه

---

(١) الأنعام: ١٠٣.
(٢) الأعراف: ١٤٣.

علمتموه أنتم الآن لزمكم بجهلكم أنكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى عليه السلام بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين.

ودليل آخر: مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾[1] فلما كان الله عز وجل قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًّا كان قادرًا على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى؛ فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يُري عباده نفسه وأنه جائز رؤيته.

فإن قال: فلم لا قلتم إن قول الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ تبعيد للرؤية؟

قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه دل ذلك على أنه جائز أن يُرى الله عز وجل، ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حربًا لأخيها قرنت الكلام بمستحيل فقالت:

ولا أصالح قومًا كنتُ حربهمُ حتى تعود بياضًا حُلكةُ القارِ

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها ونحن نرجع إلى ما نجده مفهومًا في كلامها ومعقولًا في خطابها؛ فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

ودليل آخر: قال عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2]، قال أهل التأويل: النظر إلى الله عز وجل، ولم ينعم الله عز وجل أهل جنانه بأفضل من نظرهم

---

(١) الأعراف: ١٤٣.
(٢) يونس: ٢٦

إليه ورؤيتهم له وقال عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[١] قيل: النظر إلى الله عز وجل، وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[٢]، وإذا لقيه المؤمنون رأوه، وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٣]، فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

سؤال: فإن قال قائل: ما معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٤]؟

قيل له: يحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين؛ ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن كتاب الله يصدق بعضه بعضًا؛ فلما قال في آية «إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة»، وقال في آية أخرى «إن الأبصار لا تدركه» علمنا أنه إنما أراد: أبصار الكفار لا تدركه.

مسألة والجواب عنها: فإن قال قائل: لم استكبر الله سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٥]؟.

فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى وترك الإيمان به حتى يرى الله؛ لأنهم قالوا: لن نؤمن حتى نرى الله جهرة، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى حتى يريهم الله نفسه استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله

(١) ق: ٣٥.
(٢) الأحزاب: ٤٤.
(٣) المطففين: ١٥.
(٤) الأنعام: ١٠٣.
(٥) النساء: ١٥٣.

سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابًا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلًا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابًا.

دليل آخر: ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار ما روته الجماعات من الجهات المختلفات عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ترون ربَّكُم كما ترون القمرَ ليلةَ البدرِ لا تُضَارُّونَ في رؤيته»[1]، والرؤية إذا أطلقت إطلاقًا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، ورويت الرؤية عن رسول الله ﷺ من طرق مختلفة، عدة رواتها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا وصيةَ لوارثٍ»[2] ومن عدة رواة المسح على الخفين[3]، ومن

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله، وقد تقدم تخريجه. وأخرجه البخاري ح (٤٥٨١، ٧٤٤٠)، ومسلم ح (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري. وأخرجه البخاري ح (٨٠٦، ٦٥٧٤، ٧٤٣٨)، ومسلم ح (١٨٢، ٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود ح (٢٨٧٠، ٣٥٦٥)، والترمذي ح (٢١٢٠)، وابن ماجه ح (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة به، وفي إسناده إسماعيل بن عياش، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح، وقد روي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل العراق وأهل الحجاز ليس بذلك فيما تفرد به، لأنه روى عنه مناكير، وروايته عن أهل الشام أصح، هكذا قال محمد بن إسمعيل». اهـ. وأخرجه الترمذي ح (٢١٢١)، والنسائي ح (٣٦٤١، ٣٦٤٣) من حديث عمرو بن خارجة، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» اهـ. وأخرجه ابن ماجه ح (٢٧١٤) من حديث أنس، وفي الباب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وعن جابر، وعن علي، قال ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٣٧٢): «لا يخلو إسناد كل منها عن مقال، لكن مجموعها يقتضي أن للحديث أصلًا، بل جنح الشافعي في الأم إلى أن هذا المتن متواتر، فقال: وجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنهم من أهل العلم بالمغازي من قريش وغيرهم لا يختلفون في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح: لا وصية لوارث، ويؤثرون عمن حفظوه عنه ممن لقوه من أهل العلم، فكان نقل كافة عن كافة فهو أقوى من نقل واحد». اهـ. وينظر نصب الراية (٤/ ٤٧٦)، والتلخيص الحبير (٣/ ٩٢).

(٣) أخرجه البخاري ح (٣٨٧)، ومسلم ح (٢٧٢) من حديث جرير، وأخرجه البخاري ح (١٨٢)، ومسلم ح (٢٧٤) من حديث المغيرة بن شعبة، وأخرجه البخاري ح (٢٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، وأخرجه البخاري ح (٢٠٤) من حديث عمرو بن أمية الضمري، =

عدة رواة قول رسول الله ﷺ: «لا تُنْكَحُ المرأةُ على عمتِها ولا خالتِها»[1] وإذا كان الرجم وما ذكرناه سننًا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة رواتها ونقلتها يرويها خلف عن سلف، وحديث «أنى أراه؟» لا حجة فيه لأنه عندما سأل سائل النبي ﷺ عن رؤية الله عز وجل في الدنيا وقال له: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه؟»[2]؛ لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها؛ لأن الإنسان لو حدق بصره إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره؛ فإذا كان الله عز وجل حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس فأحرى أن لا يثبت البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا إلا أن يقويه الله عز وجل، فرؤية الله سبحانه في الدنيا قد اختلف فيها.

وقد روي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله عز وجل تراه العيون في الآخرة، وما روي عن أحد منهم أن الله عز وجل لا تراه العيون في الآخرة؛ فلما كانوا على هذا مجمعين وبه قائلين - وإن كانوا في رؤيته في الدنيا مختلفين - ثبتت الرؤية في الآخرة إجماعًا، وإن كانت في الدنيا مختلفًا فيها، ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله في الآخرة على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم؛ لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة فإذا احتجوا بخبرٍ هم له تاركون وعنه منحرفون كانوا محجوجين.

دليل آخر: ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار أنه ليس موجود إلا

=

وأخرجه مسلم ح (٢٧٣) من حديث سعد بن أبي وقاص. وفي الباب عن غيرهم، ينظر نصب الراية (١/ ١٥١-١٥٢).

(١) أخرجه البخاري ح (٥١١١)، ومسلم ح (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري ح (٥١٠٨) من حديث جابر. وفي الباب عن جماعة من الصحابة، ينظر التلخيص الحبير (٣/ ١٦٧).

(٢) أخرجه مسلم ح (١٧٨/ ٢٩١) من حديث أبي ذر به

وجائز أن يريناه الله عز وجل، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودًا مثبتًا كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل وإنما أراد مَنْ نفى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيلَ، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحًا أظهروا ما يئول بهم إلى التعطيل والجحود- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

دليل آخر: ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيًا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئًا، فلما كان الله عز وجل عالمًا بالأشياء كان عالمًا بنفسه؛ فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، فلما كان الله عز وجل رائيًا للأشياء كان رائيًا لنفسه، وإذا كان رائيًا لها فجائز أن يرينا نفسه، كما أنه لما كان عالمًا بنفسه جاز أن يعلمناها، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾(١) فأخبر أنه سمع كلامهما ورآهما، ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يُرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائيًا ولا عالمًا ولا قادرًا؛ لأن العالم القادر الرائي جائز أن يُرى.

فإن قال قائل: قول النبي ﷺ: «ترون ربكم» يعني تعلمون ربكم اضطرارًا.

قيل له: إن النبي ﷺ قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة فقال: فكيف بكم إذا رأيتم الله عز وجل، ولا يجوز أن يبشرهم بأمر يشركهم فيه الكفار على أن النبي ﷺ قال: «ترون ربكم» وليس يعني رؤية دون رؤية بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.

دليل آخر: أن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم، وليس نعيم في

---

(١) طه: ٤٦.

الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار، وأكثر من عند الله عز وجل عنده للنظر إلى وجهه؛ وإذا لم يكن بعد رؤية الله أفضل من رؤية نبيه ﷺ وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين النظر إلى وجهه عز وجل، وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيهًا ولا انقلابًا عن حقيقة، ولم يستحل على الله عز وجل أن يُري عباده المؤمنين نفسه في جنانه

* * *

باب في الرؤية

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يُرى بالأبصار بقوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[1] قالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ على قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة وأنه يراها في الدنيا والآخرة كان قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ دليلًا على أنه لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة وكان في عموم قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر.

قيل لهم: فيجب إذا كان عموم القولين واحدًا وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2] وقال: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[3] أي: عنى بالأبصار؛ فأراد أبصار القلوب، وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين، ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته، يريدون بصر العلم؛ ويقولون: قد أبصرته بقلبي كما يقولون: قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر وجب عليهم بحجتهم أن الله عز وجل لا يدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب؛ لأن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في العموم كقوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أخص من

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) ص: ٤٥.

قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ وانتقض احتجاجهم.

وقيل لهم: إنكم زعمتم أنه لو كان قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ خاصًا في وقت دون وقت لكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ خاصًا في وقت دون وقت، وكان قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[2] وقوله: ﴿لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾[3] في وقت دون وقت.

فإن جعلتم قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ خاصًا رجع احتجاجكم عليكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ خاصًا ولم يجب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة كما أن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

فإن قالوا: قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ يوجب أنه لا يدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بها.

قيل لهم: ما أنكرتم أن يكون لا تدركه بأبصار العيون ولا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه بها، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.

فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر، قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته؛ فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك فما أنكرتم أن تكون

(١) الشورى: ١١.
(٢) البقرة: ٢٥٥.
(٣) يونس: ٤٤.

رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك.

جواب: ويقال لهم: إذا كان قول الله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا. أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسًا ولا ذوقًا ولا على وجه من الوجوه؟ فمن قولهم: نعم فيقال لهم: أخبرونا عن قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسًا وذوقًا بأن يمسها؟.

فمن قولهم: لا، فيقال لهم: فقد انتقض قولكم، إن قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ في العموم كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

سؤال: إن قال قائل منهم: إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب، قيل له: ولم زعمت هذا وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصرًا كما سموا بصر العين بصرًا، وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم يجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

جواب: ويقال لهم: حدثونا عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ما معناه؟ فإن قالوا: معنى (يدرك الأبصار) أنه يعلمها، قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفًا على الآخر وكان قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ معناه يعلمها فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

فإن قالوا: معنى قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أنه يراها رؤية ليس معناها العلم، قيل لهم: فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟ فإن قالوا: «نعم» نقضوا قولهم: إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما نرى الساعة؛ فإن جاز أن يرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات وهو الإبصار في العين فلم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات، ولم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكن من

جنس المرئيات.

ويقال لهم: حدثونا إذا رأينا شيئًا مبصرناه أو إنما يراه الرائي دون البصر؟ ومن قولهم: إنه محال أن يرى البصر الذي في العين فيقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يراه المبصرون، وإنما قال الله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَٰرُ﴾ فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية

* * *

باب الكلام

في أن القرآن كلام الله غير مخلوق

إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قيل له: الدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1] وأمر الله هو كلامه وقوله؛ فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان كان قيامهما بأمره، وقال عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2] فالخلق جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عامًّا فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ ذكر أمرًا غير جميع الخلق؛ فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[3]؟ قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكائيل وإن كانا من الملائكة ثم ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكائيل، ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾، ولما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ولم يخص قوله: ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ دليل كان قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ في جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأبان الأمر من الخلق، وأمرُ الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق، وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[4] يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

---

(١) الروم: ٢٥.
(٢) الأعراف: ٥٤.
(٣) البقرة: ٩٨.
(٤) الروم: ٤.

دليل آخر. ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١)، فلو كان القرآن مخلوقًا لوجب أن يكون مقولًا له: كن فيكون، ولو كان الله عز وجل قائلًا للقول: (كن) كان للقول قول، وهذا يوجب أحد أمرين: إما أن يئول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولًا غير مخلوق.

سؤال: فإن قال قائل: معنى قول الله أن يقول له: كن فيكون: إنما يكونه فيكون، قيل: الظاهر أن يقول له، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء؛ لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل، ومن قال ذلك أعظم الفرية لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.

فلما استحال ذلك صح أن قول الله للأشياء كوني غيرها، وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقًا، ويلزم من أثبت كلام الله مخلوقًا أن يثبت أن الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقًا وأن يكون الله غير عالم؛ فلما كان الله عز وجل لم يزل عالمًا إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفًا استحال أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفًا؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات؛ فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلمًا كما وجب

---

(١) النحل: ٤٠.

أن يكون لم يزل عالمًا

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾(١) فلو كانت البحار مدادًا كتبت لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجر ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل متكلمًا، لأنه لو لم يكن متكلمًا وجب السكوت والآفات وتعالى ربنا عن قول الجهمية علوًا كبيرًا

فصل

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى؛ لأن النصارى زعمت أن كلمة الله حواها بطن مريم وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة وكانت الشجرة حاوية له، فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمًا، ووجب عليهم أن مخلوقًا من المخلوقين كلّم موسى وأن الشجرة قالت: يا موسى ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾(٢)، فلو كان كلام الله مخلوقًا في شجرة لكان المخلوق قال: يا موسى! ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣) وكلام الله عز وجل من الله لا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقًا في شجرة مخلوقة كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقًا في غيره- تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

جواب: ويقال لهم: كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته في بعض

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) طه: ١٤.

(٣) السجدة: ١٣.

المخلوقات كذلك لا يجوز أن يحل كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد لها وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلامًا للمخلوق.

دليل آخر: ومما يبطل قولهم أن الله عز وجل قال مخبرًا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[1] يعني القرآن؛ فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولًا للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين، وأيضًا فلو لم يكن الله متكلمًا حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله ولم يكن قائلًا لها: كوني، وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

فصل

واعلموا -رحمكم الله- أن قول الجهمية إن كلام الله مخلوق يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم؛ لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم أنه قال لقومه لما قالوا له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝﴾[2] فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلهًا- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق فقد وجب أن يكون لم يزل متكلمًا.

---

(١) المدثر: ٢٥

(٢) الأنبياء: ٦٢-٦٣.

دليل آخر. وقد قال الله تعالى مخبرًا عن نفسه أنه يقول ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[1] وجاءت الرواية أنه يقول هذا فلا يرد عليه أحد شيئًا فيقول ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، فإذا كان عز وجل قائلًا مع فناء الأشياء إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق؛ لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2] والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالًا في غيره مخلوقًا في شيء سواه كما لا يجوز ذلك في العلم.

دليل آخر. وقال الله عز وجل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3] فكيف يكون القرآن مخلوقًا وأسماء الله في القرآن؟، هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

دليل آخر. وقد قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾[4] ولا يقال للمخلوق: تبارك؛ فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[5] فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقًا فكذلك لا تكون أسماؤه مخلوقة.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[6] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من

---

(١) غافر ١٦.
(٢) النساء ١٦٤.
(٣) الإخلاص ١-٤.
(٤) الرحمن: ٧٨.
(٥) الرحمن: ٢٧.
(٦) آل عمران: ١٨

نفسه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات؛ فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم تسبق شهادته لنفسه بإلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق؟ ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحدًا قبل الخلق لأن ما تستحيل الشهادة عليه فمستحيل؛ وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقًا لأن كلامه شهادته.

دليل آخر: ومما يدل على بطلان قول الجهمية وأن القرآن كلام الله غير مخلوق أن أسماء الله من القرآن، وقد قال عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾(١) ولا يجوز أن يكون ﴿ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مخلوقًا كما لا يجوز أن يكون ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ مخلوقًا؛ قال الله في سورة الجن ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾(٢)، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن تكون كلامه مخلوقًا.

دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾(٣) فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقًا في شيء مخلوق لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه بزعم الجهمية مخلوقًا في غير الله عز وجل، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم، ويجب عليهم إذا زعموا أن

---

(١) الأعلى: ١-٢.
(٢) الجن: ٣.
(٣) الشورى: ٥١.

كلام الله لموسى خلقه في شجرة أن يكون مَنْ سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة في سماع لكلام من موسى؛ لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من نبي أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقًا في شجرة، ولو كان مخلوقًا في شجرة لم يكن مكلمًا موسى من وراء حجاب؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

جواب: ثم يقال لهم: إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلامًا كلمه به في الشجرة، وقد خلق الله عندكم في الذراع كلامًا لأن الذراع قالت لرسول الله ﷺ: لا تأكلني فإني مسمومة[1] فلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمع النبي كلام الله عز وجل؛ فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم من أنه مستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة؛ لأن كلام المخلوق لا يكون كلامًا، فإن كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الكلام فيلزمكم أن يكون الله متكلمًا بالكلام الذي خلقه في الذراع.

فإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم: فالله عز وجل على قولكم هو القائل: لا تأكلني فإني مسمومة- تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علوًا كبيرًا.

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في ذراع، قيل لهم: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شجرة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٥) من حديث عروة بن الزبير مرسلاً، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٢٥): «رواه الطبراني مرسلاً، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وحديثه حسن». اهـ.

جواب: ثم يُسألون عن الكلام الذي أنطق الله به الذئب لما أخبر عن نبوة النبي ﷺ؛ فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه في غيره فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلامًا لله، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به وأنه كلام الله عز وجل؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز كي أن كونه من الشجرة معجزًا فإن كان الذئب متكلمًا بذلك الكلام للمقول في أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في شجرة، وأن يكون المخلوق فيه قال: يا موسى! إني أنا الله عز وجل - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

جواب: ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقًا في غيره عندكم فما يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقًا في شيء -وهو حق- أن يكون كلام الله عز وجل.

فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة لأن المتكلم لا يكون إلا حيًّا، قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام في شجرة لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حيًّا؛ فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي، فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي، ويقال لهم: ألا قلتم إنه يقول: من ليس بحي؛ لأنه عز وجل أخبر أن السموات والأرض قالتا: أتينا طائعين.

جواب: ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾(١) فلابد من نعم، ويقال لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقًا وكانت المخلوقات فانيات فيلزمكم إذا أمر الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت؛ فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك لدين المسلمين ورد لقول

---

(١) ص: ٧٨.

الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾، وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين وهو يوم الجزاء وهو يوم القيامة، لأن الله عز وجل قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1] يعني يوم الجزاء ثم هي أبدًا في النار، واللعنة كلام الله، وهو قوله: ﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء وأنه غير مخلوق؛ لأن المخلوقات يجوز عليها العدم؛ فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق.

الرد على الجهمية:

ثم يقال لهم: إذ كان غضب الله غير مخلوق وكذلك رضاه وسخطه فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق، ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى حتى لا يكون راضيًا عن أوليائه ولا ساخطًا على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام.

ويقال: خبرونا عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] أتزعمون أن قوله لشيء: «كن» مخلوق مراد لله.

فإن قالوا: لا، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق كما زعمتم أن قول الله للشيء: «كن» غير مخلوق.

وإن زعموا أن قول الله للشيء: «كن» مخلوق، قيل لهم: فإن زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فيلزمكم أن قوله للشيء: «كن» قد قال له: «كن»، وفي هذا ما يوجب أحد أمرين: إما أن يكون قول الله لغيره: «كن» غير مخلوق، أو يكون لكل قول

---

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) النحل: ٤٠

قول لا إلى غاية، وذلك محال.

فإن قالوا: إن لله قولًا غير مخلوق، قيل لهم: فلم أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة؟.

ثم يقال لهم: ما العلة لما قلتم: إن قول الله للشيء: «كن» غير مخلوق؟ فإن قالوا: لأن القول لا يقال له: كن، فيقال لهم: والقرآن غير مخلوق لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله: كن.

الرد على الجهمية:

ويقال لهم: أليس لم يزل الله عالمًا بأوليائه وأعدائه، فلابد من نعم، قيل لهم: فهل تقولون إنه لم يزل مريدًا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تزل مع غير محدثة، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق؟ فإن قالوا: لا، نقول: لم يزل مريدًا للتفريق بين أوليائه وأعدائه فقد زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه، ونسبوه سبحانه إلى النقص - تعالى عن قول القدرية علوًا كبيرًا.

جواب: ويقال لهم: إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدنًا من الأبدان شخصًا من الأشخاص، أو يكون نعتًا من نعوت الأشخاص، فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصًا؛ لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل، ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتًا لشخص مخلوق؛ لأن النعوت لا تبقى طرفة عين لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد مضى ومضى، فلما لم يجز أن يكون شخصًا ولا نعتًا لشخص لم يجز أن يكون مخلوقًا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت؛ فمن أثبت كلام الله شخصًا مخلوقًا لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عز وجل وذلك مما لا يجوز، وأيضًا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شخص مخلوق كما لا يجوز أن يكون نعتًا

لشخص مخلوق، ولو كان مخلوقًا في شخص ككلام الإنسان معمولًا فيه كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذ كانا مخلوقين في شخص مخلوق كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقًا في شخص مخلوق.

جواب: ويقال لهم أيضًا: لو كان كلام الله مخلوقًا لكان جسمًا أو نعتًا لجسم، ولو كان جسمًا لجاز أن يكون متكلمًا، والله قادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم ويجب عليهم أن يجوزوا أن يقلب الله القرآن إنسانًا أو جنيًا أو شيطانًا- تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك، ولو كان نعتًا لجسم كالنعوت فالله قادر أن يجعلها أجسامًا فكان يجب على الجهمية أن يجوزوا أن يجعل القرآن جسمًا متجسدًا يأكل ويشرب، وأن يجعله إنسانًا ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل.

* * *

باب ما ذكر من الرواية في القرآن

مسألة: قال أبو بكر: أنبأ أبا والعباس بن عبدالعظيم العنبري أبا عبدالله أحمد بن حنبل، فسأل العباس بن عبدالعظيم أبا عبدالله فقال له: قوم هاهنا قد حدثوا يقولون: القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق، فقال: هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم تقولوا ليس بمخلوق فقولوا: مخلوق، قال أبو عبدالله: هؤلاء قوم سوء، فقال العباس: ما تقول يا أبا عبدالله؟ فقال: الذي أعتقد وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق، ثم قال: سبحان الله، ومن شك في هذا؟ ثم تكلم أبو عبدالله مستعظمًا لشك في ذلك فقال: سبحان الله، أفي هذا شك؟ قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[2]، ففرق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: علّم، خلق، فجعل بعدها علّم خلق أي فرق بينهما.

قال أبو عبدالله: القرآن من علم الله؛ ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة لم يزل الله قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله غير مخلوق؛ فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله؛ فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل الله به متكلمًا، ثم قال: وأي كفر أكفر من هذا؟ أو أي كفر أشر من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون: القرآن مخلوق، ويتهاونون ويظنون أنه

---

(١) الأعراف: ٥٤.
(٢) الرحمن: ١-٣.

هين، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد وهم يسألون وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدعون أني أمسك، فقلت له. فمن قال: القرآن مخلوق، ولا يقول. إن أسماء الله مخلوقة ولا علمه ولم يزد على هذا أقول: هو كافر، فقال: هكذا هو عندنا.

ثم قال أبو عبدالله نحن لا نحتاج أن نشك في هذا؛ القرآن عندنا فيه أسماء الله، وهو من علم الله؛ فمن قال: إنه مخلوق فهو عندنا كافر، فجعلت أردد عليه، فقال لي العباس وهو يسمع: سبحان الله أما يكفيك دون هذا؟ فقال أبو عبدالله: بلى

وذكر الحسين بن عبدالأول قال سمعت وكيعًا يقول من قال القرآن مخلوق فهو مرتد يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل.

وذكر محمد بن الصباح البزار قال علي بن الحسين بن سفيان قال: سمعت ابن المبارك يقول إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية، قال محمد يقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم.

وذكر هارون بن إسحاق الهمداني عن أبي نعيم عن سليمان بن عيسى القاري عن سفيان الثوري قال لي حماد بن أبي سفيان. بلغ أبا حنيفة المشرك أني منه بري،[1] قال سليمان: ثم قال سفيان لأنه كان يقول: القرآن مخلوق، وذكر سفيان بن وكيع قال سمعت عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال أخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب منه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله القرآن مخلوق، قال. فتاب منه وطاف به في الخلق، قال أبي: فقلت له كيف صرت إلى هذا؟ قال: خفت والله أن يقدم عليَّ فأعطيته التقية

وذكر هارون بن إسحاق قال سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٩)

عمر بن عبيد لطاهمي أن حمادًا -يعني ابن أبي سليمان- بعث إلى أبي حنيفة: إني بريء مما تقول إلا أن تتوب، وكان عنده ابن أبي عتبة قال فقال: أخبرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعد ما استتيب.

وذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة شهرين حتى رجع عن خلق القرآن، وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخبر به من كتاب الله تعالى؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[1] وكلام الله ونظره واحد يعني غير مخلوق.

وذكر الحسين بن عبدالأول قال محمد بن (الحسين بن أبي بريد)[2] الهمداني عن (عمرو بن قيس عن أبي قيس الملائي)[3] عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ كلامِ الله عزَّ وجلَّ على سائرِ الكلامِ كفضلِ الله على خَلْقِه»[4].

فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، وما كان كلامًا لله لم يكن خلقًا لله، وقد بيّن الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[5] ودل على ذلك في مواضع من كتابه، وقد قال الله عز وجل خبرًا أن الله كلم موسى تكليمًا.

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول

---

(١) آل عمران: ٧٧.

(٢) الصواب: «الحسن بن أبي يزيد».

(٣) الصواب: «عمرو بن قيس أبي عبد الله الملائي».

(٤) أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٦) من طريق شهاب بن عباد عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد به، وقال: «حديث حسن غريب». اهـ قال ابن حجر في الفتح (٩/ ٦٦): «رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف». اهـ

(٥) التوبة: ٦.

الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه ليس بينه وبينه تُرْجُمانٌ»(١). ومما يبين أن الله عز وجل متكلم وأن له كلامًا ما رواه عفان قال حماد بن سلمة عن الأشعث الحدَّاني عن شهر بن حوشب قال: فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه(٢).

وروى يعلى بن المنهال السعدي قال إسحاق بن سليمان الرازي. قال الجراح بن الضحاك الكندي عن علقمة بن مرثد عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «أفضلُكُم من تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ»(٣)، وقال: «إن فضلَ القرآنِ على سائرِ الكلامِ كفضلِ اللهِ على خَلْقِهِ»(٤). وذلك أنه منه.

وذكر سعيد بن داود قال أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾(٥)...الآية، وذكر هارون بن معروف: قال جرير بن منصور عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال: كنت جارًا لخباب بن الأرت فقال لي: يا هذا تقرب

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (١٨٤٣) من طريق وكيع به
وأخرجه البخاري ح (٦٥٣٩، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، ومسلم ح (١٠١٦/٦٧) من طرق أخرى عن الأعمش به.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ح (٣٣٥٧) من طريق سليمان بن حرب، وأبو داود في المراسيل ح (٥٣٧) من طريق موسى بن إسماعيل، كلاهما عن حماد بن سلمة عن أشعث الحداني عن شهر بن حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا.

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٨) من طريق سعيد الثوري عن علقمة بن مرثد به.

(٤) أخرجه الترمذي ح (٢٩٢٦)، والبيهقي في الشعب ح (٢٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري، واللفظ للبيهقي، وقال الترمذي: «حديث حسن غريب». اهـ وقال ابن حجر في الفتح (٦٦/٩): «رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف». اهـ

(٥) لقمان: ٢٧.

إلى الله عز وجل ما استطعت، ولن يتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه[١].

وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[٢] قال: غير مخلوق[٣] وذكر الليث بن يحيى قال حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل عن الثوري قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق[٤]، وروي ذلك عن عمه زيد بن علي وعن جده علي بن الحسين[٥].

ومن قال: إن القرآن غير مخلوق وأن من قال بخلقه كافر من العلماء وحملة الآثار ونقلة الأخبار لا يحصون كثرة منهم: الحمادان والثوري وعبدالعزيز بن أبي سلمة ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وهشام وعيسى بن يونس وحفص بن غياث وسعد بن عامر وعبدالرحمن بن مهدي وأبو بكر بن عياش ووكيع وأبو عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف وبشر بن المفضل وعبدالله بن داود وسلام بن أبي مطيع وابن المبارك وعلي بن عاصم وأحمد بن يونس وأبو نعيم وقبيصة بن عقبة وسليمان بن داود وأبو عبيد القاسم بن سلام ويزيد بن هارون وغيرهم، ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب ح (٢٠٢٠) من طريق إسحاق بن راهويه عن جرير به.

(٢) الزمر ٢٨

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (ص ٧٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات ح (٥١٨).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ح (١٣٢، ١٣٣، ١٣٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٤١-٢٤٣).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في مسنده ح (١٣٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٧)

وقد احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان، ولم نجد أحدًا ممن تحمل عنه الآثار وتنقل عنه الأخبار ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس وجهال من جهالهم لا موقع لقولهم، والحجاج الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمدًا كثيرًا

• • •

باب الكلام على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق

جواب: يقال لهم: لم زعمتم ذلك وقلتموه؟ فإن قالوا: قلنا ذلك لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق ولا قاله رسول الله ﷺ ولا أجمع المسلمون عليه، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق ولا قال ذلك رسوله ولا أجمع عليه المسلمون؛ فوقفنا لذلك، ولم نقل: إنه مخلوق ولا إنه غير مخلوق؛ يقال لهم: فهل قال الله عز وجل لكم في كتابه: قفوا فيه ولا تقولوا: إنه غير مخلوق، وقال لكم رسول الله ﷺ توقفوا عن أن تقولوا: إنه غير مخلوق، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟ فإن قالوا: «نعم» بهتوا، وإن قالوا: «لا»، قيل لهم: فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي بها ألزمتم أنفسكم التوقف.

ثم يقال لهم: ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟ فإن قالوا: لم نجده، قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس موجودًا فيه، ثم إنا نوجدهم ذلك ونتلو عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا، واستدللنا على أن القرآن غير مخلوق كقوله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ وكقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وكقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن، ويقال لهم: يلزمكم أن تقفوا في كل ما اختلف الناس فيه ولا تقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل فلم لا قلتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع.

سؤال: فإن قال قائل: حدثونا أتقولون إن كلام الله في اللوح المحفوظ؟ قيل له: كذلك نقول؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ

مَّحْفُوظٍ﴾[1] فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾[2] وهو متلو بالألسنة قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾[3] والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال عز وجل: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾

سؤال. فإن قال: حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يقرأ في الحقيقة ويتلى ولا يجوز أن يقال: يلفظ به؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إنه كلام ملفوظ به؛ لأن العرب إذا قال قائلهم «لفظت باللقمة من فمي» معناه رميت بها، وكلام الله عز وجل لا يقال يلفظ به وإنما يقال يقرأ ويتلى ويكتب ويحفظ، وإنما قال قوم: لفظنا بالقرآن؛ ليثبتوا أنه مخلوق ويزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه فدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، ولا يجوز أن يقال: إن شيئًا من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن بكامله غير مخلوق

سؤال: إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[4] قيل له: الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن بل هو كلام الرسول ﷺ ووعظه إياهم، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] وقد قال الله تعالى: ﴿ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا﴾[6] فسمى الرسول ذكرًا، والرسول محدث، وأيضًا فإن الله عز وجل قال:

---

(١) البروج: ٢١-٢٢.
(٢) العنكبوت: ٤٩.
(٣) القيامة: ١٦.
(٤) الأنبياء: ٢.
(٥) الذاريات: ٥٥.
(٦) الطلاق: ١٠-١١.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] يخبر أنهم لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثًا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثًا، ولو قال قائل: ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه- لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميًا، فكذلك القول فيما سألونا عنه.

سؤال: وإن سألونا عن قول الله عز وجل ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[2] قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس مخلوقًا، فإن قالوا: فقد قال الله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[3] والحديد مخلوق، قيل لهم: الحديد جسم موات وليس يجب إذا كان القرآن منزلًا أن يكون جسمًا مواتًا، ولذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلًا أن يكون مخلوقًا وإن كان الحديد مخلوقًا.

جواب: ويقال لهم: قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق.

* * *

---

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) الزمر: ٢٨.

(٣) الحديد: ٢٥.

باب ذكر الاستواء على العرش

إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله عز وجل مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١] وقد قال الله عز وجل: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٢] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾[٣] وقال عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾[٤]، وقال حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾[٥] كذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله عز وجل فوق السموات، وقال عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[٦] فالسموات فوقها العرش؛ فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء؛ فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾[٧]، ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعًا وأنه فيهن جميعًا، ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجل مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطوها

---

(١) طه: ٥.
(٢) فاطر: ١٠.
(٣) النساء: ١٥٨.
(٤) السجدة: ٥.
(٥) غافر: ٣٦-٣٧.
(٦) الملك: ١٦.
(٧) نوح: ١٦.

إذا دعوا إلى الأرض.

سؤال: وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(١) أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون لله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة؛ ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم؛ فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستولٍ على الأشياء كلها لكان مستويًا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستوٍ على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها، وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين - تعالى الله عن قولهم.

جواب: ويقال لهم: إذا لم يكن مستويًا على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره كما قال ذلك أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الأخبار، وكان الله عز وجل في كل مكان فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا: إن الله تحت التحت والأشياء فوقه، وإنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يوجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته، وهذا المحال المتناقض - تعالى الله عن افترائكم عليه علوًّا كبيرًا.

---

(١) طه: ٥.

دليل آخر: ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ، روى عفان عن حماد بن سلمة قال: ثنا عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «يَنْزِلُ اللهُ عز وجل كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا فيقولُ: هل من سائلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ حتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ»(١)، وروى عبدالله بن بكر قال: ثنا هشام بن أبي عبدالله عن يحيى بن أبي كثير عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بَقِيَ ثُلُثُ الليلِ ينزلُ اللهُ تبارك وتعالى فيقولُ: من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له؟ من ذا الذي يستكشفُ الضُّرَّ فأكشفَهُ عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرْزُقَهُ؟ حتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»(٢)

وروى عبدالله بن بكر السهمي قال: ثنا هشام بن أبي عبدالله عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة قال: ثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: قفلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد - أو قال بقديد - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إذا مضى ثُلُثُ الليل - أو قال: ثلثا الليلِ - نزلَ اللهُ عز وجل إلى السماءِ فيقولُ: من ذا الذي يدعوني أستجبْ له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفرْ له؟ من ذا الذي يسألني أُعْطِهِ؟ حتَّى يَنْفَجِرَ الفَجْرُ»(٣)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٨١) من طريق عفان ومن طريق أسود بن عامر، والنسائي في الكبرى ح (١٠٣٢١) من طريق يحيى بن حسان، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٥) «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح» اهـ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨، ٥٢١)، والنسائي في السنن الكبرى ح (١٠٣١٠، ١٠٣١١) من طرق عن هشام بن أبي عبد الله به. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٦) «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». اهـ.

(٣) أخرجه ابن ماجه ح (١٣٦٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦)، وصححه ابن حبان ح (٢١٢) من طرق عن يحيى بن أبي كثير به.

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[١] وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[٢] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[٣] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[٤] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[٥] فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض؛ فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته مستو على عرشه.

دليل آخر: وقال جل وعز: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٦] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾[٧] وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[٨] إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ وقال عز وجل لعيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٩]، وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[١٠] وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إلى السماء، ومن دعاء أهل الإسلام جميعًا إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون جميعًا: يا ساكن العرش، ومن حلفهم جميعًا: لا والذي

---

(١) النحل: ٥٠
(٢) المعارج: ٤
(٣) فصلت: ١١
(٤) الفرقان: ٥٩
(٥) السجدة: ٤.
(٦) الفجر: ٢٢
(٧) البقرة: ٢١٠
(٨) النجم: ٨-١٢.
(٩) آل عمران: ٥٥
(١٠) النساء: ١٥٧-١٥٨.

احتجب سبع سموات.

دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ وقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولًا فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو أرسل رسولًا، وترك أجناسًا لم يعمهم بالآية؛ فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم.

دليل آخر: وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[1] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[2] وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3] وقال عز وجل: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾[4] كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه بلا كيف ولا استقرار- وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا بذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يئول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي؛ يريدون بذلك- زعموا- التنزيه ونفي التشبيه، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي أو التعطيل.

---

(١) الأنعام: ٦٢.
(٢) الأنعام: ٣٠.
(٣) السجدة: ١٢.
(٤) الكهف: ٤٨.

دليل آخر: قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] فسمى نفسه نورًا، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين: إما يكون نورًا يسمع أو نورًا يُرى، فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه وتكذيبه بكتابه وقول نبيه ﷺ، وروت العلماء عن عبدالله بن عباس أنه قال: تفكروا في خلق الله عز وجل ولا تفكروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك[2].

دليل آخر: وروت العلماء عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ العبدَ لا تزولُ قَدَمَاهُ من بين يدي الله عز وجل حتَّى يسألَهُ عن علمِهِ»[3]، وروت العلماء أن رجلًا أتى النبي ﷺ بأَمة سوداء فقال: يا رسول الله! إني أريد أن أعتقها في كفارة فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله، فقال النبي ﷺ: «أعْتِقْهَا فإنَّها مؤمنةٌ»[4]، وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء.

• • •

---

(١) النور: ٣٥

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ح (١٠٨) بنحوه.

(٣) أخرجه الترمذي ح (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي، وقال: «حديث حسن صحيح». اهـ

(٤) أخرجه مسلم ح (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي به

باب الكلام في الوجه
والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(١) وقال عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٢) فأخبر أن له وجهًا لا يفنى ولا يلحقه الهلاك، وقال عز وجل: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(٣) وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾(٤) فأخبر عز وجل أن له وجهًا وعينًا لا يكيف ولا يحد، وقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٥) وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾(٦) وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٧) وقال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٨) فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته، ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى لأن النصارى لم تثبت الله سميعًا بصيرًا إلا على معنى أنه عالم، وكذلك قالت الجهمية، ففي الحقيقة قول الجهمية أنهم قالوا: نقول: إن الله عالم، ولا نقول: سميع بصير على غير معنى عالم، وكذلك قول النصارى.

وقالت الجهمية: إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل، فأعطوا ذلك لفظًا

---

(١) القصص: ٨٨.
(٢) الرحمن: ٢٧.
(٣) القمر: ١٤.
(٤) هود: ٣٧.
(٥) الطور: ٤٨.
(٦) طه: ٣٩.
(٧) النساء: ١٣٤.
(٨) طه: ٤٦.

ولم يحصلوا قولًا في المعنى، ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم.

وزعم شيخ منهم مقدم أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل علم؛ فنفى العلم من حيث أوهم أنه أثبته حتى ألزم أن يقول: يا علم اغفر لي؛ إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله على قياسه علمًا وقدرة. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: بالله نستهدي وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعان، أما بعد؛ فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجهًا؟ قيل له: نقول ذلك خلافًا لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

سؤال: فإن سألنا أتقولون إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[2]، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدمَ بيدِهِ فاستخرجَ منه ذريَّتَهُ»[3]، فثبتت اليد، وقوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وقال عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[4]

---

(١) الفتح ١٠.

(٢) ص ٧٥.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٧٠٣)، والترمذي ح (٣٠٧٥)، وصححه ابن حبان ح (٦١٦٦)، والحاكم في المستدرك ح (٧٤، ٣٢٥٦، ٤٠٠١) من رواية مسلم بن يسار عن عمر به، وقال الترمذي: «حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولا» اهـ.

(٤) المائدة: ٦٤.

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «كلتا يديه يمين»(١)، وقال عز وجل: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾(٢) وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهومًا في كلامها ومعقولًا في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل: عملت بيدي، ويعني النعمة، بطل أن يكون معنى قوله عز وجل: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يد بمعنى عليه نعمة، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتي إلى الإجماع فليس المسلمون على ما ادعى متفقين، وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: «بيدي» يعني نعمتي، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلًا.

سؤال: ويقال لأهل البدع: لم زعمتم أن معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتي؛ أزعمتم ذلك إجماعًا أو لغة فلا يجدون ذلك في الإجماع ولا في اللغة، وإن قالوا: قلنا ذلك من القياس، قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله ﴿بِيَدَيَّ﴾ لا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾(٣)، وقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو به.
(٢) الحاقة: ٤٥.
(٣) إبراهيم: ٤.

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[(١)] وقال: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[(٢)]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[(٣)]، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه علم أنهم إنما علموه لأنه بلسانهم نزل وليس في لسانهم ما ادعوه.

سؤال: وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾[(٤)]، قالوا: الأيد القوة؛ فوجب أن يكون معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ بقدرتي، وقيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه: أحدها: أن الأيد ليس بجمع لليد؛ لأن جمع يد التي هي نعمة: أيادي، وإنما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ معنى قوله: ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ وأيضًا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك: بقدرتي، وهذا ناقض لقول مخالفنا وكاسر لمذاهبهم لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين؟!.

وأيضًا فلو كان الله عزّ وجل عنى بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ القدرة لم يكن لآدم ﷺ على إبليس في ذلك مزية، والله عز وجل أراد أن يُري فضل آدم ﷺ إذ خلقه بيده دونه، ولو كان خالقًا لإبليس بيديه كما خلق آدم ﷺ بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجًّا على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما؛ فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبخًا على استكباره على آدم أن يسجد له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ

---

(١) النحل: ١٠٣.
(٢) الزخرف: ٣.
(٣) محمد: ٢٤.
(٤) الذاريات: ٤٧.

أَسْتَكْبَرْتَ﴾[١] دل على أنه ليس معنى الآية القدرة إذا كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعًا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم ﷺ في أن خلق بهما.

وليس يخلو قوله عز وجل ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أن يكون معنى ذلك إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين، أو يكون معناه إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل. فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: «عملت بيدي»، وهو يعني نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين، ولا يجوز عند خصومنا أن نعني قدرتين، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو أن معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت.

سؤال: وأيضًا فلو كان معنى قوله عز وجل: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتي لكان لا فضيلة لآدم ﷺ على إبليس في ذلك على مذاهب مخالفينا؛ لأن الله عز وجل قد ابتدأ إبليس على قولهم كما ابتدأ بذلك آدم ﷺ، وليس يخلو النعمتان أن يكون عنى بهما بدن آدم ﷺ أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم، فلو كان عنى بدن آدم فالأبدان عند مخالفينا من المعتزلة جنس واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنسًا واحدًا فقد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم ﷺ، وكذلك إن عنى عرضين فليس من عرض فعله في بدن آدم من لون أو

---

(١) ص: ٧٥.

حياة أو قوة أو غير ذلك إلا وقد صار من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه على إبليس في ذلك، والله عزيز، وإنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم عليه في ذلك الفضيلة؛ فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لم يعن نعمتي.

جواب: ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يدين ليستا نعمتين، فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة، قيل لهم: ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟ فإن رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة، قيل لهم: إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله عز وجل فكذلك لم نجد حيًّا من الخلق إلا جسمًا لحمًا ودمًا فاقضوا بذلك على الله عز وجل، وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين، وإن أثبتم حيًّا لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا كالأيدي، وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبرًا حكيمًا إلا إنسانًا ثم أثبتم أن للدنيا مدبرًا حكيمًا ليس كالإنسان وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

سؤال: فإن قالوا: إذا أثبتم لله يدين لقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[1]؟ قيل لهم: قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي؛ فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيدي ورجع إلى إثبات يدين؛ لأن الدليل قد دل على صحته

(١) يس: ٧١.

الإجماع، وإذا كان الإجماع صحيحًا وجب أن يرجع من قوله أيدي إلى يدين؛ لأن القرآن على ظاهره ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقة لا يزول عنها إلا بحجة

سؤال: فإن قال قائل إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يدًا واحدة؟ قيل له: ذكر الله عز وجل أيدي وأراد يدين لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال. أيدي كثيرة، وقول من قال: يدًا واحدة، فقلنا: يدان؛ لأن القرآن على ظاهره إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر

سؤال: فإن قال قائل ما أنكرتم أن يكون قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ وقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على المجاز؟ قيل له: حكم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا لحجة؛ ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قول الله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على ظاهره، وحقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة، ولو جاز ذلك لجاز لمدع أن يدعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين؛ إذ كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي، وهو يعني النعمتين.

* * *

باب الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

قال الله عز وجل: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[(١)] وقال ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[(٢)] وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[(٣)] وقال ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[(٤)]، وذكر القوة فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[(٥)] وقال: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[(٦)] وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾[(٧)] وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله عالم قادر حي سميع بصير؛ فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك فأتوا بمعناه لأنهم إذا قالوا: لا علم لله ولا قدرة له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، ووجب ذلك عليهم، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل لأن الزنادقة قال كثير منهم: إن الله ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر.

سؤال. وقد قال رئيس من رؤسائهم وهو أبو الهذيل العلاف: إن علم الله هو

---

(١) النساء: ١٦٦.
(٢) فاطر: ١١.
(٣) هود: ١٤.
(٤) البقرة ٢٥٥
(٥) فصلت: ١٥.
(٦) الذاريات: ٥٨
(٧) الذاريات: ٤٧.

الله، فيجعل الله عز وجل علمًا، وألزم مقيل له إذا قلت: إن علم الله هو الله، فقل: يا علم الله اغفر لي وارحمني! فأبى ذلك فلزمته المناقضة.

واعلموا - رحمكم الله- أن من قال: عالم ولا علم كان مناقضًا كما أن من قال: علم ولا عالم كان مناقضًا؛ وكذلك القول في القدرة والقادر والحياة والحي والسمع والبصر والسميع والبصير.

جواب: ويقال لهم: خبرونا عمن زعم أن الله متكلم قائل لم يزل آمرًا ناهيًا، لا قول له ولا كلام ولا أمر له ولا نهي؛ أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فكذلك من قال: «إن الله عالم ولا علم له» كان مناقضًا خارجًا عن جملة المسلمين، وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علمًا لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمتنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل «كل هذا سابق في علم الله» فمن جحد أن لله علمًا خالف المسلمين وخرج به عن اتفاقهم.

جواب: ويقال لهم: إذا كان الله مريدًا أفله إرادة؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإذا أثبتم مريدًا لا إرادة له فأثبتوا قائلًا لا قول له، وإن أثبتوا الإرادة قيل لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريدًا إلا بإرادة فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالمًا إلا بعلم، وأن يكون لله علم كما أثبتم له إرادة.

مسألة: وقد فرقوا بين العلم والكلام فقالوا: إن الله عز وجل علم موسى وفرعون، وكلم موسى ولم يكلم فرعون، فكذلك يقال: علم موسى الحكمة وفصل الخطاب وآتاه النبوة، ولم يعلم ذلك فرعون؛ فإن كان لله كلام لأنه كلم موسى ولم يكلم فرعون فكذلك لله علم لأنه علم موسى ولم يعلم فرعون؛ ثم يقال لهم: إذا وجب أن لله كلامًا به كلم موسى دون فرعون؛ إذ كلم موسى دونه، فما أنكرتم إذا علمهما جميعًا أن يكون له علم به علمهما جميعًا، ثم يقال: قد

كلم الله الأشياء بأن قال لها: كوني، وقد أثبتم لله قولًا فكذلك، وإن علم الأشياء كلها فله علم.

جواب: ثم يقال لهم: إذا أوجبتم أن لله كلامًا وليس له علم؛ لأن الكلام أخص من العلم والعلم أعم منه فقولوا: إن لله قدرة؛ لأن العلم أعم عندكم من القدرة؛ لأن من مذاهب القدرية أنهم لا يقولون: إن الله يقدر أن يخلق الكفر؛ فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم؛ فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم: إن لله قدرة.

جواب: ثم يقال لهم: أليس الله عالمًا والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف بأنه متكلم مكلم ثم لم يجب؛ لأن الكلام أخص من أن يكون الله متكلمًا غير عالم فلم لا قلتم: إن الكلام وإن كان أخص من العلم أن ذلك لا ينفي أن يكون لله علم كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالمًا.

جواب: ويقال لهم: من أين علمتم أن الله عالم؟ فإن قالوا: بقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1] قيل لهم: ولذلك فقولوا: إن لله علمًا بقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾[2] وبقوله: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾[3] وكذلك قولوا: إن له قوة؛ لقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾[4] وإن قالوا: قلنا إن الله عالم لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتساق التدبير، قيل لهم: فلم لا قلتم: إن لله علمًا بما ظهر في العالم من حكمه وآثار تدبيره؛ لأن الصنائع الحكمية لا تظهر إلا من ذي علم كما لا تظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة كما لا تظهر إلا من قادر.

---

(١) الشورى: ١٢.
(٢) النساء: ١٦٦.
(٣) فاطر: ١١.
(٤) فصلت: ١٥.

جواب: ويقال لهم: إذا نفيتم علم الله فهلا نفيتم أسماءه؟ فإن قالوا: كيف ننفي أسماءه وقد ذكرها في كتابه؟ قيل لهم: فلا تنفوا العلم والقوة لأنه تبارك وتعالى ذكر ذلك في كتابه.

جواب آخر: ويقال لهم: قد علّم الله ﷻ نبيه ﷺ الشرائع والأحكام والحلال والحرام، ولا يجوز أن يعلّمه ما لا يعلَمُه فكذلك لا يجوز أن يعلم الله نبيه ما لا علم لله به- تعالى الله عن قول الجهمية علوًا كبيرًا.

جواب: ويقال لهم: أليس إذا لعن الله الكافرين فلعنه لهم معنى، ولعن النبي ﷺ لهم معنى؛ معنى قولهم: نعم فيقال لهم: فما أنكرتم من أن الله إذا علَّم نبيه ﷺ شيئًا فيكون للنبي ﷺ علم، ولله سبحانه علم، وإذا كنا متى أثبتناه غاضبًا على الكافرين فلابد من إثبات غضبه، وكذلك إذا أثبتناه راضيًا عن المؤمنين فلابد من إثبات رضاه، وكذلك إذا أثبتناه حيًّا سميعًا بصيرًا فلأبد من إثبات حياة وسمع وبصر.

جواب: ويقال لهم: وجدنا اسم عالم اشتق من علم، واسم قادر اشتق من قدرة، وكذلك اسم حي اشتق من حياة، واسم سميع اشتق من سمع، واسم بصير اشتق من بصر، ولا تخلو أسماء الله ﷻ من أن تكون مشتقة أو لإفادة معناه أو على طريق التلقيب، فلا يجوز أن يُسمى الله ﷻ على طريق التلقيب باسم ليس فيه إفادة معناه وليس مشتقًا من صفة، فإذا قلنا: إن الله ﷻ عالم قادر فليس ذلك تلقيبًا كقولنا: زيد وعمرو- وعلى هذا إجماع المسلمين، وإذا لم يكن ذلك تلقيبًا وكان مشتقًا من علم فقد وجب إثبات العلم، وإن كان ذلك لإفادة معناه فلا يختلف ما هو لإفادة معناه، ووجب إذا كان معنى العالم منا أن له علمًا أن يكون كل عالم فهو ذو علم، كما إذا كان قولي: «موجود» مفيدًا فينا الإثبات كان الباري تعالى واجبًا إثباته لأنه سبحانه وتعالى موجود.

جواب: ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية: أتقولون إن لله علمًا بالأشياء

سابقًا فيها وموضع كل حامل وحمل كل أنثى وإنزال كل ما أنزل؟ فإن قالوا: «نعم» أثبتوا العلم ووافقوا، وإن قالوا: «لا» قيل لهم: هذا جحد منكم لقول الله ﷻ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[1] ولقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾[2] وإذا كان قول الله ﷻ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3] ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[4]. أوجب أنه عليم يعلم الأشياء كذلك، فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علمًا بالأشياء سبحانه وبحمده.

جواب: ويقال لهم: لله ﷻ علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه، فهل هو مريد لذلك وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان؟ فإن قالوا: «نعم» وافقوا، وإن قالوا: إذا أراد الإيمان فله إرادة، قيل لهم: وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه فلابد من أن يكون له علم بذلك، وكيف يجوز أن يكون للمخلوق علم بذلك وليس للخالق ﷻ علم بذلك؟! هذا يوجب أن للمخلوق مزية في العلم وفضيلة على الخالق - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، ويقال لهم: إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له؛ فإذا زعمتم أن الله ﷻ لا علم له لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

جواب: ويقال لهم: إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان فما أنكرتم من أنه لابد من إثبات علم الله وإلا ألحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلا؛ ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، ومن

---

(١) فاطر: ١١.

(٢) هود: ١٤.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الأنعام: ٥٩.

قال ذلك في الله ﷻ وصف الله سبحانه بما لا يليق به، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق: لا علم له لحقه الجهل والنقصان؛ فوجب أن لا ينفي ذلك عن الله ﷻ؛ لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

جواب: ويقال لهم: هل يجوز أن تتسق الصنائع الحكمية ممن ليس بعالم؟ فإن قالوا: ذلك محال ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم قادر حي، قيل لهم: وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة، فإن جاز ظهورها لا من ذي علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي، وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر.

مسألة: وزعمت المعتزلة أن قول الله ﷻ: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1] معناه عليم، قيل لهم: فإذا قال ﷻ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[3] فمعنى ذلك عندكم علم؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أعلم وأعلم؛ إذ كان معنى ذلك العلم.

مسألة: ونفت المعتزلة صفات رب العالمين وزعمت أن معنى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ راه بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن السمع هو بصره وهو رؤيته وهو كلامه وهو علمه وهو ابنه- عز الله وجل وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؛ فإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى قادر فهلا زعمتم أن

---

(١) الحج: ٦١.
(٢) طه: ٤٦.
(٣) المجادلة: ١.

معنى قادر معنى عالم، وإذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر فلم لا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟ فإن قالوا: هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدورًا، قيل لهم: ولو كان معنى ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ معنى عالم لكان كل معلوم مسموعًا، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم.

* * *

باب الكلام في الإرادة

الرد على المعتزلة في ذلك يقال لهم: أليستم تزعمون أن الله ﷻ لم يزل عالمًا؟ فمن قولهم: «نعم»، قيل لهم: فلم لا قلتم: إن من لم يزل عالمًا في وقت من الأوقات فلم يزل مريدًا أن يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالمًا أنه لا يكون فلم يزل مريدًا أن لا يكون، وأنه لم يزل مريدًا أن يكون ما علم كما علم؟ فإن قالوا: لا نقول إن الله لم يزل مريدًا لأن الله مريد بإرادة مخلوقة، يقال لهم: ولم زعمتم أن الله ﷻ مريد بإرادة مخلوقة، وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عالم بعلم مخلوق، وإذا لم يجز أن يكون علم الله مخلوقًا فما أنكرتم أن لا تكون إرادته مخلوقة؟ فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثًا لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث بعلم آخر كذلك لا إلى غاية، قيل لهم: ما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن ذلك يقتضي أن تكون حدثت عن إرادة أخرى ثم كذلك لا إلى غاية، وإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثًا لأن من لم يكن عالمًا ثم علم لحقه النقصان قيل لهم: ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة لأن من لم يكن مريدًا حتى أراد لحقه النقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثًا مخلوقًا.

جواب آخر: ويقال لهم: إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله ﷻ الكفر والعصيان وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون فلم يؤمنوا؛ فقد وجب على قولكم أن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان وما لا يشاء لا يكون.

جواب آخر: ويقال لهم: يستفاد من قولكم إن كثيرًا مما شاء إبليس أن يكون

كان، لأن الكفر أكثر من الإيمان، وأكثر ما كان هو شاء»، فقد جعلتم مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه؛ لأن أكثر ما شاء، كان، وأكثر ما كان قد شاء»، وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين- تعالى الله ﷻ عن قول الظالمين علوًّا كبيرًا.

جواب آخر: ويقال لهم: أيما أولى بصفة الاقتدار: مَنْ إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة وإذا لم يرده لم يكن، أو مَنْ يريده أن يكون فلا يكون، ويكون ما لا يريد؟ فإن قالوا: من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كابروا، وقيل لهم: إن جاز لكم ما قلتموه جاز لغيركم أن يقول: من يكون ما لا يعلمه أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه، وإن رجعوا عن هذه المكابرة، وزعموا أن من إذا أراد أمرًا كان، وإذا لم يرده لا يكون أولى بصفة الاقتدار لزمهم على مذاهبهم أن يكون إبليس- لعنة الله عليه- أولى بالاقتدار من الله ﷻ؛ لأن أكثر ما أراده كان وأكثر ما كان قد أراده، وقيل لهم: إذا كان من إذا أراد أمرًا كان، وإذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار فيلزمكم أن يكون الله ﷻ إذا أراد أمرًا كان وإذا لم يرده لم يكن؛ لأنه أولى بصفة الاقتدار.

جواب: ويقال لهم: أيما أولى بالإلهية والسلطان: مَنْ لا يكون إلا ما يعلمه ولا يغيب عن علمه شيء ولا يجوز ذلك عليه، أو مَنْ يكون ما لا يعلمه ويعزب عن علمه أكثر الأشياء؟ فإن قالوا: من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الإلهية، قيل لهم: فكذلك من لا يريد كون شيء إلا ما كان ولا يكون إلا ما يريده ولا يعزب عن إرادته شيء أولى بصفة الإلهية كما قلتم ذلك في العلم، وإذا قالوا ذلك تركوا قولهم ورجعوا عنه، وأثبتوا الله ﷻ مريدًا لكل كائن، وأوجبوا أنه لا يكون إلا ما يريد أن يكون.

جواب: ويقال لهم: إذا قلتم إنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد فقد كان إذًا في

سلطانه ما كرهه، فلابد من نعم، يقال لهم: فإذا كان في سلطانه ما يكرهه فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يأبى كونه؟ فإن أجابوا إلى ذلك قيل لهم: فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى وهذه صفة الضعف والفقر- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

جواب: ويقال لهم: أليس مما فعل العباد ما يسخطه تعالى وما يغضب عليهم إذا فعلوه فقد أغضبوه وأسخطوه؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا قد أكرهوه وهذه صفة القهر- تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى ﷻ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1] فلابد من نعم، يقال لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساه غافل عنه، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما لا يريده لحقه، فلابد من نعم، فيقال لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سلطان الله ﷻ ما لا يريده من عبيده لزمه أحد أمرين: إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة، أو أن يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه.

جواب آخر: ويقال لهم: أليس من زعم أن الله ﷻ فعل ما لا يعلمه قد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فكذلك من زعم أن عبدالله فعل ما لا يريده لزمه أن ينسب الله سبحانه إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله نسبُ الله تعالى إلى الجهل، فلابد من نعم، يقال لهم: فكذلك إذا كان في كل فعل فعله الله وهو لا يريده إيجاب سهو أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده فكذلك إذا كان من غيره ما لا يريده وجب إثبات سهو وغفلة أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، لا فرق في ذلك بين ما كان منه

---

(١) البروج ١٦.

وما كان من غيره.

جواب آخر: ويقال لهم: إذا كان في سلطان الله ما لا يريده وهو يعلمه ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده؛ فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

مسألة أخرى: إن قال قائل: لم قلتم: إن الله مريد لكل كائن أن يكون، ولكل ما لا يكون أن لا يكون؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الحجة قد وصحت أن الله ﷻ خلق الكفر والمعاصي - وسيأتي ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا - وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك فقد وجب أنه مريد له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يريده.

وجواب آخر: أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله ﷻ من اكتساب العباد ما لا يريده كما لا يجوز أن يكون من فعله المجمع على أنه فعله ما لا يريده؛ لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه لكان في ذلك إثبات النقصان، وكذلك القول لو وقع من عباده ما لا يعلمه؛ فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريده؛ لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهو وغفلة أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المجمع على أنه فعله ما لا يريده، وأيضًا فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون لكان قد كره أن تكون وأبى أن تكون، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وقد أوضحنا أن الله لم يزل مريدًا على الحقيقة الذي علمه عليها، فإذا كان الكفر مما يكون وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

جواب: ويقال لهم: إذا كان الله ﷻ علم أن الكفر يكون وأراد أن لا يكون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجز ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم.

جواب: ويقال لهم: لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون قبيحًا فاسدًا متناقضًا خلافًا للإيمان؟ فإن قالوا: لأن مريد السفه سفيه، قيل لهم: ولم

قلتم ذلك؟ أوليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾(١) فأراد أن لا يقتل أخاه لئلا يعذب وأن يقتله أخوه حتى يبوء بإثم قتله له وسائر آثامه التي كانت عليه؛ فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه الذي هو سفه ولم يكن بذلك سفيهًا؛ فلم زعمتم أن الله سبحانه إذا أراد سفه العبد وجب أن ينسب ذلك إليه؟

جواب: ويقال لهم: قد قال يوسف ﷺ ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾(٢) وكان سجنهم إياه معصية؛ فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه ولم يكن بذلك سفيهًا، فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفه العباد بأن يكون قبيحًا منهم خلافًا للطاعة أن يكون سفيهًا.

مسألة أخرى: ويقال لهم: أليس من يرى منا جُرْم المسلمين كان سفيهًا، والله سبحانه يراهم ولا ينسب إلى السفه؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيهًا، والله سبحانه يريد سفه السفهاء ولا ينسب إليه أنه ﷻ سفيه- تعالى الله عن ذلك.

مسألة أخرى: ويقال لهم: السفيه منا إنما كان سفيهًا لما أراد السفه؛ لأنه نهي عن ذلك ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يحد له الحدود ويرسم له الرسوم؛ فلما أتى ما نهي عنه كان سفيهًا، ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة ولا فوقه من يحد له الحدود ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاظر ولا آمر ولا زاجر؛ فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحًا

---

(١) المائدة: ٢٨-٢٩

(٢) يوسف: ٣٣.

أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى.

مسألة: ويقال لهم: أليس من خَلَّى بين عبيده وبين إمائه ممّا يرى بعضهم ببعض وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيهًا، ورب العالمين ﷻ قد خَلَّى بين عبيده وإمائه يزني بعضهم ببعض وهو يقدر على التفريق بينهم، وليس سفيهًا، وكذلك من أراد السفه منّا كان سفيهًا، ورب العالمين جلّ وعزّ يريد السفه وليس سفيهًا.

مسألة أخرى: ويقال لهم: من أراد طاعة الله منّا كان مطيعًا كما أن من أراد السفه كان سفيهًا، ورب العالمين ﷻ يريد الطاعة وليس مطيعًا؛ فكذلك يريد السفه وليس سفيهًا.

مسألة أخرى: ويقال لهم: قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾(١) فأخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا، قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من القتال فإذا وقع القتال فقد شاءه كما أنه لما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٢) فقد أوجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر، وأنهم إذ لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا، فكذلك لو شاء أن لا يقتتلوا لما اقتتلوا، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا.

مسألة أخرى: ويقال لهم: قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(٣) وإذا حق القول بذلك فما شاء أن يؤتي كل نفس هداها، لأنه إنما لم يؤتها هداها لما حق القول بتعذيب الكافرين، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها، فإن قالوا: معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى واضطررناهم إليه، قيل لهم: فإذا أجبرهم على الهدى

---

(١) البقرة: ٢٥٣.
(٢) الأنعام: ٢٨.
(٣) السجدة: ١٣.

واضطرهم إليه أيكونون مهتدين؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كان إذا فعل الهدى كانوا مهتدين فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين لكانوا كافرين، وهذا هدم لقولهم لأنهم زعموا أنه لا يفعل الكفر إلا كافر؛ ويقال لهم أيضًا: على أي وجه يؤتيهم الهدى لو آتاهم إياه وشاء ذلك لهم؟ فإن قالوا: على الإلجاء، قيل لهم: فإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه على طريق الإلجاء؟ فمن قولهم: نعم، قيل لهم: فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يملأ جهنم، وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعًا لهم ولا مزيلًا للعذاب عنهم كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء؛ فلا معنى لقولكم لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب.

مسألة أخرى: ويقال لهم: قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] وقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾[2] فأخبر أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط للكافرين الرزق، وجعل لبيوتهم سقفًا من فضة، لكنه لم يبسط لهم الرزق ولم يجعل للكافرين سقفًا من فضة؛ فما أنكرتم من أنه لو لم يرد أن يكفر الكافرون ما خلقهم مع علمه بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين كما أنه لو أراد أن يكون الناس على الكفر مجتمعين لجعل للكافرين سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون لكنه لم يجعل للكافرين سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون؛ لئلا يكونوا جميعًا على الكفر متطابقين إذا كان في معلومه أنه لو فعل ذلك لكانوا جميعًا على الكفر متطابقين.

• • •

---

(١) الشورى: ٢٧.
(٢) الزخرف: ٣٣.

باب الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير

يقال للقدرية: هل يجوز أن يُعلم الله ﷻ عباده شيئًا لا يعلمه؟ فمن قالوا: لا يُعلم الله عباده شيئًا إلا وهو به عالم، قيل لهم: فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر؛ فلابد من الإجابة بذلك، يقال لهم: فإذا أقدرهم على الكفر فهو قادر على أن يخلق الكفر لهم، وإذ قدر على خلق الكفر لهم فلم أبيتم أن يخلق كفرهم فاسدًا متناقضًا باطلًا، وقد قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[1] وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقدّره، ويرد عليهم في اللطف؛ يقال لهم: أليس الله ﷻ قادرًا على أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا، وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا كما قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] وكما قال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ الآية؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فما أنكرتم من أنه قادر أن يفعل بهم لطفًا لو فعله بهم لآمنوا أجمعون، كما أنه قادر على أن يفعل بهم أمرًا لو فعله بهم لكفروا كلهم.

مسألة أخرى: ويقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[4] وقال: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[5] يعني في وسط

---

(١) البروج: ١٦.
(٢) الشورى: ٢٧.
(٣) النساء: ٨٣.
(٤) النور: ٢١.
(٥) الصافات: ٥٥.

الجحيم، قال: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾[1] ما الفضل الذي فعله بالمؤمنين الذي لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان، ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبدًا، وما النعمة التي لو لم يفعلها لكان من المحضرين، وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم وأثبتوا لله ﷻ نعمًا وفضلًا على المؤمنين ابتدأهم بحمده ولم ينعم بمثله على الكافرين، وصاروا إلى القول بالحق، وإن قالوا: قد فعل الله ذلك أجمع بالكافرين لما فعله بالمؤمنين قيل لهم: فإذا كان الله ﷻ قد فعل ذلك أجمع بالكافرين فلم يكونوا زاكين وكانوا للشيطان متبعين وفي النار محضرين، وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم الأيدي والأرجل لكنتم للشيطان متبعين، وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين؟ فإن قالوا: لا يجوز ذلك، قيل لهم: وكذلك لا يجوز ما قلتموه، وهذا يبين أن الله ﷻ اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين وفضل عليهم المؤمنين.

* * *

(١) الصافات: ٥٦-٥٧.

مسألة في الاستطاعة

ويقال لهم: أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله ﷻ وفضلًا وإحسانًا؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون توفيقًا وتسديدًا؟ فلابد من الإجابة إلى ذلك، يقال لهم: فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان فما أنكرتم أن يكونوا موفقين للإيمان، ولو كانوا موفقين مسددين لكانوا ممدوحين، وإذا لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الإيمان قادرين، ووجب أن يكون الله ﷻ اختص بالقدرة على الإيمان المؤمنين.

مسألة أخرى: يقال لهم: ولو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمان فقد رغب إليه في القدرة على الكفر، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى الله ﷻ في قدرة الإيمان ويزهدون في قدرة الكفر علمنا أن الذي رضوا فيه غير الذي زهدوا فيه.

مسألة أخرى: ويقال لهم: أخبرونا عن قوة الإيمان أليست فضلًا من الله ﷻ؟ فلابد من نعم، فيقال لهم: فالفضل أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به وله أن يتفضل به؟ فلابد من الإجابة إلى ذلك نعم؛ لأن ذلك هو الفرق بين التفضل وبين الاستحقاق، ويقال لهم: وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان وإن خذلهم لم يعطهم قدرة على الإيمان، وهذا هو قولنا ومذهبنا.

جواب: ويقال لهم: هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين؟ فإن قالوا: «لا» نطقوا بتعجيز الله ﷻ- تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، وإن قالوا: «نعم، يقدر على ذلك ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا» تركوا قولهم وقالوا بالحق.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[1] وعن

---

(١) غافر: ٣١.

قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1] قيل لهم: معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم؛ لأنه قال: وما الله يريد ظلمًا لهم، ولم يقل: لا يريد ظلم بعضهم لبعض فلم يرد أن يظلمهم، وإن كان أراد ظلم بعضهم لبعض أي فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله تعالى ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[2] قالوا: والكفر متفاوت فكيف يكون من خلق الله؟ والجواب عن ذلك أنه ﷻ قال: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[3]، فإنما عنى حينئذ وما ترى في السموات من فطور؛ لأنه ذكر خلق السموات ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلنا بطل ما قالوه، والحمد لله رب العالمين.

جواب: ويقال لهم: هل تعرفون لله ﷻ نعمة على أبي بكر الصديق ﷺ خصه بها دون أبي جهل ابتداء؟ فإن قالوا: «لا» فحش قولهم، وإن قالوا: «نعم» تركوا مذهبهم، لأنهم لا يقولون: إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾[4]، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الله ﷻ لم يخلق الباطل، والجواب عن ذلك: أن الله ﷻ أراد تكذيب المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا

---

(١) آل عمران: ١٠٨.
(٢) الملك: ٣.
(٣) الملك: ٣-٤.
(٤) ص: ٢٧.

إعادة، فقال تعالى: ما خلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعني ولا أعاقب من عصاني كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب؛ ألا تراه قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] وبيّن ذلك بقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[2]، أي لا نسوي بينهم في أن نفنيهم أجمعين ولا نعيدهم فيكون سبيلهم سبيلًا واحدًا.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[3]. والجواب عن ذلك أن الله ﷻ قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يعني الخصب والخير - ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني الجدوبة والقحط والمصائب - ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ - أي لشؤمك، قال الله لمحمد: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝﴾[4] في قولهم: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، فحذف قولهم؛ لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه؛ لأن القرآن لا يتناقض، ولا يجوز أن يقول في آية: إن الكل من عند الله، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها: إن الكل ليس من عند الله على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه، وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية ويوجب عليهم الحجة.

مسألة: وإن سألوا عن قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) ص: ٢٧.
(٢) ص: ٢٨.
(٣) النساء: ٧٩.
(٤) النساء: ٧٨.

لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فالجواب عن ذلك أن الله ﷻ إنما عنى المؤمنين دون الكافرين؛ لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيرًا من خلقه؛ فالذين خلقهم لجهنم وأحصاهم وعدهم وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم غير الذين خلقهم لعبادته

* * *

(١) الذاريات: ٥٦.

مسألة في التكليف

ويقال لهم: أليس قد كلف الله تعالى الكافرين أن يستمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا بالله؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فقد قال الله ﷻ: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾[١] وقال: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[٢] وقد كلفهم استماع الحق.

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٣] أليس قد أمرهم ﷻ بالسجود في الآخرة، وجاء في الخبر أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود وفي هذا تثبيت لما نقوله من أنه لا يجب لهم عن الله ﷻ إذا أمرهم أن يقدرهم، وهو بطلان قول القدرية

* * *

---

(١) هود: ٢٠.
(٢) الكهف: ١٠١
(٣) القلم: ٤٢

مسألة في إيلام الأطفال

ويقال لهم: أليس قد آلم الله ﷻ الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم كنحو الجذام الذي يقطع أيديهم وأرجلهم وغير ذلك مما يؤلمهم به، وكان ذلك سائغًا جائزًا؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فإذا كان هذا عدلًا فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة ويكون ذلك منه عدلًا؟ فإن قالوا: آلمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، قيل لهم: فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء وكان ذلك منه عدلًا فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلًا؟ وقد قيل في الخبر: إن أطفال المشركين تؤجج لهم نار يوم القيامة ثم يقال لهم: اقتحموها! فمن اقتحمها أدخله الجنة، ومن لم يقتحمها أدخله النار.

مسألة: وقد قيل في الأطفال وروي عن النبي ﷺ: «إن شئت أسمعتك تضاغيهم[1] في النار»[2].

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[3] وأمره مع ذلك بالإيمان فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن، وأمره مع ذلك أن يؤمن، ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون، ولا يقدر القادر على أن يؤمن وأن يعلم أنه لا يؤمن، وإذا كان هذا هكذا فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه؛ لأنه أمره أن يؤمن وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

---

(١) في مسند أحمد، ومسند ابن الجعد: «تضاغيهم».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠٨)، وابن الجعد كما في مسنده (٢٩٢٦) من حديث عائشة به، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٤٠): «رواه أحمد، وفيه أبو عقيل يحيى بن المتوكل، ضعفه جمهور الأئمة أحمد وغيره ويحيى بن معين، ونقل عنه توثيقه في رواية من ثلاثة» اهـ.

(٣) المسد: ١-٣.

مسألة. ويقال لهم: أليس أمر الله ﷻ بالإيمان من علم أنه لا يؤمن؟ فمن قولهم: «نعم»، يقال لهم: فأنتم قادرون على الإيمان ويتأتى لكم ذلك؟ فإن قالوا «لا» وافقوا، وإن قالوا «نعم» زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله- تعالى الله ﷻ عن ذلك علوًا كبيرًا.

* * *

الرد على المعتزلة

قال أبو الحسن الأشعري: ويقال لهم: أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله ﷻ عليه فكانوا بقولهم هذا كافرين؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر والله ﷻ لا يقدر عليه فقد ردتم على المجوس في قولهم؛ لأنكم تقولون معهم: إن الشيطان يقدر على الشر والله لا يقدر عليه، وهذا مما بينه الخبر عن رسول الله ﷺ: «إنَّ القدريَّةَ مجوسُ هذه الأُمَّةِ»[1]، وإنما صاروا مجوس هذه الأمة لأنهم قالوا بقول المجوس.

مسألة: وزعمت القدرية أنا نستحق اسم القدر؛ لأنا نقول: إن الله ﷻ قدَّر الشر والكفر، فمن يثبت القدر كان قدريًّا دون من لم يثبته، فيقال لهم: القدري هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه ﷻ وأنه يقدر أعماله دون خالقه، وكذلك هو في اللغة؛ لأن الصائغ هو من زعم أنه يصوغ دون من يقول إنه يصاغ له، والنجار هو من يضيف النجارة إلى نفسه دون من يزعم أنه ينجر له، فلما كنتم تزعمون أنكم تقدرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم وجب أن تكونوا قدرية، ولم نكن نحن قدرية لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا ﷻ، ولم نقل: إنا نقدرها دونه، وقلنا: إنها تقدر لنا.

جواب: ويقال لهم: إذا كان من أثبت التقدير لله ﷻ قدريًّا فيلزمكم إذا زعمتم أن الله ﷻ قدر السموات والأرض، وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

مسألة في الختم

يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2]، فخبرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم؟ فإن قالوا: «نعم» تناقض قولهم وقيل لهم: كيف القفل الذي قال الله عز وجل: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[3] مع الشرح، والضيق مع السعة، والهدى مع الضلال؟ إن كان هذا جاز أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معًا في قلب واحد، وإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه، فإن قالوا: الختم والضيق والضلال لا يجوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر، قيل لهم: وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال، وإذا كان هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للإيمان بل ختم على قلوبهم وأقفلها عن الحق وشد عليها، كما دعا نبي الله موسى عليه السلام على قومه فقال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[4] وقال الله عز وجل: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[5] وقال عز وجل يخبر عن الكافرين أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[6] فإذا خلق الله الأكنة في قلوبهم والقفل والزيغ -

---

(١) البقرة: ٧.
(٢) الأنعام: ١٢٥.
(٣) محمد: ٢٤.
(٤) يونس: ٨٨.
(٥) يونس: ٨٩.
(٦) فصلت: ٥.

لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[1]- والختم وضيق الصدر ثم أمرهم بالإيمان الذي علم أنه لا يكون فقد أمرهم بما لا يقدرون عليه، وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرناه من الضيق عن الإيمان؛ فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

جواب: ويقال لهم: قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[2] وقال يخبر عن يوسف ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[3] محدثونا عن ذلك التثبيت والبرهان هل فعله الله ﷻ بالكافرين أو ما هو مثله؟ فإن قالوا: «لا» تركوا القول بالقدر، وإن قالوا: «نعم» قيل لهم: فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت فيجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن لا يثبتوا عن الكفر، وإذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالنبي ﷺ من التثبيت الذي لما فعله به لم يركن إلى الكافرين.

* * *

---

(١) الصف: ٥.
(٢) الإسراء: ٧٤.
(٣) يوسف: ٢٤

مسألة في الاستثناء

يقال لهم: خبرونا عن مطالبة رجل بحق، فقال له: والله لأعطينك ذلك غدًا إن شاء الله، أليس الله شائيًا أن يعطيه حقه؟ فمن قولهم: «نعم» يقال لهم: أفرأيتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه أليس لا يحنث؟ فلابد من نعم، فيقال لهم: فلو كان الله شاء أن يعطيه حقه لحنث إذا لم يعطه كما لو قال: والله لأعطينك حقك إذا طلع الفجر غدًا ثم طلع ولم يعطه يكون حانثًا.

* * *

مسألة في الآجال

يقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾[2]؟ فلابد من نعم، يقال لهم: فخبرونا عمن قتله قاتل ظلمًا أتزعمون أنه قتل في أجله أو بأجله؟ فإن قالوا: «نعم» وافقوا وقالوا بالحق وتركوا القدر، وإن قالوا: «لا» قيل لهم: فمتى أجل هذا المقتول؟ فإن قالوا: الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة علم أنها امرأته، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره، وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلًا له، على أن هذا القول لا يفيد، لقول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادرًا على أن لا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يبقي العباد ويبليهم ويخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين

* * *

(١) يونس: ٤٩.
(٢) المنافقون: ١١
(٣) يونس: ٤٩.

مسألة في الأرزاق

ويقال لهم: خبرونا عمن اغتصب طعامًا فأكله حرامًا هل رزقه الله ذلك الحرام؟ فإن قالوا: «نعم» تركوا القدر، وإن قالوا: «لا» قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئًا اغتذى به جسمه، ويقال لهم: فإذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام ويطعمه إياه إلى أن مات فرازق هذا الإنسان عندكم غير الله، وفي هذا إقرار منهم أن للخلق رازقين: أحدهما يرزق الحلال، والآخر يرزق الحرام، وأن الناس تنبت لحومهم وتشتد عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به، وإذا قلتم: إن الله لم يرزقه الحرام لزمكم أن الله لم يغذه به ولا جعله قوامًا لجسمه، وأن لحمه وجسمه قام وعظمه اشتد بغير الله ﷻ، وهو من رزقه الحرام، وهذا كفر عظيم إن احتملوا.

• • •

مسألة أخرى في الأرزاق

ويقال لهم: لم أبيتم أن يرزق الله الحرام؟ فإن قالوا: لأنه لو رزق الحرام لملك الحرام، يقال لهم: خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش من يرزقها ذلك؟ فإن قالوا: الله، قيل لهم: هل ملكهما وهل للبهيمة ملك؟ فإن قالوا: «لا» قيل لهم: فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لملك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يُمَلِّكُه، ويقال لهم: هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يملكه إياه؟ فمن قولهم: «نعم» يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام وإن لم يملكه إياه.

جواب: يقال لهم: إذا كان توفيق المؤمنين بالله فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان فقولوا: عصمهم من الكفر، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم؛ فإن أثبتوا أن الله خذلهم قيل لهم: فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟ فإن قالوا: نعم وافقوا، وإن قالوا: «لا» قيل لهم: فما ذلك الخذلان الذي خلقه؟ فإن قالوا: تخليته إياهم والكفر، قيل لهم: أوليس من قولكم: إن الله ﷻ خلَّى بين المؤمنين وبين الكفر؟ فمن قولهم: «نعم» قيل لهم: فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين لأنه خلى بينهم وبين الكفر، وهذا خروج عن الدين؛ فلابد لهم أن يثبتوا لهم الخذلان للكفر الذي خلقه الله فيهم فيتركوا القول بالقدر.

مسألة: إن سأل سائل من أهل القدر فقال: هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها أو بلية يجب عليه الصبر عليها؟ قيل له: العبد لا يخلو من نعمة وبلية، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبلايا على ضربين: منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك، ومنها

ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي

مسألة: وإن سألوا فقالوا: أيما خيرٌ: الخير أو مَن الخير منه؟ قيل لهم: من كان الخير منه متفضلًا به فهو خير من الخير، فإن قالوا: فأيما شر: الشر أو مَن الشر منه؟ قيل لهم: من كان الشر منه جورًا به فهو شر من الشر، والله ﷻ يكون منه الشر خلقًا وهو عادل به؛ فلذلك لا يلزمنا ما سألتم عنه على أنكم ناقضون لأصولكم؛ لأنه إن كان مَنْ كان الشر منه فهو شر من الشر، وقد خلق الله ﷻ إبليس الذي هو شر من الشر الذي يكون منه؛ فقد خلق ما هو شر من الشرور كلها، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

* * *

مسألة في الهدى

يقال للمعتزلة: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] فأخبر أن القرآن هدى للمتقين؟ فلابد من نعم، يقال لهم: أوليس قد ذكر الله ﷻ القرآن فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[2] فخبر أن القرآن على الكافرين عمى؟ فلابد من نعم، ويقال لهم: فهل يجوز أن يكون مَنْ أخبر الله ﷻ أن القرآن له هدى هو عليه عمًى؟ فلابد من لا، يقال لهم: فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على مَنْ أخبر الله أنه له هدى كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى.

مسألة أخرى: ثم يقال لهم: إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قبل ولمن لم يقبل، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضلالًا لمن قبل ولمن لم يقبل؛ وإن كان دعاء إبليس إلى الكفر إضلالًا للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه؛ فما أنكرتم أن دعاء الله ﷻ إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه، وإلا فما الفرق بين ذلك.

مسألة أخرى: ويقال لهم: أليس قال الله ﷻ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾[3] فهل يدل قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ على أنه لم يضل الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: يضل به الكل؛ فلما قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ علمنا أنه لم يضل الكل؛ فلابد من نعم، فيقال لهم: فما أنكرتم أن قوله: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ دليل على أنه لم يرد الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال. ويهدي به الكل، فلما قال: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ علمنا أنه لم يهد الكل، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

---

(١) البقرة: ١-٢.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) البقرة: ٢٦.

مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا قلتم: إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعًا وصلاحًا وتسديدًا للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين، وأن يكون توفيقًا للإيمان وإن لم يوفقوا للإيمان، وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين، وهذا مما لا يجوز لأن الكافرين مخذولون، وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخذولون؟! فإن جاز أن يكون الكافر موفقًا للإيمان فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفقًا؛ فإن استحال هذا فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه.

• • •

مسألة في الضلال

يقال لهم: أضل الله الكافرين عن الإيمان أو عن الكفر؟ فإن قالوا: «عن الكفر» قيل لهم: فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه وهم كافرون؟! فإن قالوا: أضلهم عن الإيمان تركوا قولهم؛ وإن قالوا: نقول: إن الله أضلهم ولم يضلهم عن شيء، قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا عن الإيمان.

مسألة أخرى: ويقال لهم: ما معنى قول الله ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]؟ فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين ويحكم عليهم بالضلال، قيل لهم: أليس خاطب الله العرب بلغتها فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[2] وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[3]؟ فلا بد من نعم، فيقال لهم: فإذا كان أنزل الله القرآن بلسان العرب فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانًا، أي سماه ضالًا؟ فإن قالوا: وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل: ضالّ: قد ضللته، قيل لهم: قد وجدنا العرب يقولون: ضلل فلان فلانًا إذا سماه ضالًا، ولم نجدهم يقولون: أضل فلان فلانًا بهذا المعنى، فلما قال الله ﷻ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4] لم يجز أن يكون ذلك معنى ذلك الاسم، والحكم إذا لم يجر في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانًا إذا سماه ضالًا بطل تأويلكم؛ إذ كان خلاف لسان العرب.

مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا قلتم: إن الله أضل الكافرين بأن سماهم: ضالين،

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) إبراهيم: ٤.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتموه فيلزمكم إذا سمى النبي ﷺ قومًا ضالين فاسدين بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سماهم: ضالين فاسدين، وإذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الاسم والحكم كما ادعيتم

جواب. ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] وقال ﷻ ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[2] فذكر أنه لا يهديهم، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]، فجعل الدعاء عامًّا والهدى خاصًّا، وقال: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4] فإذا أخبر الله ﷻ أنه لا يهدي القوم الكافرين فكيف يجوز لقائل أن يقول: إنه هدى الكافرين مع إخباره أنه لا يهديهم، ومع قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[5] ومع قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[6] ومع قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[7]، وإن جاز هذا جاز أن يقال: أضل المؤمنين مع قوله: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[8] ومع قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[9]، فإن لم يكن ذلك فما أنكرتم أنه لا يجوز أنه يهدي الكافرين مع قوله ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها.

---

(١) الكهف: ١٧.
(٢) آل عمران: ٨٦.
(٣) يونس: ٢٥.
(٤) النحل: ١٠٧.
(٥) القصص: ٥٦.
(٦) البقرة: ٢٧٢.
(٧) السجدة: ١٣.
(٨) الكهف: ١٧.
(٩) البقرة: ٢.

جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾(١)؟ فلابد من نعم، فيقال لهم: فأضلهم ليضلوا أو ليهتدوا؟ فإن قالوا: «أضلهم ليهتدوا» قيل لهم: وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا، وإن جاز هذا جاز أن يهديهم ليضلوا، وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

جواب: ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا فما أنكرتم أن ينفعهم فلا ينتفعون وأن يصلحهم فلا يصلحون، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أن يضر من لا تلحقه المضرة؛ فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر فكذلك لا ينفع إلا منتفعًا، ولو جاز أن ينفع مَنْ ليس منتفعًا جاز أن يقدر مَنْ ليس مقتدرًا، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع مَنْ ليس منتفعًا ويهدي مَنْ ليس مهتديًا.

مسألة: تسألونا عما تقولون: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾(٢) فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين؟ قيل لهم: الآية خاصة، لأن الله ﷻ قد بين لنا أنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أراد المؤمنين دون الكافرين.

سؤال: فإن قال قائل: أليس قد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾(٣)

---

(١) الجاثية: ٢٣.
(٢) البقرة: ١٨٥.
(٣) يس: ١١.

وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[1] وقد أنذر النبي ﷺ من اتبع الذكر ومن لم يتبع، ومن خشي ومن لم يخش؟ قيل له «نعم» فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أراد به هدى لهم ولغيرهم؟ قيل لهم: إن معنى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ إنما أراد به: ينتفع بإنذارك من اتبع الذكر، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أراد أن الإنذار ينتفع به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها، وأن الله ﷻ قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وهذا هو خبر عن الكافرين، وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[3]، وقال: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[4]، وهذا خطاب للكافرين، فلما أخبر الله ﷻ في آيات من القرآن أنه أنذر الكافرين كما أخبر الله في آيات أنه أنذر من يخشاها وأنذر من اتبع الذكر وجب بالقرآن أن الله قد أنذر المؤمنين والكافرين، فلما أخبرنا الله أنه هدى للمتقين وعمى على الكافرين، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين وجب أن يكون القرآن هدى للمؤمنين دون الكافرين.

سؤال: إن سأل سائل عن قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[5] فقال: أليس ثمود كانوا كافرين، وقد أخبر الله أنه هداهم؟ قيل له: ليس الأمر كما ظننت، والجواب في هذه الآية على وجهين: أحدهما: أن ثمود على فريقين: كافرين ومؤمنين، وهم الذين أخبر أنه أنجاهم مع

---

(١) النازعات ٤٥.
(٢) البقرة: ٦.
(٣) الشعراء: ٢١٤.
(٤) فصلت: ١٣.
(٥) فصلت: ١٧.

صالح بقوله ﷻ: ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾[1]؛ فالذين عنى الله ﷻ من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين؛ لأن الله ﷻ قد بيَّن لنا في القرآن أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضًا؛ فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين ثم أخبر في موضع أنه هدى ثمود علمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

والوجه الآخر: أن الله ﷻ عنى قومًا من ثمود كانوا مؤمنين ثم ارتدوا؛ فأخبر أنه هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان، وكانوا في حال هداهم مؤمنين.

فإن قال قائل معترضًا في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾ يعني الكافرين منهم وهم غير مؤمنين؟ يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقال: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾ يعني الكافرين منهم، وقد ورد القول بمثل هذا؛ قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[2] يعني الكفار، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعني المؤمنين، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾[3] يعني الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا؛ أن يكون ظاهره جنس والمراد به جنسان، فبطل ما اعترض به المعترض ودل على جهله.

• • •

(١) هود: ٦٦.
(٢) الأنفال: ٣٣.
(٣) الأنفال: ٣٤.

باب ذكر الروايات في القدر

روى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة قال: حدثنا سليمان الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود قال: أخبرنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إنَّ خَلْقَ أحدِكُم يُجْمَعُ في بطنِ أمهِ في أربعينَ ليلةً، ثم يكونُ عَلَقَةً مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يبعثُ اللهُ الـمَلَكَ، قال: فَيُؤْمَر بأربعِ كلماتٍ، يقال: اكْتُبْ أجَلَهُ ورِزْقَهُ وعَمَلَهُ وشقيٌّ أم سعيدٌ، ثم يَنْفُخُ فيه الرُّوحَ؛ قال: فإن أَحَدَكُم لَيَعْمَلُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ عملَ أهلِ النَّارِ فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فَيُخْتَمُ له بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلها»[(١)].

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «احتجَّ آدمُ وموسى، قال موسى: يا آدمُ أنت الذي خلقك اللهُ بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال: فقال آدمُ: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلماته تلومني على عملٍ كتبه اللهُ عليَّ قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ؛ قال: فحجَّ آدمُ موسى»[(٢)].

وروى حديث حج آدم موسى مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم ح (٢٦٤٣) من طرق عن الأعمش به.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٨) من طريق معاوية بن عمرو، والترمذي ح (٢١٣٤) من طريق سليمان التيمي، كلاهما عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ح (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥)، ومسلم ح (٢٦٥٢) من أوجه أخر عن أبي هريرة.

عن النبي ﷺ[1]، وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون: إن الله ﷻ لا يعلم الشيء حتى يكون؛ لأن الله ﷻ إذ كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيئًا لا يعلمه- جل عن ذلك وتقدس.

وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[3]، وقال: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[4]، وقال: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[5]، وقال: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[6]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[7]، وقال: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[8].

فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها، وقد أخبر الله ﷻ أن الخلق يبعثون ويحشرون، وأن الكافرين في النار يخلدون، وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يدخلون، وأن القيامة تقوم، ولم تقم القيامة بعد، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد قال الله في أهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[9]، فأخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون، وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ

(١) أخرجه البخاري ح (٦٦١٤) من طريق سفيان بن عيينة، ومسلم ح (٢٦٥٢/ ١٤) من طريق مالك، كلاهما عن أبي الزناد به.
(٢) الأنعام: ٥٩.
(٣) هود: ٦.
(٤) المجادلة: ٦.
(٥) مريم: ٩٤.
(٦) الطلاق: ١٢.
(٧) الجن: ٢٨.
(٨) البقرة: ٢٩.
(٩) الأنعام: ٢٨.

ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1]، ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلمه بعد تقضيه- تعالى عن قول الظالمين علوًّا كبيرًا

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن سليمان الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن ربيعة قال: كنا عند عبدالله قال: فذكروا رجلًا فذكروا من خُلُقه، فقال القوم: أما له من يأخذ على يديه؟ قال عبدالله: أرأيتم لو قطع رأسه أكنتم تستطيعون أن تجعلوا له يدًا؟ قالوا: لا، قال عبدالله: إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يومًا ثم انحدرت دمًا ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا فيقول: اكتب أجله وعمله ورزقه وأثره وخلقه وشقي أو سعيد، وإنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خَلْقه حتى تغيروا خُلُقه[2].

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبدالرحمن عن علي ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبي ﷺ فقعد ونحن حوله ومعه مخصرة له فنكت بها ورفع رأسه، فقال: «ما منكم من نفسٍ منفوسةٍ إلا قد كُتب مكانُها من الجنةِ أو النارِ، وإلا قد كتبت شقيةً أو سعيدةً»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؛ فمن كان منا من أهل السعادة يصير إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى الشقاوة؟ فقال: «اعملوا فكل ميسرٌ أما أهلُ الشقاوةِ فيسرونَ لعملِ الشقاوةِ وأما أهلُ السعادةِ فيسرونَ لعملِ السعادةِ»، ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ

---

(١) ٥١-٥٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٧٨) من طريق معاوية بن عمرو به، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠٤): «رواه الطبراني ورجاله ثقات». اهـ.

بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾(١).

وروى موسى بن إسماعيل قال: ثنا حماد قال: أنا هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ وإنه مكتوبٌ في الكتابِ من أهلِ النَّارِ، فإذا كان قبلَ موتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بعملِ أهلِ النَّارِ فماتَ فدخلَ النَّارَ، وإن الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النَّارِ وإنه لمكتوبٌ في الكتابِ أنه من أهلِ الجنةِ، فإذا كان قبلَ موتِهِ تَحَوَّلَ فعملَ بعملِ أهلِ الجنةِ فماتَ فدخلَ الجنةَ»(٢).

وهذه الأحاديث تدل على أن الله ﷻ علم ما يكون أنه يكون وكتبه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار وخلقهم فريقين: فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير، وبذلك نطق كتابه إذ يقول: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾(٣)، وقال: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾(٤)، وقال: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾(٥)، فخلق الله الأشقياء للشقاوة والسعداء للسعادة، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٦)، وروي عن النبي ﷺ أن الله ﷻ جعل للجنة أهلًا وللنار أهلًا(٧).

---

(١) الليل: ٥-١٠. والحديث أخرجه الترمذي ح (٣٣٤٤) من طريق زائدة به، وأخرجه البخاري ح (١٣٦٢)، ومسلم ح (٢٦٤٧) من طريق جرير عن منصور به.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ١٠٧)، وإسحاق بن راهويه في مسنده ح (٨٣٧)، وأبو يعلى في مسنده ح (٤٦٦٨) من طرق عن حماد بن سلمة به. وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٢٩): «رواه أحمد وأبو يعلى بأسانيد، وبعض أسانيدهما رجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٣) الأعراف: ٣٠.

(٤) الشورى: ٧.

(٥) هود: ١٠٥.

(٦) الأعراف: ١٧٩.

(٧) أخرجه مسلم ح (٢٦٦٢/ ٣١) من حديث عائشة بلفظ: «إن الله خلق للجنة أهلًا ... وخلق للنار أهلًا».

دليل في القدر، ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] الآية، وجاءت الرواية عن رسول الله ﷺ: أن الله ﷻ مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر ثم قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم[2]؛ لأنه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ قال الله ﷻ: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[3]، فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول ثم من بعد الإقرار جحدوه، وروي عن النبي ﷺ أنه قبض قبضة للجنة وقبض قبضة للنار، ميز بعضًا من بعض فغلبت الشقوة على أهل الشقوة، والسعادة على أهل السعادة، قال الله ﷻ مخبرًا عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾[4].

وكل ذلك بأمر قد سبق في علم الله ﷻ وتنفذت فيه إرادته وتقدمت فيه مشيئته، وروى معاوية بن عمرو قال زائدة قال طلحة بن يحيى القرشي قال: حدثتني عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ دُعي إلى جنازة غلام من الأنصار ليصلي عليه، فقالت عائشة: طوبى لهذا يا رسول الله عصفور

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٧٢)، والنسائي في الكبرى ح (١١١٩١) من حديث ابن عباس به، وصححه الحاكم في المستدرك ح (٧٥، ٤٠٠٠) فقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر»، وأعله النسائي فقال: «كلثوم هذا ليس بقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ» اهـ. وقد اختلف في رفعه ووقفه، ورجح ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٠١ - ٥٠٢) الوقف.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) المؤمنون: ١٠٦.

من عصافير الجنة لم يعمل سوءًا ولم يدركه، قال: «أوَغَيْرَ ذلك يا عائشة إنَّ الله ﷻ قد جعلَ للجنةِ أهلًا وَهُمْ في أصلابِ آبائهم، وللنار أهلًا جعلهم لها وَهُمْ في أصلابِ آبائهم»[1]، وهذا يبين أن السعادة قد سبقت لأهلها والشقاء قد سبق لأهله، وقال النبي ﷺ «اعملوا فَكُلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له»[2].

دليل آخر: وقد قال الله ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[3]، وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[4]، فأخبر أنه يضل ويهدي، وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[5]، فأخبرنا أنه فعال لما يريد، وإذا كان الكفر مما أراده فقد فعله وقدره وأحدثه وأنشأه واخترعه، وقد بَيَّن ذلك بقوله ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[6]، فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقًا لله، وقد قال الله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[7] يريد أنه يجازيهم على أعمالهم، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكفرهم بالرحمن، ولو كان مما قدروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ما ليس لربهم؟ من زعم ذلك فقد عَجَّز الله ﷻ- تعالى عن قول المعجِّزين له علوًّا كبيرًا.

ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الله ﷻ لكان قد أعطاهم

---

(١) أخرجه مسلم ح (٢٦٦٢/٣١) من طرق عن طلحة بن يحيى به.
(٢) أخرجه البخاري ح (٤٩٤٩)، ومسلم ح (٢٦٤٧/٧) من حديث علي
(٣) الكهف: ١٧.
(٤) البقرة ٢٦.
(٥) إبراهيم ٢٧
(٦) الصافات ٩٥-٩٦
(٧) الأحقاف: ١٤.

من العلم ما لم يدخل في علم الله وجعلهم لله نظراء، فكذلك من زعم أن العباد يعملون ويقدرون ما لم يقدره الله ويقدرون على ما لم يقدر عليه؛ فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن- تعالى الله عن قول أهل الزور والبهتان والإفك والطغيان علوًا كبيرًا

جواب: ويقال لهم: هل فعل الكافر الكفر فاسدًا باطلًا متناقضًا؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: وكيف يفعله فاسدًا متناقضًا قبيحًا وهو يعتقده حسنًا صحيحًا أفضل الأديان، وإذا لم يجز ذلك لأن الفعل لا يكون فعلًا على حقيقته إلا ممن علمه على ما هو عليه من حقيقته كما لا يجوز أن يكون فعلًا ممن لم يعلمه فعلًا فقد وجب أن الله ﷻ هو الذي قدر الكفر وخلقه كفرًا فاسدًا باطلًا متناقضًا خلافًا للحق والسداد.

• • •

بـــــاب

الكلام في الشفاعة والخروج من النار

ويقال لهم: قد أجمع المسلمون أن رسول الله ﷺ شفاعة، فلمن الشفاعة؟ أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر أو لمؤمنين المخلصين؟ فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين الكبائر وافقوا، وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها، قيل لهم: فإذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشرين والله ﷻ لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جنانه؟ وما معنى قولكم قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه، وإذا كان الله ﷻ لا يظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلمًا، وإنما يشفع استشفاعًا إلى الله ﷻ في أن لا يظلم على مذهبكم- تعالى الله عن افترائكم عليه علوًا كبيرًا- فإن قالوا: يشفع النبي ﷺ إلى الله ﷻ في أن يزيدهم من فضله لا في أن يدخلهم جناته، قيل لهم: أوليس قد وعدهم الله ذلك فقال: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[1]، والله ﷻ لا يخلف وعده، فإنما يشفع إلى الله ﷻ عندكم في أن لا يخلف وعده وهذا جهل من قولكم، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقابًا أن يوضع عنه عقابه أو فيمن لم يعده شيئًا أن يتفضل به عليه، فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقًا فلا وجه لهذا.

سؤال: فإن سألوا عن قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2].

فالجواب عن ذلك: إلا لمن ارتضى أنهم يشفعون له، وقد روي أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر[3]، وروي عن النبي ﷺ أن المذنبين يخرجون من النار[1].

---

(١) النساء: ١٧٣.

(٢) الأنبياء: ٢٨.

(٣) أخرجه أبو داود ح (٤٧٣٩)، والترمذي ح (٢٤٣٥)، وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٨)، والحاكم في المستدرك ح (٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠) من حديث أنس به، وأخرجه الترمذي ح (٢٤٣٦)، وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ. وصححه ابن حبان ح (٦٤٦٧)، والحاكم في المستدرك ح (٢٣١) من حديث =

بـــاب

الكلام في الحوض

وأنكرت المعتزلة الحوض وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه بلا خلاف، وروى عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن أنس بن مالك أنه ذكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره، فبلغ أنسًا فقال: لا جرم والله لأفعلن به، قال: فأتاه فقال: ما ذكرتم من الحوض؟ قال عبيد الله: هل سمعت النبي ﷺ يذكره؟ قال: سمعت النبي ﷺ أكثر من كذا وكذا مرة يقول: «ما بين طرفيه - يعني الحوض - ما بين أَيْلَةَ ومكةَ أو ما بين صَنْعَاءَ ومكةَ، وإن آنيتَهُ أكثرُ من نجومِ السَّماءِ»[2]، وروى أحمد بن عبدالله بن يونس قال: حدثنا (ابن أبي زائدة)[3] عن عبدالملك بن عمير عن جندب بن سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فَرَطُكُم على الحَوْضِ»[4]- في أخبار كثيرة.

* * *

جابر به، ويشهد لها ما أخرجه البخاري ح (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم ح (١٩٩) من حديث أبي هريرة: «اختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة»

(١) أخرجه البخاري ح (٢٢)، ومسلم ح (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري به.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٠) من طريق عفان به

(٣) صوابه كما في صحيح مسلم، وتحفة الأشراف (٤/ ١٨١): «زائدة».

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٢٨٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس به، وأخرجه البخاري ح (٦٥٨٩) من طريق شعبة عن عبد الملك بن عمير به.

بــــاب
الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه ﷺ، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعًا من أصحاب النبي ﷺ، وروى أبو بكر بن أبي شيبة قال: ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَوَّذُ[1] بالله من عذابِ القبرِ»[2]، وروى أحمد بن إسحاق الحضرمي قال: ثنا وهيب قال: ثنا موسى بن عقبة قال: حدثتني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر[3]، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن لا تَدَافَنُوا لسألتُ الله ﷻ أن يُسْمِعَكُم من عذابِ القبرِ ما أسمعني»[4].

دليل آخر: ومما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[5]، فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدوًّا وعشيًّا، وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[6] مرة بالسيف ومرة في قبورهم: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة، وأخبر الله ﷻ أن الشهداء في الدنيا يرزقون

---

(١) في مصنف ابن أبي شيبة: «تعوذوا».
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ح (٢٩١٣٦)، وأخرجه الترمذي ح (٣٦٠٤) من طريق أبي كريب عن أبي معاوية به، وقال: «حديث حسن صحيح». اهـ.
(٣) أخرجه البخاري ح (١٣٧٦) من طريق وهيب به.
(٤) أخرجه مسلم ح (٢٨٦٨).
(٥) غافر: ٤٦.
(٦) التوبة: ١٠١.

ويفرحون بفضل الله، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، وهذا لا يكون إلا في الدنيا لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

* * *

(١) آل عمران: ١٦٩-١٧٠.

باب

الكلام في إمامة أبي بكر الصديق ﷺ

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾(١)، وقال ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٢)، وأثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(٣) الآية، قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك.

دليل آخر من القرآن على إمامة الصديق ﷺ: وقد دل الله على إمامة أبي بكر في سورة براءة، فقال للقاعدين عن نصرة نبيه ﷺ والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾(٤)، وقال في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا

(١) النور: ٥٥.
(٢) الحج: ٤١.
(٣) الفتح: ١٨.
(٤) التوبة: ٨٣.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾[1] يعني قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ ثم قال: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ - يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]

والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ الذي قال الله ﷻ له: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[4]، وقال في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ فمنعهم عن الخروج مع نبيه ﷺ وجعل خروجهم معه تبديلًا لكلامه؛ فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داعٍ يدعوهم بعد نبيه ﷺ، وقد قال الناس: هم أهل فارس، وقالوا: أهل اليمامة، وقالوا: الروم: فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم أبو بكر الصديق ﷺ ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضًا، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم، وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر كما وجبت إمامة عمر؛ لأنه العاقد له الإمامة؛ فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما، وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين ﷺ.

دليل آخر: الإجماع على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ: ومما يدل على إمامة

(١) الفتح: ١٥.
(٢) الفتح: ١٥
(٣) الفتح: ١٦
(٤) التوبة: ٨٣

الصديق ﷺ أن المسلمين جميعًا بايعوه وانقادوا لإمامته وقالوا له: يا خليفة رسول الله! ورأينا عليًّا والعباس ﷺ بايعاه ﷺ وأقرَّا له بالإمامة، وإذا كانت الرافضة يقولون: إن عليًّا هو المنصوص على إمامته، والراوندية تقول: العباس هو المنصوص على إمامته.

ولم يكن في الناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال:

مَنْ قال منهم: إن النبي ﷺ نص على إمامة الصديق وهو الإمام بعد الرسول، وقول من قال: نص على إمامة علي، وقول من قال: الإمام بعده العباس، وقول من قال: هو أبو بكر الصديق، هو بإجماع المسلمين والشهادة له بذلك، ثم رأينا عليًّا والعباس قد بايعاه وأجمعا على إمامته فوجب أن يكون إمامًا بعد النبي ﷺ بإجماع المسلمين.

ولا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن علي والعباس خلاف ظاهرهما، ولو جاز هذا لمدعيه لم يصح إجماع، وجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين، وهذا يسقط حجية الإجماع لأن الله ﷻ لم يتعبدنا في الإجماع بباطن الناس وإنما تعبدنا بظاهرهم، وإذا كان ذلك كذلك فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق، وإذا ثبتت إمامة الصديق ثبتت إمامة الفاروق؛ لأن الصديق نص عليه وعقد له الإمامة واختاره لها وكان أفضلهم بعد أبي بكر ﷺ، وثبتت إمامة عثمان ﷺ بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر فاختاروه ورضوا بإمامته وأجمعوا على فضله وعدله.

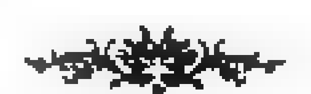
وثبتت إمامة علي بعد عثمان ﷺ بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته وقد أجمع على فضله وعدله، وإن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًّا لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه، فلما كان لنفسه في غير وقت الخلفاء قبله كان

حقًا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد كما مضى مَنْ قبله مِنَ الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم

هؤلاء الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم ﭬ.

وقد روى سريج بن النعمان قال: ثنا حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان قال: حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثلاثـونَ سنةً ثم مِلْكٌ بعدَ ذلك»، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان! ثم قال: أمسك خلافة علي بن أبي طالب! قال: فوجدتها ثلاثين سنة[1]؛ فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة ﭬ، فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة ﭫ فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية ﭬ كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري مِنْ كل مَنْ ينقص أحدًا منهم رضي الله عن جميعهم، فقد قلنا في الإقرار قولًا وخبرًا، والحمد لله أولًا وآخرًا

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب وحسن توفيقه، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين.



---

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٢٢٦) من طريق سريج بن النعمان به، وقال: «حديث حسن». اهـ.

الملحق الأول والثاني للإبانة

لمحمد عنايت علي الحيدرآبادي



الملحق الأول للإبانة

اعلم أن الإمام أبا الحسن الأشعري ساق الكلام في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) في مجموع العقائد الحقة لأهل السنة ومجموع العقائد الباطلة لأهل البدعة أولًا، ثم أتى على إثبات عقيدة عقيدة من عقائد أهل السنة، وإبطال عقيدة عقيدة من عقائد أهل البدع ثانيًا، كل ذلك بحجج بلج ودلائل جلائل، كما هو ظاهر من مطالعة كتابه المذكور.

وإذا علمت هذا فانظر أن الأشعري قال في صدر كتابه في باب إبانة قول أهل الزيغ والبدعة: «وتكلموا بخلق القرآن نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[1]»، ولا يخفى أن هذا القول منه غاية في تشنيع القائلين بخلق القرآن وذمهم، ثم قال في باب إبانة قول أهل الحق والسنة: «ونقول إن كلام الله غير مخلوق»؛ فثبت من هذين القولين للأشعري أن عقيدة خلق القرآن ضلالة وغواية عنده وخروج عن منهج السنة والجماعة ومعتقدها من أهل الشقاوة والغواية، وليس في هذين البابين ما ينسب إلى غيره من نقل عنه أو تحويل عليه بل جملة ما فيهما إنما هو من ترتيبه وترصيفه ووضعه وتركيبه؛ فتكون مقولته المرضية ومسلكه المختار، هذه مقدمة يجب عليك أن تقررها في ذهنك فإنها تنفعك إن شاء الله تعالى.

اعلم أن الأشعري عقد بابًا طويلًا لعدم خلق القرآن فأثبته بأبلغ الوجوه من عنده بغير أن ينقل عن أحد، ثم ذيّل هذا الباب بباب ما ذكر الرواة في القرآن،

---

(١) المدثر: ٢٥.

وظاهر أن هذا الباب من المتممات للباب السابق ولواحقه، وصنيع الأشعري في هذا الباب إنما هو حوالة المنقول على ناقله ونسبة الرواية إلى راويه، وأما تنقيد الرواة والقدح في المرويات أو تصحيحها وإثبات المنقولات أو إنكارها فما تعرض له- كما يظهر من مطالعة هذا الباب- غير أنه ذكر المروي في بعض المواضع بلفظ يعلم منه أنه صحيح عنده، مثل قوله: صحت الرواية، جاء بالروايات، يوردها بألفاظ بعضها أقوى من بعض مثل: قال؛ فإنه أقوى من: روى، وروى فإنه أقوى من ذكر، والحاصل أن مقصود الأشعري في هذا الباب المذيل سرد روايات الباب تأييدًا للباب السابق كما قال في آخر هذا الباب بأن فيما ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين.

وقد احتججنا لصحة قولنا: «إن القرآن غير مخلوق» من كتاب الله ﷻ وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان انتهى.

ومن المعلوم المقرر أن مجموع الروايات يحصل القوة والاعتضاد وإن كان في بعضه ضعف ووهن؛ ولأنه إذا كان المقصود إثبات المطلب من المجموع يكون النظر حينئذ على الحيثية المجموعية دون فرد فرد من المجموع، ففي مثل هذا المقام إذا أوردت الروايات الكثيرة لإثبات مقصد لا يلزم منه صحة كل واحدة من تلك الروايات، وعدم كونها مقدوحة مخدوشة لا سيما إذا لم يكن الكتاب كتاب رواية يبحث فيه عن نقد الروايات، فمن أين يثبت أن تكون رواية خلق القرآن المنسوبة إلى الإمام الهمام المصدرة بلفظ: ذكر صحيحة، وبعدم تسليمها يختل ما هو بصدد إثباته، وأيضًا ليس هنا لفظ يثبت منه أن هذه الرواية صحيحة عند الأشعري، ولا سياق يتحقق منه أنه ألزم نفسه أن يكون كل ما يورده من الروايات صحيحًا لا مجال فيه لقدح، بل هو بصدد أن يثبت منه مقصده ويؤيد به نوع تأييد للباب السابق ويجعل هذا الباب متممًا لذلك الباب ومكملًا له

معنى هذا إن لم نعتبر تلك الروايات ونتصورها خارجًا من الباب يتم مطلبه ويكمل مقصده أيضًا، ويثبت ما هو في إثباته كما يتم في صورة اعتبارها واعتدادها، ومع هذا كله سوق تلك الرواية وذكرها ليس لبيان مذهب الإمام الأعظم بل لإظهار إنكار وقع على مذهب الإمام من الأئمة المعاصرين له، ولتنبيه أن أولئك المنكرين كانوا من أشد الرادين على القائلين بهذا القول المنكر وإن كان بيان مذهب الإمام مطويًا في الرواية منتهيًا صورتها إليه، ولكنه قد يكون المقصود من الأمور المتعددة المتضمنة للرواية أمرًا واحدًا فقط لما يقتضيه المقام ولما يقصر المورد على هذا الأمر الواحد فحسب.

فظهر من هذا التقرير أن الأشعري ليس في إثبات نسبة هذه العقيدة إلى الإمام ولا أنه ثابت عنده بل يحتمل أن تكون نسبة هذا القول إلى الإمام غير ثابتة عنده من مقتضى تلك الروايات نفسها أو من أمور أخرى، ولكنه ذكرها مضمومة ملحوظة مع الروايات الأخرى لكونها مثبتة للمطلب بصورتها الإنكارية المقتضية لإثبات عدم خلق القرآن، وإدراجها في روايات أخرى إنما هو لكونها على تلك الصورة، وكل هذا أمور نفسية للروايات توهن الروايات وتجعلها ساقطة من الاعتبار لا يمكن أن تنسب معها هذه العقيدة إلى الإمام، أما الأمور التي هي خارجة من الرواية تقلع بنيانها فتجعلها خاوية عن عروشها، فمن جملتها أن الأشعري ذكر الإمام أحمد والشافعي ومالكًا وابن المبارك فيمن يقولون بعدم خلق القرآن، ويكفرون القائل بخلقه، وقال بعده: ولم نجد أحدًا ممن تحمل عنه الآثار وتنقل عنه الأخبار ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس وجهال من جهالهم لا موقع لهم- انتهى.

والأئمة المذكورون كلهم يبالغون في منقبة الإمام الذيبة ومدحه وشدة ورعه وتقواه وكمال إيمانه وإيقانه، وهذا ينافي كفره الذي يلزمه من هذه العقيدة ويقضي

إلى كفر الأئمة المذكورين، حيث بالغوا في مدح مثل هذا الرجل كأنهم رضوا بعقيدته- أعاذنا الله من هذا القول فيهم وسوء الظن في الأكابر.

وإذا تأملنا وأمعنا النظر فيما مدحوا به الإمام لم نجده إلا من باب قول الأشعري المذكور آنفًا بأنه لم نجد أحدًا ممن تحمل ... إلخ، أليس موجب تلك المدائح ومقتضاها أن يكون الإمام ممن تحمل عنهم الآثار وتنقل عنهم الأخبار ويستفاض ويستمد منهم ويقتدى بهم في الدين؟

بل هو منهم بل رأسهم ورئيسهم، أو لم يقف الأشعري على مدحهم للإمام أو وقف ولكنه لم يقدر على أن يفهم من ذلك المدح أنه ينفي نسبة أمثال هذه الأمور إلى الإمام ويوضح كون أمثال هذه الروايات كذبًا مختلقًا، وإن في نسبة هذا الأمر إلى الإمام يقع مادحوه في ورطة عظيمة لا ينجون منها ويردون موردًا لا يتخلصون منه، حاشا الأشعري أن يظن أمثال هذه الظنون في حقه فإنه إمام الأئمة لأهل السنة ومقتدي هذه الأمة، وأيضًا إيراد هذه الرواية التي أصل سياقها وصورتها إنما هو القصة المحكية والحكاية الواقعة، وإن كان قصة هذا المطلب في الباب الذي ذكرت فيه روايات تدل بأصلها ورأسها على عدم خلق القرآن بغير أن يحصل هذا المعنى في ضمن أمر آخر مخالف للباب غير مأنوس له، ولهذا لا يكون احتمال وضعها وإدخالها واقعًا في غير موقعه لا سيما إذا كانت الأمور المذكورة معاضدة له فإنه حينئذ يتعين وضعها وإلحاقها.

ثم العلماء الحنفية متفقون على عدم خلق القرآن وعلى تكفير القائلين بخلقه وكتبهم مشحونة بلعنهم ونقض دلائلهم، مملوءة بمثالبهم وتوهين حججهم، ومن أكابرهم من يذبون عن الإمام ويدفعون عنه كالعلامة القاري وغيره، ولم يذكروا شيئًا من هذه الرواية، ودأبهم أنهم يذكرون الأمور المفتراة على الإمام ومطاعنه ثم يدفعونها دفعًا بليغًا ويوضحون براءته بحيث لا تبقى معه ريبة،

فكيف يتصور أن يتركوا دفع هذه القبيحة عن الإمام وتبرئته عنها مع أنها من أعظم ما يهتم في دفعها، فهذا من أجل الأمارات على افتراء هذه الروايات واختلاقها، والشافعية كلهم - حصرًا من ألف منهم في مناقب الإمام وأحواله - لم ينسبوا هذه العقيدة إلى الإمام قصة، وذكر المتكلمون من الحنفية أن هذه المسألة - أعني عدم خلق القرآن - وقعت بوضع يثبت منه أن هذه العقيدة كانت عرضًا لازمًا لمذهب حضرة الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأن مبدأ المذهب ومنتهاه، ونشره وبه، ثم استمرت بغير الانفكاك في حين من الأحيان على هذه العقيدة؛ فرواية الاستتابة بغير الإنابة ثم رواية رجوعه عن عقيدة الخلق في أي حساب وأي عداد؟

قال البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات)[1] قال: سمعت سليمان يقول: سمعت الحارث بن إدريس يقول: سمعت محمد بن الحسن الفقيه يقول: من قال: القرآن مخلوق فلا تُصلِّ خلفه، وقرأت في كتاب أبي عبدالله محمد بن يوسف بن إبراهيم الدقاق رواية عن القاسم بن أبي صالح الهمداني عن محمد بن أيوب الرازي قال: سمعت محمد بن سابق يقول: سألت أبا يوسف فقلت: أكان أبو حنيفة يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: معاذ الله! ولا أنا أقوله، فقلت: أكان يرى رأي جهم؟ فقال: معاذ الله، ولا أنا أقوله، رواته ثقات.

وأنبأني أبو عبدالله الحافظ إجازة قال: أنا أبو سعيد أحمد بن يعقوب الثقفي قال: ثنا عبدالله بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله الدشتكي قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: كلمت أبا حنيفة سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا، فاتفق رأيه ورأيي على أن من قال «القرآن مخلوق» فهو كافر.

---

(١) الأسماء والصفات (١/ ٦١٠-٦١١)

قال أبو عبدالله: رواة هذا الكلام ثقات- انتهى.

اعلم -أرشدك الله تعالى- أنه يثبت من هذه الروايات للبيهقي أمران: الأول: عدم قول الإمام بخلق القرآن، والثاني: كون روايات الإبانة واهية بل موضوعة مختلقة، أما الأول فبوجهين:

أحدهما: أن تلك الروايات تدل بألفاظها وعباراتها على أن هذه العقيدة القبيحة ما خطرت في قلب الإمام وقلوب أصحابه قط. وثانيهما: أننا إذا أصرفنا النظر عن تلك الدلالة للروايات ورفعناها من البين فموقوعه في ذلك المقام يزيد المقصد تأييدًا بليغًا، بيانه أن تلك الروايات في باب هو موضوع لسرد الروايات عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضي الله تعالى عنهم في كون القرآن غير مخلوق كما عونه البيهقي فقال: (باب ما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ﷺ في أن القرآن كلام الله غير مخلوق)[1] وغرض البيهقي من ذكر الروايات بجميعها في هذا الباب إنما هو إثبات المطلب والاحتجاج على المقصد الذي هو عدم كون القرآن مخلوقًا، فيلزم أن من روى عنه البيهقي أو نقل قوله واعتقاده في هذا الباب أن يكون من أئمة المسلمين، ولما روى البيهقي في هذا الباب عن الإمام وأصحابه لزم أن يكون الإمام وأصحابه من أئمة المسلمين، ومن كان من أئمة المسلمين لا يكون قائلًا بخلق القرآن قط؛ لأن القول بخلقه كفر وضلالة، ومحال أن يكون الكافر من أئمة المسلمين، والحاصل أن محض وقوع الروايات عن الإمام وأصحابه في هذا الباب بغير أن ينظر إلى أن تلك الروايات تنفي نسبة هذه العقيدة القبيحة إلى الإمام -يدل دلالة بليغة على أن الإمام لم يكن معتقدًا بخلق القرآن قط، ومفاد المحصية أنه وإن لم تكن تلك الروايات في عدم خلق القرآن فمحض

---

(١) الأسماء والصفات (١/ ٥٨٥)

وقوعه في مثل هذا المقام يكفي لإثبات المرام

وأما الثاني فبوجوه متعددة: الأول: أنه يتضح من رواية محمد بن سابق وضوحًا تامًا أن الإمام لم يكن معتقدًا بخلق القرآن في حين من الأحيان وما كان قائلًا به في زمن من الأزمان؛ فإن محمد بن سابق سأل الإمام أبا يوسف بلفظ (كان) وهو للاستمرار في الزمان الماضي، وأجاب أبو يوسف بنفيه فدل دلالة ظاهرة قوية على أن الإمام لم يكن قائلًا بخلق القرآن في الأزمنة كلها، وأما الرواية الأخيرة لأبي يوسف حيث قال فيها: كلمت أبا حنيفة سنة جرداء... إلخ، فليس فيها دلالة على أن الإمام كان قائلًا بخلق القرآن قبل المباحثة كما يظهر من روايات الإبانة ثم رجع عنه، كما يعلم من الرواية الأخيرة المذكورة فيه أيضًا، بل إنما يظهر من عبارة هذه الرواية أن الإمام باحث أبا يوسف -رحمهما الله تعالى- في هذه المسألة لكي يجعل عدم الخلق محققًا مدللًا؛ فإن بالبحث يصير الأمر محكمًا منقحًا حتى عين الكفر للقائل بالخلق بعدما بذل أقصى جهده في تحقيق المسألة.

والثاني: أن البيهقي هو إمام المحدثين، وكتابه (الأسماء والصفات) خزانة للروايات المسندة، والأشعري هو إمام أهل السنة في الكلام، وكتابه هذا مخزن للاستدلالات الكلامية، ومن المقررات المسلمات أن اتباع كل أحد والأخذ بقوله وترجيحه على الآخر في هذا الاتباع والأخذ إنما يكون في فن غلب عليه فهو غواص بحاره وسيار قفاره؛ فعلى هذا لا يكون ما رواه بسنده معادلًا لما نقله البيهقي، فكيف يرجح ما نقله الأشعري من مرويات الناس بغير أن يوثق رواته وبدون أن يوجد من غيره توثيقهم كما في هذا المقام على ما رواه البيهقي بسنده أو نقله ووثق رواته وعدلهم، ومعناه يخالف معنى ما نقله الأشعري ويناقضه؟.

والثالث: أنه ليس في هذا الباب من كتاب البيهقي شمة من هذه الروايات ورائحة منها مع أنه يحسن إيرادها وإدراجها في أخواتها وأمثالها اللاتي ذكرت في

كتاب البيهقي مسندًا، فعدم ذكرها في موضعها من ذلك الكتاب أقوى ما يدل على كونها موضوعة مختلقة لا يلتفت إليها ولا يصغى إلى ما لديها، أما أحوال هذه الروايات وأمثالها من كتاب البيهقي فمنها ما قال: أخبرنا أبو عبدالله قال: أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن قال: أنا عبدالرحمن يعني محمد بن إدريس الرازي، قال: في كتابي عن الربيع بن سليمان، قال: حضرت الشافعي ﷺ وحدثني أبو شعيب إلا أني أعلم أنه حضر عبدالله بن عبدالحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد، وكان الشافعي ﷺ يسميه المنفرد، فسأل حفص عبدالله بن عبدالحكم فقال: ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه، وكلاهما أشار إلى الشافعي ﷺ، فسأل الشافعي فاحتج الشافعي وطالت المناظرة وغلب الشافعي بالحجة عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وكفّر حفصَ الفرد، قال الربيع: فلقيتُ حفص الفرد فقال: أراد الشافعي قتلي

أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمي قال: سمعت عبدالله بن محمد بن علي بن زياد يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: سمعت الربيع يقول: لما كلم الشافعي حفص الفرد فقال حفص: القرآن مخلوق، فقال الشافعي: كفرت بالله العظيم[1]. وقال عبدالرحمن بن عفان: سمعت سفيان بن عيينة في السنة التي ضرب فيها المريسي قال: ويحكم، القرآن كلام الله قد صحبت الناس وأدركتهم هذا عمرو بن دينار... إلخ، قال ابن عيينة: فما نعرف القرآن إلا كلام الله ﷻ، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله، لا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم[2]- انتهى

والرابع: أن البيهقي كان متعصبًا في مذهبه ومتصلبًا في مسلكه تشهد عليه

---

(١) الأسماء والصفات (١/ ٦١٢-٦١٣)

(٢) الأسماء والصفات (١/ ٦١٦)

(سنن الكبرى) فإن فيه اعتراضات فقهية على الإمام ردها، وأجاب عنها العلامة المارديني في كتابه (الجوهر النقي في الرد على البيهقي)؛ فلو كان لهذه الروايات أصل لذكرها البيهقي في كتاب الأسماء والصفات وما تركها وغفل عنها ألبتة، ولما لم يذكرها في كتابه بل ذكر ما ينافيها ويناقضها دل على أنه لا أصل لهذه الروايات.

والخامس: أن البيهقي احتج عن الإمام وأصحابه في عدم خلق القرآن، واحتج الأشعري عمن أنكر على الإمام عقيدته الخلق؛ فالإمام ممدوح في كتاب البيهقي ومحتج به بخلاف هذا الكتاب، فإنه غير محتج به فيه، بل هو مذموم بمقتضى هذه الروايات ومنكر عليه؛ فهذان الصنيعان للبيهقي والأشعري متضادان متدافعان، فتكون روايات البيهقي دافعة لهذه الروايات للأشعري للقاعدة التي ذكرناها في الوجه الثاني.

الوجه السادس: أنه قال البيهقي في آخر كتابه[1]: وقد تركت من الأحاديث التي رويت في أمثال ما أوردته ما دخل معناه فيما نقلته أو وجدته بإسناد ضعيف لا يثبت مثله- انتهى؛ فثبت من قوله هذا أن ما ترك من الروايات لا يخلو تركه من أحد هذين الوجهين، ولما كانت هذه الروايات متروكًا ذكرها في كتاب البيهقي ولا يمكن أن يكون تركها لدخول معناها في روايات البيهقي -وهذا ظاهر جدًّا- تعين أن وجه تركها إنما هو شدة ضعف في إسنادها بحيث لا يثبت بمثل هذا الضعف شيء.

والسابع: أن رواية محمد بن الحسن توهن هذه الروايات وتجعلها مخدوشة وتقوي افتراءها وتجعلها مقدوحة، وذلك بوجهين:

الأول: أنه ليست هذه الرواية في الإبانة مع أن من عادتهم أنهم يذكرون في

(١) الأسماء والصفات (٢/ ٤٩٥).

معرض الاحتجاج وموضع الاستدلال غالب أقوال العلماء الذين يتقاربون ويتماثلون في العلم، ونقل في هذا الباب ممن هو متقارب في الزمان ومماثل في العلم للإمام محمد محتجًا بهم ومستدلًا عنهم، وما ذكر قوله هذا مع أنه أبلغ في تشنيع القائلين بخلق القرآن مبلغًا عظيمًا، والمخالفة من القوم في عادتهم والأجنبية منهم في صنيعهم يحدس الأمر ويخل فيه؛ فاحتمل أنه كانت هذه الرواية في هذا الكتاب ولكنه أخرجت حين ألحقت هذه الروايات فيه لكونها قادحة فيها ناقضة لها كما يومئ إليه في الوجه الثاني وواقع في موقعه وحال في محله.

والثاني: أن مقتضى قول الإمام محمد هو أن تشنعوا وتفظعوا على قائل هذا القول غاية تشنيع وتفظيع، واجتنبوه وتحذروا منه نهاية تحذر وتجنب؛ فإن كان الإمام قائلًا به كيف تلمذ محمد بن الحسن واقتدى به في الدين اقتداءً كليًا وهما مما يوجب التكريم والاختلاط الأتمين الأكملين لمن يتلمذ ويقتدى به وإن كان محمد بن الحسن كرم الإمام واختلط به اختلاطًا تامًا مع هذه العقيدة له صار قابلًا للذم وسقط الاحتجاج بأقواله، وحيث احتج به البيهقي يكون هو مطعونًا ملامًا حقيقًا بأن يشنع في أنه كيف احتج بمثل هذا العالم الذي يعود عليه الذم شرعًا ويدخل في وعيد قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، فانظر إلى أنه أين صار الأمر وإلى أي قبيحة انتهى، والعياذ بالله وإليه المشتكى! ولما لم توجد هذه الأمور ومحال أن توجد؛ فمحال أن توجد هذه العقيدة في الإمام، ولله الحمد.

واعلم أن مما يبطل معنى هذه الروايات ويثبت أنه ما قال الإمام هذا القول وما اعتقده قط بل كان بريئًا منه مدة عمره ما روى البيهقي عن محمد بن

---

(١) الصف: ٢-٣.

إسماعيل البخاري أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق عليه أدركنا علماء الحجاز أهل مكة والمدينة وأهل الكوفة والبصرة وأهل الشام ومصر وعلماء أهل خراسان[1]. انتهى.

وهذا لأنه إذا أخبر أحد من إدراكه لشخص أو جماعة على حالة مخصوصة بدون أن يعين زمان إدراكه ويقيدها في زمان مخصوص وكان المدرِك - بالكسر - متأخرًا في الزمان عن المدرَك - بالفتح - أو معاصرًا له، ينبغي أن يعلم منه أن إدراكه عام وشامل للكل ولا يقيد بزمان دون زمان، وأن الحالة المذكورة حالة دائمة للمدرك غير منفكة عنه لاسيما إذا ذكر هذا الإدراك استشهادًا على المقصد وتقوية للمطلب.

إذا تقررت هذه المقدمة وارتسمت في الذهن نرجع إلى المقصد ونقول: إن البخاري ذكر في هذه الرواية إدراكه مطلقًا بغير أن يقيد أن جماعة معينة أو فردًا معينًا من تلك الجماعة كان يعتقد أولًا خلق القرآن ثم رجع عنه؛ فيجب أن يكون الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبو حنيفة الكوفي في مدركي أهل الكوفة دخولًا أوليًا أولويًا، وأن يكون ابتداء وانتهاء على أن القرآن غير مخلوق.

لا يخفى على النفوس الخبيرة أنه اتفق المحدثون وحفاظ الشرع المنيف، وأجمعت الفقهاء وأئمة الدين الشريف أن الإمام الأعظم كان عالمًا زاهدًا عاملًا وإمامًا متورعًا كاملًا، وما تفوهت الشرذمة القليلة بطعنه وجرحه لا يمكن أن يكون ناقضًا لذلك الإجماع خارقًا له، بل يضرب بطعنهم في وجوههم فينقلبون خاسرين، لاسيما إذا كانت الأئمة الثلاثة الذين اتبعهم جمع كثير وجم غفير من أكابر العلماء في كل عصر، وما زال كل قطر من أقطار العالم يقلدهم يمدحون الإمام ويثنون عليه، فإنه لما كان الطاعنون أكثرهم من مقلدي هذه الأئمة

---

(١) الأسماء والصفات (١/ ٦١٥-٦١٦)

ومتبعيهم ينسبون إلى أحد منهم لابد أن تكون هذه الأئمة فوق الطاعنين في العلم والفهم؛ فطعن تلك الطاعنين فيمن أثنى عليه أئمتهم ثناء كليًا ومدحوه مدحًا دينيًا باطل ومن الحق عاطل، تضمحل مطاعنهم في مدائحهم وتتلاشى فتصير هباء منثورًا ويعود كل منهم ملومًا مدحورًا.

قال الإمام الشافعي أفقههم وأعلمهم بأن الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة[1]، وقال مالك عالم المدينة وإمام الأئمة فيما روى الخطيب[2] عن أحمد بن الصباح قال: سمعت الشافعي محمد بن إدريس قال قيل لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلًا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته- كذا في تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة للسيوطي، إلى غير ذلك مما يطول شرحه، وسيأتي منه نبذة هي كرشحة من اليم أو قطرة من البحر، وقد نطق الشرع بشأنه وأفصح عن بيانه يقف عنده مَنْ عنده الرشد والدهاء، ولا يتجاوز عنه إلا مَن اتبع الهوى وركب متن عشواء، وهو حديث الثريا، خرجه جهابذة المحدثين كالبخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة متقاربة لا يختلف معها المعنى؛ فهو أصل في البشارة بالإمام بالغ المحل الأسنى

قال المحقق المحدث العلامة السيوطي في تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة: إن هذا أصل صحيح معتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة، وخلاصة الكلام في هذا المقام أن الإمام أبا حنيفة ممدوح بلسان الشريعة ولسان الجماهير من علمائها، ومن كان ممدوحًا بلسان الشرع ولسان علمائه ما يقول بخلق القرآن قط، فينتج من هاتين المقدمتين أن الإمام أبا حنيفة ما كان قائلًا بخلق القرآن قط

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٦٤)

(٢) في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٣٧-٣٣٨)

أما الصغرى فأثبتناها، وأما الكبرى فإثباتها أن القول بخلق القرآن كفر وشرك بالله تعالى، وهما مذمومان عند الشرع وعند كُلّ من علمائه؛ فالإمام ممدوح من جهة الشرع، والكفر مذموم من تلك الجهة أيضًا، فإذا اتحدت جهتهما فهما متناقضان فلا يجتمعان.

واعلم أنه قد ألف العلماء من أهل المذاهب الأربعة كتبًا ورسائل في مناقب الإمام وشهدوا بجلالة شأنه وعظم مكانه في الدين، ولما لم يكن مقصودنا جمع الروايات والإحاطة بها بل المطلوب إنما هو تقرير أمر من الأمور وإثبات مطلب من المطالب؛ فنورد من تلك الروايات ما يكفينا في إثبات مقصدنا وإقراره على مركزه، ومن أراد الإحاطة بها فعليه تلك الكتب وهو روايتان.

الأولى منهما: هي ما أورده الحافظ السيوطي في تبييض الصحيفة فقال: وروي أيضًا عن أبي بكر بن عياش قال: مات عمر بن سعيد أخو سفيان فأتيناه نعزيه فإذا المجلس غاصٌّ بأهله وفيهم عبدالله بن إدريس إذ أقبل أبو حنيفة في جماعة معه، فلما رآه سفيان تحول من مجلسه ثم قام فاعتنقه وأجلسه في موضعه وقعد بين يديه، فقلت له: يا أبا عبدالله رأيتك اليوم فعلت شيئًا أنكرته وأنكر أصحابنا عليك، قال: وما هو؟ قلت: جاءك أبو حنيفة فقمت إليه وأجلسته في موضعك وصنعت به صنيعًا بليغًا، فقال: وما أنكرت من ذاك؟ هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه، فأفحمني فلم يكن له عندي جواب[1]- انتهى.

أقول: يظهر من هذه الرواية أن الرواية الأولى من روايات الإبانة مفتراة على سفيان الثوري لأنه لا تخلو واقعة هذه الرواية إما أن تكون قبل واقعة تلك

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤١)

الرواية من الإبانة أو بعدها، فعلى الأول تضمحل هذه المنقبة السابقة المسطورة في هذه الرواية من المنقصة اللاحقة المذكورة في تلك الرواية بحيث لا يبقى لتلك المنقبة اعتبار بعد وجود هذه المنقصة، مع أن المعتبرين من العلماء كالحافظ السيوطي وغيره أوردوا هذه الرواية في مناقب الإمام وأثبتوا بها علو مكانه في الدين، فيظهر من اعتبار هذه الرواية بإيرادها في مناقبه والاحتجاج بها كون تلك الرواية مفتراة على الثوري منسوبة إليه.

وعلى الثاني: كيف يتصور أن يصدر من مثل سفيان نحو هذه المبالغة في مدح الإمام وتكريمه، وترديد من أنكر هذه المبالغة المدح له مع أنه سبق تهجينه بها أعلن من كفره وما وافق معه بل ثبت منه التكفير لقائل الخلق، وغاية الاهتمام فيه كما أخرج اللالكائي في السنة[1]، نا المخلص نا أبو الفضل شعيب بن محمد نا علي بن حرب بن بسام سمعت شعيب بن جرير[2] يقول: قلت لسفيان الثوري حدث بحديث السنة ينفعني الله به، فإذا وقفت بين يديه قلت: يا رب حدثني بهذا سفيان فأنجو أنا وتؤخذ، قال: اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، وتقدمة الشيخين- إلى أن ختم هذا الكلام على قوله. إذا وقفت بين يدي الله فسألك من قال هذا؟ فقل: يا رب حدثني بهذا سفيان الثوري ثم خل بيني وبين الله ﷻ).

هذا ثابت عن سفيان أورده الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ[3] في ترجمة سفيان الثوري؛ فإن كان الثوري كرم الإمام وأثنى عليه بمثل هذا التكريم

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣١٤).

(٢) صوابه كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وتذكرة الحفاظ: «حرب».

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٦).

والثناء البالغين إلى أقصى مدارجهما مع كونه على هذه العقيدة التي يستحق معها صاحبها غاية اللوم ونهاية الطرد بكون هو مطعونًا حقيقًا بأن يجعل هدفًا لسهام الملامة، وثبت من استقراء أحواله وأقواله وتتبع أعماله وأفعاله أن شأنه أرفع من أن تتجه إليه المطاعن القادحة وأن تلحقه موجبات الملامة.

والثانية: ما روى الخطيب[1] عن محمد بن بشير[2] قال: كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان فيقول: لقد جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله، فآتي سفيان فيقول: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض - انتهى، ورواه السيوطي أيضًا في تبييض الصحيفة.

قلت: يظهر أيضًا مما قال في الرواية المذكورة قبل هذا. وأن الوصف في مقام المدح بأنه أفقه أهل الأرض يكون منقبة دينية، والمنقبة الدينية لا تجتمع مع المنقصة الدينية، مفاده أنه متى تحققت المنقبة الدينية لا تتصور المنقصة الدينية هنا، ومتى تقررت المنقصة الدينية لا تجتمع معها المنقبة الدينية، ولما قال سفيان للإمام: إنه أفقه أهل الأرض كان هذا منقبةً بليغةً ومدحةً عظيمة في حقه، وعلى صدق هذه الروايات من الإبانة كان الإمام قائلًا بخلق القرآن ولا شك أنه منقصة تامة، فكيف تستقر تلك المنقبة مع هذه المنقصة؟ وكيف كان يجوز مثل الثوري تلك المنقبة لمن فيه مثل هذه المنقصة؟ وكيف يرضى لنفسه هذا الصنيع المطيع؟ حاشاهم عن ذلك ونكف ألسنتنا عن أن نقول فيهم ما هم بريئون عنه، ويثبت تجدد المقولة على تجدد الإتيان مما قال الراوي في هذه الرواية بأن «كنت أختلف فآتي فيقول»، فانتفى احتمال أن ما قال الثوري في حق الإمام بأنه أفقه

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٤)، ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٢٣).

(٢) صوابه في تاريخ بغداد وتهذيب الكمال: «بشر».

أهل الأرض كان بعدما رجع الإمام عن هذه العقيدة؛ لأنه لما كان تجدد هذه المقولة الواحدة للثوري وتعددها حسب تجدد الإتيان وتعدده؛ فتعين مقولة من تلك المقولات للبعدية يقتضي تعيين إتيان من الإتيانات المتعددة هنا، وتعيينها بلا دليل يدل عليه ترجيح بغير مرجح، وأما أن تسلسل هذا الإتيان يؤخذ ابتداؤه بعد رجوع الإمام عن هذه العقيدة أو يحتمل ذلك فيقتضي دليلًا مرجحًا وبرهانًا معينًا حتى يعين أن سلسلة الإتيان ابتداؤها من وقت كذا أو ليس فليس، فالمقصد على حاله، وإن صرفنا النظر عن كل هذا فتكون الرواية الأولى من روايات الإبانة مخدوشة وغير مسموعة مجروحة غير مقبولة أيضًا على قاعدة المحدثين

قال شيخ الإسلام التاج السبكي في الطبقات: قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعاته على معصيته ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه، إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية وغير ذلك كما يكون بين النظراء، وحينئذ فلا يلتفت إلى كلام الثوري وغيره في أبي حنيفة... إلى آخر ما قال.

والذهبي عدل الإمام بأعلى مدارجه حيث لم يذكر الإمام في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) لجلالته الباهرة وعظمته الظاهرة التي لا تخفى على أحد ولا يشك فيه فرد كما قال. وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة المتبوعين في الفروع أحدًا لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس مثل أبي حنيفة والشافعي والبخاري[1]- انتهى.

وظاهر أن الذهبي محك الرجال وإمام النقادين ببصير متيقظ لا يتغافل، متصلب متعصب يبالغ في الجرح لا يتساهل، بل هو لشدته في الجرح عن الحق

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٢).

قد يتمايل، فإن كان الإمام قائلًا بخلق القرآن يستحيل عادة أن يخفى على مثل هذا الخبير ولا يقف عليه، وإن كان يعلم فبعيد أن يعدله هكذا مع وجود ما يوجب الجرح القوي فيه، وأما الاستتابة المخصوصة المذكورة في هذه الروايات فهي وإن أبطلناها من الأصل بحيث لا يكون لداخل فيه دخل، ولكن تقوي هذا الإبطال وتؤيده حكاية الاستتابة المطلقة التي كذبها وأبطلها القاضي أبو اليمن في كتابه (مختار المختصر) وأبو المؤيد في (جامع المسانيد)، وإذا بطل العام بطل الخاص ضرورة؛ فإن الخاص داخل في العام، قال القاضي أبو اليمن في (مختار المختصر) إن أبا حنيفة استتيب من الزندقة مرتين، وذلك كذب، وفي رواية: من الكفر مرارًا.

قال أبو المؤيد في (جامع المسانيد): أما قول الخطيب حاكيًا عن سفيان الثوري أنه قال: «استتيب أبو حنيفة مرتين من الكفر» له وجوه ثلاثة: أحدها أن سفيان كان بينه وبين أبي حنيفة عداوة لأن أبا حنيفة كان يباحثهم فلا يقدرون على أن يتكلموا؛ فكان سفيان وأمثاله من البشر تأمرهم النفس الأمارة بالسوء على الوقيعة فيه بحكم البشرية كإخوة يوسف أولاد يعقوب ثم يتذكرون فإذا هم مبصرون.

الثاني: أن أبا يوسف فسر ذلك فقال: لما دعا ابن هبيرة أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، وكان مذهب ابن هبيرة أن من خرج عن طاعة الإمام كفر، فقال له: كفرت يا أبا حنيفة تب إلى الله تعالى، فقال: أتوب إلى الله من كل سوء، ثم دعاه الثانية، ففعل ذلك ثلاث مرات إلى أن قال: فهذا معنى قول سفيان: استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين.

الثالث: ما قيل: إن الخوارج دخلوا الكوفة فقصدوا أبا حنيفة بالسيوف المشهرة فقالوا: تزعم أنه لا يكفر أحد بذنب -والحكاية مشهورة- إلى أن قال له أبو حنيفة: أتوب إلى الله من كل ذنب، فقال أعداؤه: استتيب أبو حنيفة.

ذكرها أيضًا المحدث الجليل المتكلم النبيل المتضلع في العلوم بضلع قوي ابن حجر المكي الهيتمي الشافعي فقال في كتابه «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» إنه وقع لبعض حساد أبي حنيفة الذين ينقصونه عما هو بريء منه أنه ذكر في مثالبه أنه كفر مرتين واستتيب مرتين، وإنما وقع له ذلك مع الخوارج فأرادوا انتقاصه به وليس بنقص بل غاية في رفعه؛ إذ لم يوجد أحد يحاجهم غيره رحمة الله عليه – انتهى.

ثم من مؤيدات هذا الافتراء كثرة معاندي الإمام من معاصريه وغيرهم من أهل الأهواء والزندقة، ومن حكي من سعيهم في إيذائه وإيلامه، ومن جهدهم في إلزامه واتهامه فكبهم الله تعالى على وجوههم فانقلبوا خاسرين ورجعوا خائبين، وكانوا من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، لأنهم أرادوا إطفاء نور الله في الأرض والله متم نوره على رغم المسلمين.

اعلم أن الإبانة ليس فيها رواية الاستتابة عن سفيان الثوري كما هي في (جامع المسانيد) بل الذي عنه في هذا الكتاب أن الإمام كان يقول بخلق القرآن، والاستتابة فيه إنما هي مروية عن غيره، إلا أنه تئول جميع الروايات إلى جرح سفيان في الإمام بأي وجه كان؛ فتكون مدفوعة بروايات أخرى عنه كما ذكرنا، وبفرض ألا تكون مدفوعة عنها فالجرح من سفيان في حق الإمام سواء كان بالاستتابة أو نسبة هذه العقيدة إليه مردود على قاعدة المحدثين لا يلتفت إليه كما نقلنا من الطبقات للسبكي، وإن كان الجرح منه بالاستتابة مؤولة كما هي معنى الوجه الثاني من (جامع المسانيد) أو محرفة كما يعلم من الوجه الثالث من هذا الكتاب أيضًا، وإن لم نعتبر تلك الأمور التي ذكرناها بل نفسرها مرفوعة غير مذكورة، وتأملنا في مسلك الإمام وطريقته وتتبعنا مذهبه ومشربه فنعلم منه وحده علمًا جازمًا أن الإمام بريء عن القول بخلق القرآن وأمثاله من العقائد الزائغة.

قال أبو أسامة: سمعت سفيان يقول: ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل بها الرجل، قلت: صدق والله، إن طلب الحديث شيء غير الحديث؛ فطلب الحديث اسم عرفي لأمور زائدة على ما تحصيل ماهية الحديث وكثير منها مراقي إلى العلم وأكثرها أمور يشغف بها المحدث، كتحصيل النسخ المليحة، وطلب المعالي، وتكثير الشيوخ... إلخ، فإذا كان طلبك للعلم النبوي محفوفًا بهذه الآفات فمتى خلاصك إلى الإخلاص؟ وإذا كان علم الآثار مدخولًا فما ظنك بعلم المنطق والجدل، وحكمة الأوائل التي تسلب الإيمان وتورث الشكوك والحيرة التي لم تكن - والله - من علم الصحابة ولا التابعين ولا علم الأوزاعي والثوري ومالك وأبي حنيفة وابن أبي ذئب وشعبة، وهكذا عدَّ الآخرين من العلماء ثم قال بعده: بل كانت علومهم القرآن والحديث والفقه والنحو وشبه ذلك - كذا في تذكرة الحفاظ للذهبي الحافظ الناقد صفحة (١٦٨) و(١٦٩) من المجلد الأول.

قلت: في هذا غاية تبرئة للإمام الأعظم ونهاية تطهير له من هذه العقيدة وأمثالها وأشباهها وأنه من الأئمة الأجلة وقدوة هذه الأمة، وأن طريقه طريق مرضي ومنهجه منهج سوي برغم أنف كل مادر غوي بقوة الله القادر القوي، أفمن يقول بخلق القرآن يُجعل من الأئمة المتبوعين للمسلمين ومن الذين قام بهم منار الدين واستنارت بهم مناهج اليقين؟ ولتضم هذه العبارة للذهبي مع قوله الذي نقلناه من (ميزان الاعتدال) لأنها تجرح الجرائح وتورد عليها القبائح وتوقع الخارجين في الفضائح وتثبت للإمام مديحة هي أم المدائح.

وقال فخر الإسلام والمسلمين البزدوي الذي هو إمام الأئمة للأصوليين في كتابه (في أصول الفقه) بمدح الإمام ويبين أحواله السنية: وكان في علم الأصول إمامًا صادقًا، وقد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق

القرآن ستة أشهر فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وصح هذا القول عن محمد رحمه الله، ودلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في المبسوط وغير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيء من مذاهب الاعتزال وإلى سائر الأهواء- انتهى.

وقال شارحه في شرح هذا المقام: ومما يدل على تبحره فيه ما روى يحيى بن شيبان عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: كنت رجلًا أعطيت جدلًا في الكلام فمضى دهر فيه أتردد وبه أخاصم وعنه أناضل، وكان أكثر أصحاب الخصومات بالبصرة فدخلتها نيفًا وعشرين مرة أقيم سنة وأقل وأكثر، وكنت قد نازعت طبقات الخوارج من الإباضية وغيرهم، وطبقات المعتزلة وسائر طبقات أهل الأهواء وكنت بحمد الله أغلبهم وأقهرهم، ولم يكن في طبقات أهل الأهواء أحد أجدل من المعتزلة؛ لأن ظاهر كلامهم مموه تقبله القلوب وكنت أزيل تمويهم بمبدأ الكلام- انتهى.

أقول: إن قوله قد صح عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة... إلى آخر ما قال مفسرًا للدعوى المتقدمة المذكورة في قوله: «كان في علم الأصول إمامًا صادقًا» ومثبت لها: ينبغي أن تنزل هذه العبارة المتقدم ذكرها منزل الدعوى ويفهم ما بعدها دليلها، فتقديم الدليل الذي هو مناظرة الإمام في مسألة الخلق على دلائل أخرى وذكره بصورة القصة والواقعة دون ما سواه من الدلائل يعلم منه أنه كان للإمام وأصحابه جهد عظيم في إنكار خلق القرآن واهتمام بليغ فيه، حيث باحث معه أفضل تلامذته وأذكاهم وأجودهم بحثًا طويلًا بالغًا، فصار كأن الإمام أزال بشمس تحقيقه الظلمة المظلمة التي أحاطت الأمر من كل جانب فصارت مستنيرة منيرة مستضيئة مضيئة لا يستريب معها في كفر قائله كل أريب لبيب، ولا يدب في الصدور من الشك فيه دبيب.

وحيث قدم البزدوي هذا الدليل على دلائل أخرى وذكرها بصورة مخصوصة مخالفة لقصور تلك الدلائل دالة على اهتمام الإمام فيه، فهو من أعظم الأدلة عنده على دعواه وهي كون الإمام ممن صادقًا في علم الأصول، فبقول البزدوي هذا يكشف القناع عن روايات الإبانة بجملتها بإثبات افترائها ووضعها، ثم ينظر إلى عبارة الشارح فإنه يتضح منه صنيع الإمام ودأبه ومخاصمته أهل الأهواء عامتهم وإلزامه وإفحامه لهم؛ فإن كانت عقيدة الخلق متمكنة في الإمام وهي من أشهد المنكرات وقائلها من أعظم أهل الأهواء وأهل المبتدعين كيف يستقيم عليه صنيعه هذا؟!

ومما يوضح مسلك الإمام فيه بحيث لا يتردد بعده متردد هو ما روى فلان عن نعيم بن حماد قال: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا كان عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخترنا ولم نخرج من قولهم، وإذا كان عن التابعين زاحمناهم - أوردها الحافظ السيوطي في تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة.

أقول: إنه يبعد على هذا المسلك للإمام غاية البعد أن تتمكن هذه العقيدة في الإمام أشد التمكن بحيث انتهى الأمر باستتابته وهي متمكنة بعدها أيضًا غير زائلة مع أنه يعلم قبحها من أول النظر في الأحاديث والآثار، فكيف يخفى على من قصر نظره عليها بعد كتاب الله تعالى في الليل والنهار - أعاذنا الله من هذا القول في الأكابر.

وإذا انتهى الأمر إلى هذا المقام فلسكت لقلم ولنختم الكلام فإن الأمور التي تكون بهيئتها الاجتماعية موجبة لتزييد اليقين وتأكيده كثيرة وما أتينا بها فهي منها بلغة يسيرة، وهي تكفي العاقل فإن له تكفي الإشارة والجاهل لا تفيده العبارة.

* * *

تنبيهات

الأول منها: أن القول بمناظرة الإمام في مسألة الخلق مذكور في ثلاثة كتب: أحدها الإبانة، وثانيها كتاب الأسماء والصفات، وثالثها كتاب البزدوي، وهي متفقة على أصل المناظرة ولكنها مختلفة متناقضة في بيان مآلها، ففي الأول منها أن الإمام رجع بعد المناظرة عن عقيدة خلق القرآن، وظاهر أن الرجوع من أمر يقتضي سبق المرجوع عنه، وأيضًا يتضح من عبارته أن أبا يوسف ما ناظر الإمام إلا لإبطال عقيدته وإرجاعه عنها، وفي الأخيرين أن الإمام وأبا يوسف اتفقا بعد المناظرة على تكفير قائل الخلق، ولا يخفى أن مقتضى هذا هو أن المناظرة ما كانت إلا لتقرير حكم المسألة بعد تحقيقها التام، وأما أن عقيدة الإمام كانت هكذا قبل المناظرة فأين هو في الرواية المذكورة في هذين الكتابين؟ بل يثبت منها نفيه ويظهر منها خلافه، فالعبارة التي وردت بها رواية المناظرة في الكتابين الأخيرين يظهر منها كذب رواية الإبانة بعبارتها الكاذبة.

والثاني: أن رواية المناظرة بأي عبارة كانت تدل على أن البحث في هذه المسألة إنما كان مبتدأ من الإمام أبي يوسف لا الإمام الأعظم، فإن المروي في كتاب الأسماء والصفات هو لفظ «كلمت أبا حنيفة»، وفي كتاب البزدوي هو: «ناظرت أبا حنيفة» لا كلمني وناظرني، فيظهر منه أن الإمام كان قبل المناظرة على يقين تام بعدم الخلق، وأما بعد المناظرة فزاد يقينًا بعد يقين- فانتهى إلى أقصى مراتبها التي ليست بعدها مرتبة فوقها.

والثالث: أنه يتعلى الخبير ويتحير البصير مما ذكر لمجال التحريف والوضع، ومجال الافتراء والاختلاق في هذا الأمر أنه من أين حصل لهم السعة لهذا الافتراء، فإنهم يكفي لهم أدنى سعة وإن كانت أوهن من بيت العنكبوت.

تم بحمد الله الملحق الأول لمحمد عنايت علي، كان الله له.



الملحق الثاني للإبانة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على كون هذه الروايات مفتريات على الأشعري مدخولة في كتابه هذا هو أنه ما ذكر في كتابه (مقالات الإسلاميين) أن الإمام كان قائلًا بخلق القرآن مع أنه جمع فيه مقالات الفرق الإسلامية سالكًا في جمعه مسلكًا قويمًا ومنهجًا مرضيًّا خاليًا عن الإفراط والتفريط، مضيفًا إلى كل فرقة أو قائل ما هو قائله ومعتقده، كما ذكر هو في مفتتحه حيث قال: أما بعد! فإنه لابد لمن أراد معرفة الديانات والتميز بينها من معرفة المذاهب والمقالات، ورأيت الناس في حكاية ما يحكون من ذكر المقالات ويصنفون في النِّحَل والديانات من بين مقصر فيما يحكيه وغالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ومن بين متعمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه ومن بين تارك للتقصي في روايته لما يرويه من اختلاف المختلفين ومن بين مَنْ يضيف إلى قول مخالفيه ما يظن أن الحجة تلزمهم به، وليس هذا سبيل الربانيين ولا سبيل الفطناء المميزين، فحداني ما رأيت من ذلك على شرح ما التمست شرحه من أمر المقالات واختصار ذلك وترك الإطالة والإكثار، وأنا مبتدئ شرح ذلك بعون الله وقوته[1] - انتهى

فهذه الروايات التي تنبئ بعباراتها عن مذهب الإمام وتفصح عن اعتقاده لو كانت صحيحة لذكر الأشعري في كتابه (المقالات) هذه العقيدة للإمام، وكيف يتصور أن يتركها مع قوله المذكور آنفًا المؤدي معناه إلى أنه ليس بمقصر فيما يحكيه غالط فيما يذكره وتارك للتقصي فيما يرويه من اختلاف المختلفين؟ وذكر أيضًا هذه الروايات مع أنه ذكر عقيدة الخلق في مواضع من كتابه (المقالات)

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص ١).

ونسبها إلى الفرق المتعددة، كما قال في ذكر القول في القرآن: قالت المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة: إن القرآن كلام الله سبحانه وأنه مخلوق لله لم يكن ثم كان[1] وقال بفاصلة قليلة بعده: إنه حكي عن ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق، ونصفه غير مخلوق، وحكى بعض من يخبر عنه في (المقالات) أن قائلاً من أصحاب الحديث قال: ما كان علمًا من علم الله سبحانه في القرآن فلا نقول مخلوق ولا نقول غير الله، وما كان فيه من أمر ونهي فهو مخلوق، وحكاه هذا الحاكي عن سليمان بن جرير وهو غلط عندي، وحكى محمد بن شجاع أن فرقة قالت: إن القرآن هو الخالق وأن فرقة قالت: هو بعضه، وحكى زرقان أن القائل بهذا وكيع بن الجراح[2]- انتهى.

أقول: لو كانت الروايات واقعة صحيحة معلومة للأشعري لذكرها في هذا المقام اللائق بذكره - كما لا يخفى على العاقل، وقال في ذكر الخوارج: والخوارج جميعًا يقولون بخلق القرآن، وقال في ذكر المرجئة: والفرقة التاسعة من المرجئة أبو حنيفة وأصحابه يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله، والإقرار بالله والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير، وذكر أبو عثمان الأدمي أنه اجتمع أبو حنيفة وعمر بن أبي عثمان الشمري بمكة فسأله عمر فقال له: أخبرني عمن زعم أن الله سبحانه حرم أكل الخنزير غير أنه لا يدري لعل الخنزير الذي حرمه الله سبحانه ليس هي هذه العين، فقال: مؤمن، فقال له عمر: إنه قد زعم أن الله قد فرض الحج إلى الكعبة غير أنه لا يدري لعلها كعبة غير هذه بمكان كذا، فقال: هذا مؤمن، قال: فإن قال: أعلم أن الله سبحانه بعث محمدًا

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٥٨٢).
(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٥٨٦)

وأنه رسول الله غير أنه لا يدري لعله هو الزنجي، قال: هذا مؤمن

ولم يجعل أبو حنيفة شيئًا من الدين مستخرجًا إيمانًا وزعم أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه، وأما غسان وأكثر أصحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أسلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا ينقص[1]- انتهى

أقول: إن هذا أيضًا من مواضع ذكر هذه الروايات وهذه العقيدة للإمام، وما ذكر فيه شيئًا منها، وأما كون الإمام من المرجئة فسيأتي دفعه من كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، ومن كتاب (أبكار الأفكار) للآمدي.

نعم، هذا المقام جرّأ الواضعين والمفترين على وضع تلك الروايات وافترائها واختلاقها من عند أنفسهم ونسبتها إلى الأشعري، وأيدهم على ذلك ما قاله الأشعري بعدما ختم ذكر فرق المرجئة أنه اختلف المرجئة في القرآن هل هو مخلوق أم لا؟ على ثلاث مقالات، فقال قائلون منهم: إنه مخلوق، وقال قائلون منهم بالوقف، وإنا نقول: كلام الله سبحانه لا نقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق؛ فهذا مما أوسع لهم مجالًا وأمكن لهم مجالًا لأمنيتهم التي تمنى لهم الشيطان، وليعلم أن الأشعري حينما عد فرق المرجئة واحدة واحدة لم يذكر عقيدة الخلق أو عدمه لواحد منهم حتى ختم عدهم فأخذ في ذكر ما اختلفوا فيه من أمور أخرى حتى انتهى إلى اختلافهم في أن القرآن هل هو مخلوق أو لا فذكر ما نقلناه آنفًا، ويظهر منه أنهم ليسوا بخارجين في هذه العقيدة عما ذكر، ولكن لا يتعين أنه أي فرقة من الفرق المعدودة قائل بخلقه وأيهم منكر له وواقف فيه، بل دار الأمر

(١) مقالات الإسلاميين (ص ١٣٨-١٣٩).

بينهم واحتمل لكل منهم ولم يوجد مرجح ومخصص في عبارته حتى يرجح ويخصص فرقة من الفرق لمقالة من المقالات الثلاثة، ولا يخفى على ذوي البصائر أن الإبهام والإجمال لا يضران عند الأمن من الاختلاط والالتباس أما حينما يخاف منهما فلا يرخص عند ذلك في الإبهام والإجمال، ولما كانت المرجئة مقابلة لأهل السنة مخالفة لهم فعلى أي منهم ورد هذا الاعتقاد القبيح فهم أهل لهذا الاعتقاد يصلحون له فحينئذ لا يضر عدم التمييز.

وأما الإمام الأعظم فهو أعظم مجتهدي أهل السنة وأجل فقهائهم وقع به القدوة العظمى في الإسلام، وهذا معلوم للأشعري وليس بمستور عليه؛ فإن كان الإمام قائلًا بخلق القرآن- وحاشاه عن ذلك- فما كان يجوز للأشعري أن يدخله في المبهمين ويترك التصريح به؛ فإن الظاهر عدم دخول الإمام فيمن يعتقد الخلق؛ فدخوله فيهم خلاف الظاهر، وفي مثل ما هو خلاف الظاهر لابد من التصريح والتأكيد؛ لأن الجري على الظواهر والمشي على الصرائح لا زال ديدنًا للعقلاء من كل طائفة، فإذا لم يصرح الأشعري في هذا الموضع وحين ذكر الفرقة التاسعة من المرجئة أن الإمام قال بخلق القرآن، على أنهما من مواضع تصريحه بذلك -وأيضًا لم يذكر بل لم يشر إليه في موضع جاء فيه الذكر عن الكلام في هذه المسألة من كتاب المقالات- ثبت كون هذه الروايات مفتريات، كيف وقد ألزم الأشعري في هذا الكتاب نفسه كما يظهر مما نقلناه أنه لا يقصر فيما يحكيه ولا يترك التقصي في رواية ما يرويه؛ فكيف يقصر بعدم تصريح ما يلزم فيه التصريح، ولا يتقصى فيما لابد فيه من التقصي، ويكون به مطعونًا؟ أليس هذا تقصيرًا وتركًا للتقصي؟ فحيث لم يأت عن الإمام بخلق القرآن صدق فيما ألزمه نفسه كما يفهم مما نقلناه أيضًا أنه ليس بغالط فيما يذكره من قول مخالفيه، ولا بمتعمد للكذب في الحكاية إرادة التشنيع على من يخالفه، ولكنه بشر يخطئ

وينسى ويزل ويسهو ويقع فيما يقع فيه الإنسان بعمى، ولذا خطأه من متبعي مذهبه وسالكي طريقته مَنْ هم الأعيان في البعض من الأمور كما بين في الكتب بواضح البيان.

ولعل عده الإمام من المرجئة من خطئه، لتي لا تبع لها بل تدفع من كل مكان في كل زمان، ولعمري الغالب على الظن إنما هو تصرف المفترين المقبوحين في عبارته؛ فإن كتابه هذا ليس مما تداولته الأيدي في كل زمان، وما بلغ في الشهرة مثابة المشهورات من الكتب كما هو حال الإبانة أيضًا، وهذا مما يتوسع فيه المفترون لصناعتهم القبيحة ودسائسهم الفظيعة، ويتفطن لهذا التصرف مما في (الملل والنحل) للعلامة الشهرستاني الشافعي، فإنه قال فيما عد فرق المرجئة الغسانية أصحاب غسان الكوفي: زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله والإقرار بما أنزل الله مما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل، والإيمان يزيد ولا ينقص، وزعم أن قائلًا لو قال: «أعلم أن الله قد حرم أكل الخنزير ولا أدري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة أم غيرها» كان مؤمنًا، ولو قال: «إن الله قد فرض الحج إلى الكعبة غير أن لا أدري أين الكعبة ولعلها بالهند» كان مؤمنًا، ومقصوده أن أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الإيمان لا أنه كان شاكٌّ في هذه الأمور؛ فإن عاقلًا لا يستجيز من عقله أن يشك في أن الكعبة في أي جهة وأن الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر.

ومن العجب أن غسان كان يحكي عن أبي حنيفة كَلَلهُ تعالى مثل مذهبه ويعده من المرجئة، ولعله كذب، ولعمري كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه: مرجئة السنة، وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: «الإيمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص» ظنوا به أنه يؤخر العمل عن الإيمان، والرجل مع تحريه في العمل كيف يفتي بترك العمل؟

وله سبب آخر، وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول، والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر: مرجئًا، وكذلك الوعيدية من الخوارج؛ فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج والله أعلم[1]- انتهى.

فانظر إلى هذه العبارة للشهرستاني وقابلها مع العبارة التي نقلناها من المقالات ترشدك إلى ما قلنا من أن الغالب على الظن أنهم تصرفوا في عبارة الأشعري، وأيضًا الناقل للحكاية في المقالات هو الآدمي، وقال الشهرستاني في (الملل والنحل)[2]: إنه من المعتزلة وإنه صاحب أبي الهذيل من مقدميهم وأئمتهم، وسبق من الشهرستاني أنه لا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج، فعلى هذا لا يخلو عد الأشعري الإمام في المرجئة إما أن يكون خطأ منه فعفا الله عنه، وإما أن يكون مدخولًا في كتابه مفترى عليه وهو الغالب، فقبح الله مفتريه ولا رحم مدخله.

قال الآمدي في (أبكار الأفكار): أما حكاية ذلك عن أبي حنيفة فلعل الناقل كاذب فيه لقصد الاستئناس فيما قاله إلى أن قال: وليس كذلك مع ما عرف من مبالغته في العمل والاجتهاد فيه، هذا وإن الافتراء والتدليس لم يزلا جاريين على أعاظم العلماء وأكابر الأئمة كما لا يخفى على من أعطاه الله تعالى الخبرة والاطلاع، فقال الشهرستاني في (الملل والنحل)[3] رأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبدالملك بن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر، فأجابه بما يوافق مذهب القدرية، واستدل فيها بآيات من الكتاب ودلائل من العقل، ولعلها

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤١-١٤٢).
(٢) (١/ ٣٠).
(٣) (١/ ٤٧)

لواصل بن عطاء؛ فما كان الحسن ممن يخالف السلف في أن القدر خيره وشره من الله تعالى؛ فإن هذه الكلمة كالمجمع عليها عندهم. انتهى

وأما ما وقع في الغنية المنسوبة لحضرة الحضرات وسيد السادات الغوث الأعظم والقطب الأفخم سلطان الأولياء السيد عبدالقادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا من أن الجهمية من المرجئة فكشف العلماء عن حال هذه النسبة، ولهم في كشفها وجوه اختاروها تعلم من مطالعة كتبهم، جمعها الفاضل عبدالحي اللكهنوي في رسالة (الرفع والتكميل في الجرح والتعديل) بإطناب وتطويل، ومع ذلك لم يأت بما يفيد أو يقطع ويقع عليه التعويل، لأنه لم يرض إلا عن واحد منها، وهذا الرضا أيضًا يعلم من سكوته عليه لا من قوله: إنه صحيح أو مرضي أو مثل ذلك مما يدل على رضاه مع أن بعض الأجوبة منها وقع موقعًا حسنًا يظهر من مطالعة ذلك المقام والتأمل فيه، والذي اختاره في هذا الباب ومشى عليه أنه لا يعتد بقول الشيخ رضي الله تعالى عنه في هذا الباب، وكتب الإمام وزير[1] الحنفية المقلدة له مخالفة له حيث قال: فإن مخالفة الواحد ولو كان من أعظم المشاهير أهون من مخالفة الجماهير، وأي مصيبة في عدم اعتداد قول غوث الثقلين في هذا الباب لكونه مخالفًا لجميع أولي الألباب لاسيما إذا وجد منه بنفسه ما يعارضه ويخالفه[2]، إلى آخر ما قال.

والعجب أن هذا الذي ارتضاه في الجواب ليس بصحيح وسالم من النقض لأنه إذا وجد منه رضي الله تعالى عنه ما يعارض هذا القول ويخالفه فإثبات هذا القول له يوقع في مضيق التناقض، وهو لا يصدر من العقلاء، فكيف ممن هو

---

(١) في الرفع والتكميل: «وزير».
(٢) الرفع والتكميل (ص ٣٧٨).

أعقل العقلاء وأكمل العلماء الذي عقله موهبي وعلمه لدني، ولما كنا هاهنا في صدد هذا البحث وإلا بينا ما يرد على هذا الفاضل فيما سلك عليه في هذا الباب وقررنا الأمر حسب ما يقتضيه المقام مقترنًا بالإنصاف متجنبًا عن الاعتساف، ومن مواضع ذكر هذه العقيدة للإمام الكتب المؤلفة في الملل والنحل، ومن أشهرها وأحسنها كتاب (الملل والنحل) للعلامة الشهرستاني الشافعي، وليس فيه شمة منه بل فيه ما يناقضه ويذهب رونق هذه الروايات ويكذبها، بيانه أن الشهرستاني شرط على نفسه أن يورد مذهب كل فرقة على ما وجده في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم حيث قال في المقدمة الثانية من كتاب (الملل والنحل)[(١)]: وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم- انتهى.

فإذا لم يذكر الشهرستاني أن الإمام كان قائلًا بخلق القرآن بل أتى بما يظهر منه تبرئة الإمام وتزكيته من أمثال هذه العقائد الزائغة ظهور الشمس في رابعة النهار -كما علمت مما نقلنا منه سابقًا، وتعلم أيضًا مما ننقله عن قريب إن شاء الله تعالى- كان آية واضحة على كذب هذه الروايات، كيف والشهرستاني علامة خاض فيما ألفه من الملل والنحل وغاص في لجج بحاره، ومن المحالات أن يخفى على مثل هذا الغائص الخائض ما لا يحتاج إلى خوض وغوص أفيتصور أن يستر بعدما وضح عليه أن الإمام كان قائلًا بخلق القرآن ويخرج عما شرطه على نفسه وينقض ما ألزمه على ذمته؟

إذا علمت هذا فاعلم أنه لما فرغ من كتابه (الملل والنحل) عن تمهيد المقدمات وتوطئة التمهيدات وقرب من المطلب قال أهل الأصول المختلفون في التوحيد

---

(١) (١/١٦).

والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل؛ تكلم هاهنا في معنى الأصول والفروع وسائر الكلمات، قال بعض المتكلمين: الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسمًا إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع؛ فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليًا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيًا، والأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه... إلى آخر ما قال.

ثم أخذ في ذكر أهل الأصول الباطلة التي هي فرق كثيرة، والفرقة الحقة التي هي الأشعرية، ثم بعده ذكر أهل الفروع وقسمهم على قسمين لا ثالث لهما وهما أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وقال في أصحاب الحديث: إنهم أهل الحجاز الذين هم أصحاب مالك بن أنس وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني، وبين وجه تسميتهم بأهل الحديث، وقال في أصحاب الرأي إنهم أهل العراق وهم أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومن أصحابه محمد بن الحسن وأبو يوسف يعقوب بن محمد القاضي وزفر بن هذيل والحسن بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة وعافية القاضي وأبو مطيع البلخي وبشر المريسي، وبين وجه تسميتهم بأصحاب الرأي وقال في آخره عندما ختم ذكر الفرق الإسلامية: إن بين الفريقين- يعني أصحاب الحديث وأصحاب الرأي- اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات، وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى كأنهم أشرفوا على القطع واليقين، وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل بل كل

مجتهد مصيب(١)- انتهى ما أردنا نقله من هذا الكتاب.

فظهر من هذا التقرير للشهرستاني أن الإمام أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه وأصحابه ليس إلى تضليلهم طريق فضلًا عن تكفيرهم إلا من نازع منهم في الأصول كالمريسي بل هم مجتهدون مصيبون، أفيكون من يعتقد الخلق مؤمنًا لا يلزم تكفيره وتضليله فضلًا عن أن يكون مجتهدًا ويعده مصيبًا؟ ولعمري كيف يتصور أن يشيع نسبة الإرجاء إلى الإمام مع أنه أخف من القول بخلق القرآن ولا يوجد رائحة من نسبة عقيدة الخلق إليه رضي الله تعالى عنه مع كونه من أقبح العقائد ومع كون تكفيره على عقيدته هذه من معاصريه نعوذ بالله منه؛ فإن هذا شأنه أن يشيع ويشتهر وأن لا يخفى ولا يستتر، وبعدُ حصل لي الاطلاع على كتاب (سيف السنة الرفيعة في قطع رقاب الجهمية والشيعة) لمحمد بن موصلي الأصفهاني من معاصري ابن تيمية الحنبلي، فرأيته قال في هذا الكتاب: قد صرح البخاري في كتابه خلق الأفعال(٢)، وفي آخر الجامع بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال: قال الحكم بن محمد: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا(٣) منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار، يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق(٤) قال البخاري: وقال أحمد بن الحسن: حدثنا أبو نعيم حدثنا سليم القاري قال: سمعت سفيان الثوري يقول: قال حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه وكان يقول: القرآن مخلوق(٥) ثم ساق قصة خالد بن عبدالله

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٦- ٢٠٧).

(٢) (ص ٤٥).

(٣) صوابه كما في خلق أفعال العباد: «مشايخنا».

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١).

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢).

القسري وأنه ضحى بالجعد بن درهم، وقال: إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه»[1]. انتهى.

ثم رأيت البخاري افتتح كتابه خلق أفعال العباد بباب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يبدلوا كلام الله ﷻ، وقال متصلًا به. حدثني الحكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة، قال: ثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وقال أحمد بن الحسن: نا أبو نعيم ثنا سليمان القاري: سمعت سفيان الثوري يقول: قال لي حماد بن أبي سليم: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه وكان يقول: القرآن مخلوق.

حدثنا قتيبة حدثني القاسم بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدتُ خالد بن عبد الله القسري بواسط في يوم أضحى وقال: ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله علوًّا كبيرًا عما يقول الجعد بن درهم ثم نزل فذبحه»[2]. انتهى.

اعلم أن هذه الرواية التي ذكرها البخاري عن أحمد بن الحسن ونقلها عن البخاري محمد بن موصلي في كتابه (سيف السنة) هي الرواية الأولى من روايات الإبانة تخالفها في أمرين: (أحدهما) أن في هذه الرواية أحمد بن الحسن- على ما رأيته في نسختين حاضرتين عندي من خلق أفعال العباد- موضع هارون بن إسحاق في رواية الإبانة (وثانيهما) أنه أبهم في هذه الرواية موضع البحث

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٣).

(٢) خلق أفعال العباد (ص ٢-٣)

وموقع الرد فقيل: أما فلان، وفي لرواية الواقعة في الإبانة تصريح بالإمام الأعظم أبي حنيفة، ويراد على هذين الاثنين بالنظر إلى ما نقله في (سيف السنة) إن كان صحيحًا وما كان من سهو الناسخ فيقال: ثالثها: سليم القاري، وفي الإبانة سليمان بن عيسى القاري موضعه؛ فهذه الرواية الواقعة في كتاب (خلق الأفعال) لما أبهم فيها ما يقع عليه البحث ويتوجه إليه الرد لا تصلح لأن يبحث عنها مع أنه سبق الرد البليغ لروايات الإبانة التي فيها تصريح بما يقع فيه البحث ويتوجه إليه الرد، وهذه الرواية الواقعة في كتاب (خلق الأفعال) لما جهل فيها موقع الرد ومحل البحث وما تعين فلانٌ يوجه الرد وفي أي أمر يقع البحث؟ ولا يأتي الإبهام في مثل هذا المقام الذي يجب فيه الإكشاف عن المتقين المخلصين لاسيما من البخاري المتصلب في دين الله الذي لا يبالي في الله بأحد كما هو الظاهر من تتبع أحواله، وقد نقل التكفير صريحًا في كتابه خلق الأفعال فقال: وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي فقال: كافر[1]، وقال عبدالله بن داود: لو كان لي على المثنى الأنماطي سبيل لنزعت لسانه من قفاه، وكان جهميًّا[2].

وقال أيضًا: حدثني أبو جعفر قال: ثنا أحمد بن خلال قال: سمعت يزيد بن هارون وذكر أبا بكر الأصم والمريسي فقال: هما والله زنديقان كافران بالرحمن حلالا الدم[3]. مع أن إيراداته على الإمام الأعظم واعتراضاته عليه رضي الله تعالى عنه محصورة في الفروعات الفقهية أجاب عنها علماؤنا رحمهم الله تعالى، ورأيت فيها رسالة حسنة مسماة بـ(بعض الناس في دفع الوسواس) دفع فيها ما أورده الإمام البخاري على الإمام الأعظم أبي حنيفة وعلى الحنفية مصدرًا بقوله:

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٧٤).

قال بعض الناس مدللًا مفصلًا فجزاه الله خيرًا، ومن وجد من البخاري فيها تصفحها إلزام على الإمام في أصول الدين، وهذا البيهقي واسع العلم ما نقل عن البخاري هذه الرواية في كتابه (الأسماء والصفات)[1] وقد ذكر الرواية السابقة المتصلة عنها وهي رواية البخاري عن سفيان بن عيينة في كتابه هذا، فقال: أخبرنا أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد الفقيه قال: ثنا أبو أحمد الحافظ النيسابوري قال: أنا أبو عروبة السلمي قال: ثنا سلمة بن شبيب قال: ثنا الحكم بن محمد قال: ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون (ح) قال أبو أحمد الحافظ وأخبرنا أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس- واللفظ له- قال: ثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال الحكم بن محمد أبو مروان الطبري حدثنا، سفيان عن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

كذا قال البخاري عن الحكم بن محمد. ورواه غير الحكم عن سفيان بن عيينة نحو رواية سلمة بن شبيب عن الحكم بن محمد

وذكر أيضًا قصة ذبح خالد بن عبدالله القسري للجعد بن درهم في كتابه (الأسماء والصفات)[2] بسنده، وقال: رواه البخاري في كتاب التاريخ[3] عن قتيبة عن القاسم (بن)[4] عبدالرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده هكذا، يشير إلى ما قبل حيث ذكر فيه القصة بسنده كما أومأنا إليه، وهذه القصة قد رواها البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) وذكرها متصلة مما

---

(١) الأسماء والصفات (٥٣١) .

(٢) الأسماء والصفات (٥٦٣)

(٣) التاريخ الكبير (١/ ٦٤)

(٤) صوابه كما في الأسماء والصفات «عن»

نقله- والله أعلم- عن أحمد بن الحسن عن أبي نعيم عن سليمان القاري عن سفيان الثوري؛ فيعمد عن البيهقي بحث تعالى أن يذكر الرواية السابقة واللاحقة ويترك الوسطى مع كونها أبلغ في ذم لقائل بخلق القرآن؛ فدلنا على عدم ثبوت هذه الرواية، ولو تتبعنا الأمر حق تتبعه لوجدنا كثيرًا من الدلائل تدل على ما قلنا ولكنه أعانا مريد التتبع عن ذكرنا سابقًا فإن فيه كفاية لأولي النهى.

ثم لما كانت الرواية منقولة عن البخاري في كتاب (سيف السنة الرفيعة) على إبهامها لابد لنا من التأمل في هذا الكتاب ليعلم أن الإمام الأعظم في أي منزلة عند مؤلفه محمد بن موصلي، وما العقيدة له فيه حتى يظهر أن الرجل المبهم في الرواية هل يترجح الإمام الأعظم في كونه مرادًا منه عنده أم لا؟

فاعلم أنا إذا نظرنا في هذا الكتاب وجدنا مؤلفه محمد بن موصلي من المتشددين رهقى اللسان لا يمسك عن تشنيع أحد وذمه إذا ثبت في زعمه أنه يستحقه لكونه منحرفًا عن الطريق المستقيم فضلًا عن أن يكف عن نسبة أمر إلى أحد ثبت عنده نسبة ذلك الأمر إليه، قال في الوجه السادس والخمسين من وجوه تزييف العقل وتسجيه في مقابلة النقل وحصول اليقين من النقل. أم ترضون بعقول المتأخرين الذين هذبوا العقليات وخضوا زبدتها واختاروا لأنفسهم ولم يرضوا بعقول سائر من تقدم؟ فهذا أفضلهم عندكم محمد بن عمر الرازي فأي معقولاته ترتون نصوص الوحي وأنتم ترون اضطرابه فيها في كتبه أشد الاضطراب فلا يثبت على قول - انتهى.

وشنع على المؤولين في الصفات والمتكلمين؛ فقال في الوجه الخامس والعشرين من وجوه الإبطال لتقديم العقل على النقل: إن غاية ما ينتهي إليه من ادعى معارضة العقل للوحي أحد أمور أربعة لابد له منها. إما تكذيبها وجحدها، وإما اعتقاد أن الرسل خاطبوا الخلق خطابًا جمهوريًّا لا حقيقة له وإنما

أرادوا منهم التخييل وضرب الأمثال، وإما لاعتقاد أن المراد تأويلها وصرفها عن حقائقها بالمجازات والاستعارات، وإما الإعراض عنها وعن فهمها وتدبرها واعتقاد أنه لا يعلم ما أريد إلا الله، فهذه أربع مقامات ثم قال حينما فصل المقام الثالث من هذه المقامات الأربعة:

المقام الثالث مقام أهل التأويل قالوا لم يرد منا اعتقاد حقائقها وإنما أريد منا تأويلها بما يخرجها عن ظاهرها وحقائقها فتكلفوا لها وجوه التأويلات المستكرهة والمجازات المستنكرة التي يعلم العقلاء أنها أبعد شيء عن احتمال ألفاظ النصوص لها وأنها بالتحريف أشبه منها بالتفسير، ثم قال: فالطائفتان - يعني أصحاب التخييل وأصحاب التأويل - اتفقتا على أن ظاهر خطاب الرسول ﷺ ضلال وباطل وأنه لم يبين الحق ولا هدى إليه الخلق.

وقال في الثلاثين من تلك الوجوه من الطرق التي سلكها هؤلاء المعارضون بين الوحي والعقل في إثبات الصانع فهي بعينها تنفي وجوده لزومًا، فإن المعارضين صنفان الفلاسفة والجهمية، ثم بين طرق الفلاسفة والمتكلمين في إثبات الصانع جل شأنه فقال فيما يذكر طرق المتكلمين في إثبات الصانع وأما المتكلمون فلما رأوا بطلان هذا الطريق - يعني به طريق الفلاسفة - عدلوا عنها إلى آخر ما قال، ثم قال - بعد ما ذكر طريق المتكلمين. فلزمهم من سلوك هذا الطريق إنكار كون الرب فاعلًا في الحقيقة، وإن سموه فاعلًا بألسنتهم إلى آخر ما قال

وقال في الوجه الثامن والثلاثين: ثم ظهر مع هذا الشيخ المتأخر المعارض - يعني به نصير الدين الطوسي الذي ذكره قبل ملقبًا له بنصير الشرك والكفر الطوسي - أشياء لم تكن تعرف قبله حسنت[1] للعميدي وحقائق ابن عربي

---

(١) كذا.

وتشكيكات الرازي، وشنع على الأشعري إمام أهل السنة، فقال في الوجه الثالث والأربعين: قالت الفرقة الخامسة بين التجهم وبين القدر معطلة الصفات: صدق الرسول موقوف على قيام المعجزة الدالة على صدقه، وقيام المعجزة موقوف على العلم بأن الله لا يؤيد الكذاب بالمعجزة الدالة على صدقه، والعلم بذلك موقوف على العلم بقبحه، وعلى أن الله تعالى لا يفعل القبيح، وتنزيهه عن فعل القبيح موقوف على العلم بأنه غني عنه عالم بقبحه، وغناه عنه موقوف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم موقوف على عدم قيام الأعراض والحوادث به، وهي الصفات والأفعال- إلى أن قال مضيفًا إليهم قالوا: بهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم ونفي كون الصانع جسمًا وإمكان المعاد.

ثم قال: فصار العلم بإثبات الصانع وصدق الرسول وحدوث العالم وإمكان المعاد موقوفًا على نفي الصفات، فإذا جاء في السمع ما يدل على إثبات الصفات والأفعال لم يكن القول بموجبه، ونعلم أن الرسول لم يرد إثبات ذلك لأن إرادته لإثباته تنافي تصديقه ثم إما أن يكذب الناقل وإما أن يتأول المنقول وإما أن يعرض عن ذلك جملة ويقول: لا يعلم المراد، فهذا أصل ما بنى عليه القوم دينهم وإيمانهم، ولم يقبض لهم ما بين لهم فساد هذا الأصل ومخالفته لصريح العقل إلى أن قال: وهذا الطريق من الناس من يجعلها من لوازم الإيمان وأن الإيمان لا يتم إلا بها، ومن لم يعرف ربه بهذا الطريق لم يكن مؤمنًا به ولا بما جاء به رسوله، وهذا يقوله الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشعرية بل أكثرهم، وكثير من المنتسبين إلى الأئمة الأربعة وكثير من أهل الحديث والصوفية.

ومن الناس من يقول: ليس الإيمان موقوفًا عليه ولا هي من لوازمه، وليست طريق الرسل، ويحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل وإن لم يعتقد بطلانها، وهذا قول أبي الحسن الأشعري نفسه فإنه صرح بذلك في رسالته إلى

أهل الثغر، وقال في الوجه السادس والأربعين: أن يقال لهؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم: إن من أئمتكم من يقول: إنه ليس في العقل ما يوجب تنزيه الرب سبحانه عن النقائص ولم يقم على ذلك دليل عقلي أصلًا كما صرح به الرازي وتلقاه عن الجويني وأمثاله، قالوا: وإنما نفينا عنه النقائص بالإجماع، وقد قدح الرازي وغيره من النفاة في دلالة الإجماع وبينوا أنها ظنية لا قطعية؛ فالقوم ليسوا قاطعين بتنزيه الله تعالى عن النقائص بل غاية ما عندهم في ذلك الظن إلى آخره، وأيضًا شنع في الوجه السابع والأربعين على الإمام الأشعري والحارث المحاسبي والقاضي أبي بكر الباقلاني وغيرهم تركناه مخافة التطويل.

وقال في الخمسين: أما الصفاتية الذين يؤمنون ببعض ويجحدون بعضًا إلى آخر ما قال، وهذا تشنيع منه على المتكلمين المخالفين للمعتزلة والجهمية، وقال فيما بين فيه اختلاف أهل الأرض في كلام الله تعالى: المذهب الخامس مذهب الأشعري ومن وافقه: أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم، ولا له أبعاض ولا له أجزاء، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الاستخبار الكل من واحد، وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرًا ونهيًا وخبرًا واستخبارًا صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له؛ فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنًا وتوراة وإنجيلًا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته- إلى أن قال: وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي ولا سمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يُرى ويشم ويذاق ويلمس ويدرك بالحواس الخمس؛ إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، وكل موجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي وأنه يرى حقيقة وليس مقابلًا للرائي، هذا قولهم في الرؤية، وذلك قولهم في الكلام، والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول وأنه جاء

بهذا أو دعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل.

وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه وهو لا يتصور إلا كما يتصور المستحيلات الممتنعات إلى آخر ما قال، وهذا- كما ترى- غاية منه في تشنيع الإمام الأشعري وذمه.

ثم قال: المذهب السابع مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث: إنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبرئيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة.

ثم قال: وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها- انتهى.

هذه تشنيعاته لأئمة الإسلام- أعلى الله مقامهم في دار السلام- لا يبالي بهم ولا يراعي جانب أحد منهم؛ فمن كان المبهم في رواية البخاري يترجح عنده أنه أريد به الإمام الأعظم لذكره وصرح به بل شنع عليه كما شنع على غيره؛ فإنه يستحيل من مثل هذا المتشدد المتصلب المتعصب الذي يرد بأقصى جهده على من هو مخالف لمسلكه ويدفعهم بأبلغ ما يمكنه من الدفع، ولا يتساهل في الرد أن يعرض عن ترجيح ذلك المبهم وتعيينه بعدما ثبت عنده الترجيح، وحيث لم يتعرض لهذا الأمر أصلًا ولم يشنع على الإمام في موضع من كتابه في شيء من المعتقدات وأصول الدين، بل احتج به في موضع الاستدلال على مطالبه الدينية وسماه إمامًا في مثل هذه المواضع التي تشعر تسميته هكذا فيها بيفخيمه الدينية وبسلب الذمائم والنقائص عنه، وإثبات المدائح والمكارم له لزم أنه بريء من

هذه العقيدة عنه براءة كاملة.

قال في كسر الطاغوت الذي وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات وهو طاغوت المجاز، فنقول: تقسيمكم الألفاظ ومعانيها أو استعمالها فيها إلى حقيقة ومجاز إما أن يكون عقليًّا أو شرعيًّا أو لغويًّا أو اصطلاحيًّا، فأخذ في إبطال الأقسام الثلاثة الأول واحدًا واحدًا.

وقال حينما يبطل التقسيم اللغوي: وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها إلى حقيقة لا مجاز، ولا قال أحد من العرب قط: هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز، ولا يوجد في كلام من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك، ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وأمثالهم كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابعي التابعين، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة، وهذا الشافعي وكثرة مصنفاته ومباحثه مع محمد بن الحسن وغيره لا يوجد فيها ذكر للمجاز ألبتة إلى أن قال: وكلام الأئمة مدون بحروفه لم يحفظ عن أحد منهم تقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز.

ثم قال بعد فاصلة قليلة: إذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيمًا شرعيًّا ولا عقليًّا ولا لغويًّا فهو اصطلاح محض، وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة - انتهى.

فاحتجاجه في هذا المقام الجليل خطره العظيم أمره على الجهمية بالإمام الأعظم مع الأئمة الثلاثة، وجعله من أهل القرون المفضلة بالنص هل هو إلا منقبة للإمام عظيمة ومديحة للإمام فخيمة توضح أن مثل هذا الرجل المتشدد المتجسس والمتعصب المتعمق لم يجد أيضًا ما يقدح في شأنه إلا رفع، وقال في هذا البحث أيضًا في مقام الاحتجاج على أنه إذا خص من العموم شيء لم يصر اللفظ مجازًا فيما بقي أنه لا

نزاع بين الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة أنه حجة، ومن نقل عن أحد منهم أنه لا يحتج بالعام المخصوص فهو غلط أقبح غلط وأفحشه، وإذا لم يحتج بالعام المخصوص ذهب أكثر الشريعة وبطل أعظم أصول الفقه- انتهى.

وهذا - كما ترى- ذب عن الإمام الأعظم مع الأئمة الثلاثة وتوضيح لسداد طريقته، وهكذا قال في الوجه الحادي والأربعين من هذا البحث: إن العام المخصوص حجة بإجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم، وإنما حدث الخلاف في ذلك بعد انقراض العصور المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بأنها خير القرون.

وقال في الوجه السادس عشر من وجوه إبطال المجاز في لفظ الوجه: إن الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم تعالى في الجنة إلى آخر ما قال، وهذا توضيح منه بأن الإمام الأعظم أبا حنيفة من أهل الاستقامة عنده فإن الأتباع إذا كانوا من أهل الاستقامة يكون المتبوع من أهل الاستقامة بالضرورة، وهو ظاهر.

وقال في الوجه الثالث عشر من وجوه الرد على من أنكر حقيقة الفوقية لله تعالى وحملها على المجاز: ولم يزل السلف الصالح يطلقون مثل هذه العبارة إطلاقًا لا يحتمل غير الحقيقة، فأخذ يبين إطلاقاتهم حتى قال: وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابته لبشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش، رواها عبدالرحمن بن أبي حاتم وغيره، وبشر لم ينكر أن الله أفضل من العرش وإنما أنكر ما أنكرته المعطلة أن ذاته فوق العرش.

ثم قال بعد فاصلة قليلة: وقال أبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم الأرض، فقال: قد كفر لأن الله

يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾(١) وعرشه فوق سبع سموات، فقلت: إنه يقول: على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في السماء أم الأرض، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر - انتهى، فظهر من هذا القول أن الإمام الأعظم عنده من السلف الصالح، أفيدخله في السلف الصالح مع ثبوت عقيدة الخلق منه عنده؟ ولما أدخله في السلف الصالح ثبت أنه ما كان قائلًا بالخلق أبدًا

وقال في بحث طويل يرد به على الذين قالوا: لا يحتج بكلام رسول الله ﷺ على شيء من صفات ذي الجلال قالوا: الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة؛ فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات، والآحاد لا يفيد العلم فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله ﷺ خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة وإجماع التابعين وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج بل هم الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء، وإلا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك بل صرح الأئمة بخلاف قولهم، فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم مالك والشافعي وأحمد وأصحاب أبي حنيفة - انتهى، فظهر من قوله هذا أن الإمام عنده من أئمة الإسلام، وكيف يكون من أئمة الإسلام إذ كان قائلًا بخلق القرآن؟ وحيث كان من أئمة الإسلام لم يكن من القائلين بالخلق.

وقال ناقلًا عن ابن تيمية: إن الخبر الواحد يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة إلى آخر ما قال،

---

(١) طه: ٥.

وقال فيمن رد الأحاديث بالعدد لمن أقدموه عذرًا لرد الأحاديث. وطائفة عاشرة ردته فيما يعم به البلوى وقلته فيما عداه، وحكوه عن أبي حنيفة وهو كذب عليه وعلى أبي يوسف ومحمد؛ فلم يقل ذلك أحد منهم ألبتة وإنما هذا قول متأخريهم، وأقدم من قال به عيسى بن أبان وتبعه أبو الحسن الكرخي وغيره- انتهى.

انظر في هذا المقام كيف دفع الأمر من أن يكون منسوبًا إلى الإمام وصاحبيه، وقد أطال محمد بن موصلي الأصفهاني مؤلف هذا الكتاب مبحث كلام الله تعالى؛ فبين جميع مذاهب الأرض في كلام الله تعالى كما يدل عليه قوله حين ابتدأ في هذا البحث.

اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى إلخ فبين مذاهب الاتحادية والفلاسفة والجهمية والمعتزلة وغيرها من المذاهب، وبين مذهب السلف وأئمة السنة والحديث فيه حتى قال: فالقرآن عندهم جميعه كلام الله حروفه ومعانيه وأصوات العباد وحركاتهم وأداؤهم وتلفظهم، كل ذلك مخلوق بائن عن الله

فإن قيل: فإذا كان الأمر كما قررتم فكيف أنكر الإمام أحمد على من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»، وبدّعه ونسبه إلى التجهم؟ وهل كانت محنة أبي عبدالله البخاري إلا على ذلك حتى هجره أهل الحديث ونسبوه إلى القول بخلق القرآن؟ قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الإسلام هذا الظن الفاسد، وقد صرح البخاري في كتابه (خلق الأفعال)، وفي آخر الجامع بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال: حدثنا سفيان بن عيينة إلى آخر ما قال، وقد نقلناه في صدر المبحث

ثم قال: فخفي تعريف البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث ولم يفهم بعضهم مراده وتعلقوا بالمنقول عن أحمد نقلًا مستفيضًا أنه قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، وساعد ذلك نوع حسد بالظن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت إلى أن قال: فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل، وتمسكوا بإطلاق

الإمام أحمد وإنكاره على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق وأنه جهمي؛ فتركب من مجموع هذه الأمور محنة وقعت بين أهل الحديث في مسألة اللفظ، ثم ذكر مخالفة محمد بن يحيى للبخاري؛ فإن محمد بن يحيى كان يعتقد ما يحكيه عن أحمد بن حنبل من الإنكار على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، والبخاري وقف عنه فتكلم محمد بن يحيى فيه، وقال: قد أظهر هذا البخاري قول اللفظية، واللفظية شر من الجهمية، ثم نقل عن أبي عبد الله الحاكم قصتها.

قلت: وقد ذكرها أيضًا البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) ثم ذب عن البخاري، وبين لقول الإمام أحمد محامل فقال: فالبخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه، وكلامه فيها أوضح وأمتن من كلام أبي عبدالله؛ فإن الإمام أحمد سد الذريعة حيث منع إطلاق لفظ المخلوق نفيًا وإثباتًا على اللفظ، فقالت طائفة: أراد سد باب الكلام في ذلك إلى آخر ما قال: وقد أحسن في بيان ما هو المحمل لقول أحمد رحمه الله تعالى وما هو مراده، ثم قال بعده: وأبو عبدالله البخاري ميز وفصل وأشبع الكلام في ذلك، وفرق بين ما قام بالرب وبين ما قام بالعبد وأوقع المخلوق على تلفظ العباد وأصواتهم إلخ، ونفى اسم الخلق عن الملفوظ وهو القرآن إلخ، وقد شفى في هذه المسألة في كتاب خلق الأفعال، ثم نقل عن البخاري أن المعروف عن أحمد وأهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق وما سواه فمخلوق، وأنهم لم يفهموا دقة مذهب الإمام أحمد.

قلت: لو كان الإمام قائلًا بخلق القرآن لذكرها في هذا البحث الطويل البسيط، وما غفل عن ذكره قط مع ما علم من دأبه فيمن يزعم أنه ليس على الطريقة القويمة.

والحاصل من كل ما نقلنا من كتاب (سيف السنة) إنما هو إظهار أمرين: (أحدهما): تشديد مؤلفه في العلماء المقبولين وتعصبه وإرسال لسانه فيهم وتجسسه للمذاهب كلها وتخيره عن جملتها فيبعد من مثل هذا المتعصب المتصلب

المتشدد والمتعمق المتجسس المتحبر كي بعد أن لا يذكر نسبة هذه العقيدة إلى الإمام مع كونه معتقدًا به، وحيث لم يذكرها بل لم يوجد شمة منها في كتابه، ووجد ما ينفيها دل دلالة بينة على أن الإمام كانت ساحة قلبه الشريف طاهرة عن هذه العقيدة وأمثالها.

و(ثانيها): إقراره بكون الإمام من أئمة الدين والسلف الصالح ومن أهل القرون المفضلة بالنص، واللازم منه عدم كون الإمام قائلًا بالخلق؛ فإن هذه الألقاب لا تطلق على قائل خلق القرآن قط؛ لأن بين مفاهيم هذه الألقاب وبين القول بخلق القرآن تناقضًا لا يجتمعان أبدًا، ثم إن كتاب خلق الأفعال محفوظ مروي عن البخاري، نبه عليه الحافظ ابن حجر في مقدمة (فتح الباري لشرح صحيح البخاري) فقال بعدما عد كتبًا من تصانيفه فيها (خلق الأفعال)، وهذه التصانيف موجودة مروية لنا بالسماع أو بالإجازة[١]- انتهى.

وابن حجر هذا من المادحين للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى؛ فإن كانت الرواية موجودة في النسخة من (خلق الأفعال) المروية لابن حجر بالسماع أو بالإجازة فلا تخلو إما أن تكون على هذا الإبهام أو تكون صرح فيها بالاسم؛ فعلى الأول يجب الفحص والبحث حتى يتعين ويترجح ويحصل العلم؛ فإن الإبهام جهالة لا تفيد شيئًا ولا تقطع أمرًا؛ فإذا بحث عن الإبهام فإما أن يتعين الإمام أو يترجح أو يتعين غيره أو يترجح؛ فعلى الأول لا يستقيم مدحه للإمام بل يعيد هذا المدح ذمًا عليه ويوجه طعنًا إليه، وعلى الثاني يتضح حال الروايات المذكورة في الإبانة، ولا يتصور منهم أن لا يفحصوا عن هذا الإبهام ويتركوه مع أن عقولهم بعيدة الغور وبحور فهومهم لها قعور بحثوا عن المشتبهات فأكشفوها وأحكموها، وفحصوا

---

(١) هدي الساري (ص ٤٩٣).

عن المجملات ففصلوها وقرروها، وأما إذا لم يجدوا سبيلًا إلى التعيين أو الترجيح من بحثهم العميق وفحصهم البليغ -وهو شاذ ونادر- فيفوض الأمر إلى علام الغيوب؛ فإن كانت في رواية أخرى مماثلة لها تصريح يزيل الإبهام لا تكون المصرحة فيها مفسرة للمبهمة؛ لأنهم مع فحصهم الشديد وتجسسهم البليغ لم يجدوها، ولو كانت صحيحة لوجدوها وفسروا بها الإبهام، ولا يعقل أن مثل هذه الرواية تخفى عليهم فمنهم وصلت إلينا الروايات، وعنهم حصلت لنا الدرايات؛ فإن وجدنا رواية ولم نجدها فيهم ولا في واحد منهم دائرة فهي واهية، وإن اطلعنا على دراية وهي تخالف درايتهم فهي لاهية

وأما على الثاني فإما أن يكون فيها التصريح بالإمام الأعظم أو بغيره؛ فلو كان الأول لشاع وذاع لاسيما بين المحدثين وخصوصًا بين من اعتنى بكتب الإمام أبي عبدالله البخاري، ولم نجد أحدًا منهم نسب عقيدة الخلق إلى الإمام، هذا ابن حجر حافظ عصره وحافظ كتب البخاري مادح للإمام معترف بفضله، وهذا الذهبي الحافظ الناقد البالغ في تنقيده حتى قالوا: هو متجاوز في توهينه وتسخيفه وتجريحه وتضعيفه يزكي الإمام في ميزانه وتذكرته فيلمها على أقصى مدارجها- وقد ذكرناه

وقال في كتابه (العرش والعلو)[1] قال أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي في العقيدة التي له، ذكر في بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى: أن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولًا وأنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر- إلى آخر ما قال: ذكره الذهبي احتجاجًا على مطلبه هذا.

---

(١) العلو للعلي الغفار (ص ٢١٥-٢١٦).

والإمام الطحاوي هو الحافظ الجليل والفقيه النبيل السائر ذكره في الآفاق والأقطار لم يخلف مثله، شهد به الحفاظ الأيقاظ والنقدة ذوو الاعتبار؛ فمثله هذا يبرئ الإمام بغاية التبرئة وينقض الرواية التي ذكرها البخاري في (خلق الأفعال) بتقدير أن يكون فيها التصريح بالإمام، ويؤيده ذكر الذهبي له في كتابه المذكور في معرض الاحتجاج، ويؤيده أيضًا قوله في الإمام وصاحبيه أنهم فقهاء الملة؛ أفلم يحصل لهذا الخبير البصير العلم عن تلك الرواية المذكورة في (خلق الأفعال) مع أنها كانت موجودة فيهم مروية لهم، وهذا الحافظ الدولابي أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الراوي عن البخاري كتابه (الضعفاء) قاله ابن حجر في مقدمة شرح البخاري[1]، وقد ذكر الإمام أبا حنيفة ﷺ في كتاب (الكنى) وروى عنه فتياه في مسألة، وما ذكر شيئًا من الجرح فيه.

وذكر أيضًا حماد بن أبي سليمان أبو إسماعيل، وقال: إنه أستاذ أبي حنيفة الفقيه، وفي رواية الإبانة: أن حمادًا هذا هو القائل للثوري: بلغ أبا حنيفة إلخ، وفي الرواية الواقعة في خلق الأفعال: أبلغ أبا فلان، فلو كانت الرواية المذكورة في خلق الأفعال مصرحًا فيها باسم الإمام- كما هو في الإبانة- أو لم تكن هكذا ولكن كان الإمام هو المرجع لكونه مرادًا من المبهم عندهم لذكرها في ترجمة حماد بن أبي سليمان؛ فإن السكوت عن موجبات القدح ليس من شأنهم لا سيما في تصانيفهم التي صنفوها في الرجال.

وهذا الخطيب المتعصب العنيد أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب (تاريخ بغداد) طعان في الإمام عياب له، قد هذى بمثالب الإمام ومعايبه في تاريخه[2]،

---

(١) هدي الساري (ص ٤٩٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٧٠-٤٥١).

وردها الأئمة بأبلغ الوجوه منهم: الحافظ يوسف سبط ابن الجوزي في (كتاب الانتصار) لإمام أئمة الأمصار وحافظ خوارزم في (مسند الإمام الأعظم) فإنه أجاب عنها أولًا بالإجمال ثم أتى بمطاعنه واحدًا واحدًا، وأجاب عن كلها تفصيلًا، وقد نقل أكثرها في رسالة (بعض الناس في دفع الوسواس) السابق ذكره؛ فلله درهم حيث أبطلوا المطاعن وضربوا بها وجه الطاعن ذي الضغائن، وأكثر مطاعنه في الإمام ومعايبه له إنما هو في الفروعات الفقهية.

وملخصها. أنه يقدم قياسه على الأحاديث، وبعضها في أمور أخرى سواها وليس في جملتها طعن على الإمام بأنه كان يقول بخلق القرآن؛ فلو كانت الرواية المذكورة في خلق الأفعال صحيحة ثابتة واضحة مشروحة غير مبهمة، وهكذا الروايات الواقعة في الإبانة لو كانت صحيحة ثابتة لجعلها الخطيب الحسود من أعظم مطاعن الإمام المحسود، وإذ لم توجد في مطاعنه شمة من نسبة هذه العقيدة إلى الإمام دل دلالة واضحة على بطلان هذه الروايات؛ لأن العادة جارية على أن الطاعن الحسود والعائب العنود الواقف بمسالك الطعن والماهر بطرائقه لا يزال يتجسس المناهج والمداخل لطعنه تجسسًا بليغًا؛ فإذا وجد طريقًا للطعن سلكها.

والرواية التي وجدناها في كتاب خلق الأفعال لو كانت صريحة غير مبهمة لا كما هي عندنا أو كانت مبهمة ولكن الإمام يكون المراد المرجح من المبهم لدلائل أخرى لكانت مسلكًا واضحًا للطاعنين، وما ارتضى صنيع الخطيب هذا ووقيعته في الإمام القاضي شمس الدين ابن خلكان الشافعي فقال في تاريخه (وفيات الأعيان) في ترجمة الإمام أبي حنيفة النعمان: إن مناقبه وفضائله كثيرة، وقد ذكر الخطيب في تاريخه منها شيئًا كثيرًا ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق تركه والإضراب عنه، فمثل هذا

الإمام لا يُشَكُّ في دينه ولا في ورعه وتحفظه (١)- انتهى موضع الضرورة.

ثم إني وقفت على (طبقات الشافعية الكبرى) للعلامة تاج الدين عبدالوهاب بن السبكي الشافعي فرأيته ذكر فيها للإمام أبي الحسن الأشعري ترجمة طويلة، وأتى فيها بما يقطع عرق الريب ويبين الأمر بواضح البيان بحيث لا يحتاج معه الإنسان إلى الآخر من البيان؛ فإنه أوضح فيها أن معتقد الأشعري في أصول الدين هو معتقد إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان، وأن ما خالف فيها الأشعري من الحنفية لا يقتضي تبديع أحدهما فضلًا عن التكفير، وأن الأشعري لا يبدع الإمام ولا يتعرض لتنقيصه ولا يخالفه في الأصول، وأن الحنفية أكثرهم أشعريون إلا من لحق منهم بالمعتزلة.

ونحن نذكر من هذا الكتاب ما يتعلق بمبحثنا ومطلبنا على فوائد بلفظ.

قلت: منقول. قال ابن السبكي: ولقد قلت مرة للشيخ الإمام تغله: أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر في عده طوائف من أتباع الشيخ ولم يذكر إلا نزرًا يسيرًا وعددًا قليلًا، ولو وفى الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة فإنهم برأي أبي الحسن يدينون لله تعالى، فقال. إنما ذكر من اشتهر بالمناصلة عن أبي الحسن، وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه، وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافق على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري.

قلت: وسنعقد لهذا الفصل فصلًا فيما بعد، وذكر قاضي القضاة الدامغاني الحنفي وقاضي القضاة أبو بكر الفصحي الحنفي من الطبقة الرابعة وقاضي

---

(١) وفيات الأعيان (٥/ ٤١٣)

القضاة شمس الدين السروجي الحنفي والقاضي شمس الدين الحريري الحنفي من الطبقة السابعة في الآخذين عن الأشعري والمتبعين له.

وقال في بيان طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري: هي التي عليها المعتبرون من علماء الإسلام المتميزون من المذاهب الأربعة في معرفة الحلال والحرام، والقائمون بنصرة دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، قد قدمنا في تضاعيف الكلام ما يدل على ذلك، وحكينا لك مقالة الشيخ ابن عبدالسلام ومن سبقه إلى مثلها وتلاه على قولها؛ حيث ذكروا أن الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة أشعريون، هذه عبارة ابن عبدالسلام شيخ الشافعية وابن الحاجب شيخ المالكية والحصيري شيخ الحنفية.

ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق للأشعري ومنتسب إليه وراض بحميد سعيه في دين الله، ومثن بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة تظهر التشبيه وتعادي كل موحد يعتقد التنزيه؟ قلت: كمحمد بن موصلي الأصفهاني الشافعي المتقدم ذكره صاحب كتاب (سيف السنة الرفيعة) أو يضاهي قول المعتزلة في ذمه ويباهي لكم بإظهار جهلها بقدرة سعة علمه.

قلت: أيتصور من الحنفية أن ينتسبوا إلى الأشعري ويرضوا عنه ويثنوا عليه مع ذكره القدح العظيم الموجب للكفر للإمام أبي حنيفة في (كتاب الإبانة) الذي هو آخر كتبه على ما ذكره محمد بن موصلي في كتاب (سيف السنة) ومع ثبته عليه وعدم رجوعه عنه حيث ذكره في آخر كتبه، وإذا انتسبوا إليه ورضوا عنه وأثنوا عليه علم أن الأشعري ما ذكر هذه الروايات في الإبانة ولا في كتاب آخر من كتبه، وأنه ليس بمنتقص للإمام ولا بذام له بوجه من الوجوه.

ثم ذكر ابن السبكي استفتاءات وأسئلة وقعت في الأشعري، منها استفتاء

وقع ببغداد، وهذه صورته:

ما قول السادة الأئمة الحنفية في قوم اجتمعوا على لعن فرقة الأشعري وتكفيرهم ما الذي يجب عليهم؟

فأجاب قاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني الحنفي: قد ابتدع وارتكب ما لا يجوز، وعلى الناظر في الأمور- أعز الله أنصاره - الإنكار عليه وتأديبه بما يرتدع به هو وأمثاله عن ارتكاب مثله- كتبه محمد بن علي الدامغاني.

قلت: وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الأشعري ما ثبت منه شيء من القدح في الإمام والطعن فيه فضلًا عن نسبة هذه العقيدة القبيحة الموجبة للتكفير إليه؛ لأنه إذا ثبت من الأشعري الطعن الموجب للتكفير في الإمام الأعظم لرماه الحنفية من كل جانب وشنعوا عليه غاية التشنيع فضلًا عن أن ينصروه ويحكموا على اللاعنين لفرقة الأشعري أنهم ابتدعوا، وارتكبوا مالا يجوز ارتكابه، فيجب تأديبهم والإنكار عليهم حتى لا يعودوا إلى ارتكاب مثله.

ثم نقل استفتاء آخر وقع ببغداد فيه أيضًا كتب تحته جماعة من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة منتصرين له رادين على من أنكره.

ثم قال ابن السبكي: ذكر كلام أبي العباس قاضي العسكر الحنفي: كان أبو العباس هذا رجلًا من أئمة أصحاب الحنفية ومن المتقدمين في علم الكلام، وكان يعرف بقاضي العسكر.

وقد حكى الحافظ أبو القاسم في كتاب (التبيين) جملة من كلامه فمنه قوله: وقد وجدت لأبي الحسن الأشعري كتبًا كثيرة في هذا الفن- يعني أصول الدين- وهي قريب من مائتي كتاب، و(الموجز الكبير) يأتي على عامة ما في كتبه، وقد صنف الأشعري كتابًا كبيرًا لتصحيح مذهب المعتزلة فإنه كان يعتقد مذهبهم، ثم بين الله له ضلالتهم فتاب عما اعتقده من مذهبهم، وصنف كتابًا ناقضًا لما

صنف للمعتزلة، وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما استقر عليه مذهب أبي الحسن الأشعري، وصنف أصحاب الشافعي كتبًا كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعري إلا أن بعض أصحابنا من أهل السنة والجماعة خطئوا أبا الحسن في بعض المسائل مثل قوله: التكوين والمكون واحد، ونحوها- على ما نبين في خلال المسائل إن شاء الله تعالى- فمن وقف على المسائل التي أخطأ فيها أبو الحسن وعرف خطأه فلا بأس له بالنظر في كتبه؛ فقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا من أهل السنة والجماعة ونظروا فيها[1]- انتهى.

قلت: وهكذا قال البزدوي في عقائده: هؤلاء علماؤنا رحمهم الله تعالى المخبرون بمسلك الأشعري والمطلعون على كتبه؛ فإن كانت الروايات الواقعة في (الإبانة) صحيحة ذكرها الأشعري يبعد من مثل هؤلاء المخبرين المتبحرين أن لا يطلعوا عليها، وإن اطلعوا يستحيل منهم أن يذكروا تخطئة أصحابنا للأشعري في مسائل يسيرة غير موجبة للتشنيع ويتركوا ما يوجب التخطئة العظيمة بل التشنيع القبيح للأشعري، وأن يجوزوا النظر في كتبه مع كون الموجب القوي للنفرة عنه خصوصًا للحنفيين، وحيث لم يشنعوا عليه وأجازوا النظر في كتبه وأمسكوها دل على أن هذه الروايات مفتراة مختلقة ما ذكرها الأشعري في (الإبانة) ثم أخذ في ذكر المسائل الخلافية فقال: ذكر البحث عن تحقيق ذلك: سمعت الشيخ الإمام رحمه الله يقول: ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقده الأشعري لا يخالف إلا في ثلاث مسائل.

قلت: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثني واحدًا، والشافعية غالبهم أشاعرة لا أستثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٤٠).

والحنفية أكثرهم أشاعرة- أعني يعتقدون عقيدة الأشعري- لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة.

والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم إلا من لحق بأهل التجسيم، وهم في هذه الفرقة من الحنبلة أكثر من غيرهم، وقد تأملت عقيدة الطحاوي فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام، وعقيدة الطحاوي زعم أنها التي عليها أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ولقد أجاد فيها، ثم تصفحت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبين الحنفية خلاف فيها ثلاثة عشر مسألة منها: معنوي ست مسائل، والباقي لفظي، وتلك الست المعنوية لا يقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم فيها تكفيرًا ولا تبديعًا، صرح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم، وهو غني عن التصريح لظهوره.

ومن كلام الحافظ: الأصحاب مع اختلافهم في بعض المسائل كلهم أجمعوا على منع تكفير بعضهم بعضًا مجمعون بخلاف من عداهم من سائر الطوائف وجميع الفرق إلى أن قال: وما مثل هذه المسائل إلا مثل مسائل كثيرة اختلفت الأشاعرة فيها، وكلهم عن حَى أبي الحسن يناضلون وبسيفه يقاتلون، أفتراهم يبدع بعضهم بعضًا؟ ثم هذه المسائل الثلاثة عشر لم يثبت جميعها عن الشيخ ولا عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما كما حكي لك ولكن الكلام بتقدير الصحة.

ولي قصيدة نونية جمعت فيها هذه المسائل وضممت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها مع تصويب بعضهم بعضًا في أصل العقيدة، ودعواهم أنهم أجمعون على السنة، وقد ولع كثير من الناس بحفظ هذه القصيدة لاسيما الحنفية.

قلت: في ولوع الحنفية بحفظها دليل ظاهر على أن علماءنا الحنفية لم يجدوا من الأشعري شيئًا يعود منه الطعن على الإمام، ثم قال: وأنا أذكر لك قصيدتي في هذا المكان لتستفيد منها مسائل الخلاف وما اشتملت عليه، فأولها أقول:

الـوردُ خـدُّكَ صِيغَ مـن إنسانِ ... أم في الخـدودِ شـقائقُ النُّعمانِ

والسيفُ لحظُكَ سُلَّ من أجفانِهِ ... فسطا كمثلِ مُهَنَّدٍ وسنانِ

تاللهِ ما خُلِقَتْ لحاظُكَ باطلًا ... وسدًى تعالى اللهُ عن بطلانِ

إلى آخرها، ومنها:

كَذَبَ ابنُ فاعلةٍ يقولُ بجهلِهِ ... اللهُ جسمٌ ليس كالجسمانِ

لو كان جسمًا كان كالأجسام يا ... مجنون فاصغ وَعُدْ عنِ البهتانِ

واتْبَعْ صراطَ المصطفى في كل ما ... يأتي وَخَلِّ وساوسَ الشيطانِ

واعلمْ بأنَّ الحقَّ ما كانت عليـ ... ـهِ صحابةُ المبعوثِ من عدنانِ

من أَكْمَلَ الدينَ القويمَ وبَيَّنَ الـ ... ـحُجَجَ التي يُهْدَى بها الثقلانِ

قد نزهوا الرحمنَ عن شَبَهٍ وقد ... دانوا بما قد جاء في الفرقانِ

ومَضَوْا على خيرٍ وما عقدوا مجا ... لَسَ في صفاتِ الخالقِ الديانِ

كلا ولا ابتدعوا ولا قالوا البنا ... ءُ مشابهٌ في شكلِهِ للباني

وأتتْ على أعقابِهِمْ علماؤنا ... غرسوا ثمارًا يجتنيها الجاني

كالشافعي ومالكٍ وكأحمدٍ ... وأبي حنيفةَ والرضى سفيانِ

وكمثلِ إسحاقٍ وداودٍ وَمَنْ ... يقفو طرائقَهُم من الأعيانِ

وأتى أبو الحسنِ الإمامُ الأشعر ... يُ مبيِّنًا للحقِّ أيَّ بيانِ

ومناضلًا عما عليه أولئك الـ ... أسلافُ بالتحريرِ والإتقانِ

قلت: فيه تصريح بأنه كان الإمام على ما كان عليه الصحابة فلزم منه أنه ما كان قائلًا بالخلق ثم قال بعده:

مـا أن يخـالف مالكـا والـشافعيْ وأحمـدَ بـنَ محمـدِ الـشيباني

لكـن يوافـقُ قولَـهُمْ ويزيـده حسنًا بتحقيـقٍ وفـضلِ بيـانِ

يقفـو طـرائقَهُمْ وَيَتْبَـعُ حارِثًـا أعنـي محاسـبَ نفـسِهِ بـوزانِ

فلقد تلقَّى حُسْنَ منهجِهِ عنِ الـ ـأشياخِ أهـلِ الـدينِ والعرفـانِ

فلـذاك تلقـاه لأهـلِ اللهِ ينـ ـصُرُ قولَـهُمْ بمهنَّـدٍ وسِـنانِ

مِثْلِ ابنِ أدهمَ والفضيلِ وهكذا معـروفِ المعـروفِ في الإخـوانِ

وهكذا عد الشيوخ إلى أن قال:

وكـذاك أصـحاب الطريقـة بعـده ضـبطوا مقالَـتَهُ بكـلِّ عنـانِ

وتلمـذ الـشبليْ بـين يديـه وابـ ـنُ خفيـف والثقفـيْ والكتـاني

وخلائـقٌ كثـروا فـلا أحـصيهمُ وربـوا عـلى اليـاقوت والمرجـانِ

الكـلُّ معتقـدون أنَّ إلهَنـا متوحـدٌ فـردٌ قـديمٌ دانِ

إلى أن قال بعد ما ذكر العقائد:

هذا اعتقادُ مشايخِ الإسلامِ وهـ ـو الـدين فلتسمع لـه الأذُنـانِ

والأشـعريُّ عليـه ينـصره ولا يـألو جـزاهُ اللهُ بالإحـسانِ

وكـذاك حالتـه مـع الـنعمانِ لم ينقض عليـه عقائـدَ الإيـمانِ

يـا صـاحِ إن عقيـدةَ الـنعمانِ والأشعري حقيقـةُ الإتقـانِ

فكلاهمـا واللهِ صـاحبُ سـنةٍ بهـدى نبـيِّ اللهِ مقتـديانِ

لا ذا يُبَـدِّعُ ذا ولا هـذا وإنْ تحـسب سـواه وَهِمْـتَ في الحسبانِ

مـن قـال إنَّ أبـا حنيفـةَ مُبْـدِعٌ رأيـا فـذلك قائـلُ الهَـذَيانِ

أو ظــن أن الأشــعريَّ مُبتَـدِعٌ فلقــد أســاءَ وبــاءَ بالخسرانِ

كــلٌّ إمــامٌ مقتــدًى ذو ســنةٍ كالسيف مسلولًا على الشيطانِ

والخُلْــفُ بيــنهما قليــلٌ أمــرُهُ سَــهْلٌ بــلا بِــدَعٍ ولا كفــرانِ

فــيما يقــلُّ مــن المسائل عِــدَّةً ويهــونُ عنــد تطــاعنِ الأقــرانِ

قلت: هذا غاية البيان في تزكية الإمام أبي حنيفة النعمان ونهاية المدح له والذب عنه، وهو من الذين لا يقلدونه في الفروع، ولو كان الإمام قائلًا بخلق القرآن معتقدًا به ما كان الخلف بينه وبين الأشعري قليلًا سهلًا غير موجب للبدعة والكفر، وما أصدق قول هذا المتبحر المتبحر:

الخلــف بيــنهما قليــل أمــرهُ سَهْل بــلا بــدع ولا كفــران

إلى آخر ما قال ثم قال:

وكذاك أهل الرأي مع أهل الحديـ ـث في الاعتقاد الحق متفقانِ

ما أن يكفِّر بعضُهُمْ بعضًا ولا أَزْرَى عليه وَسَامَهُ بِهَوَانِ

إلا الـذين تمعزلـوا منهم فَهُـمْ فئــةٌ تَنَحَّــتْ عــنهمُ الفئتــانِ

هــذا الصوابُ فــلا تَظُنَّنْ غَيرَهُ واعقــد عليــه بخِنْصَرٍ وَبَنَــانِ

ورأيـتُ عــن قالــه حـبرًا لــه نبــأ عظــيمٌ ســار في البلــدانِ

أعني أبا منصورٍ الأستاذَ عبـ ـدَ القاهرِ المشهورَ في الأكوانِ

هــذا صراطُ اللهِ فاتبَعْــهُ تَجِــدْ في القلبِ بَرْدَ حلاوةِ الإيمانِ

وتراه يومَ الحشرِ أبيضَ واضحًا يهــدي إليــك رســائلَ الغفــرانِ

وعليــه كــان السابقون عليـهمُ حُلَلُ الثناءِ وملبسُ الرضوانِ

والشافعيُّ ومالكٌ وأبو حنيـ ـفةَ وابنُ حنبلٍ الكبيرُ الشانِ
درجوا عليه وخلَّفونا إثرهم إن نَتَّبِعْهُمْ نجتمعْ بجنانِ
أو نبتدعْ فلسوفَ نَصْلَى النَّارَ مَذْ مومينَ مأخوذينَ بالعصيانِ

إلى آخر ما قال.

قلت: فلقد ثبت من قول ابن السبكي الشافعي أن الإمام الأعظم كان على صراط الله تعالى، ومن كان على صراط الله تعالى لا يكون قائلًا بخلق القرآن قط، ثم ينبغي أن يعلم أن هذه الدلائل كلها إنما هي لمزيد التأكيد وزيادة التوضيح، وإلا فعدم كون الإمام قائلًا بخلق القرآن ومعتقدًا به وكونه معتقدًا بعدم خلقه ومكفرًا لقائل الخلق يثبت من كلامه ﷺ ثبوتًا لا يسترِيب معه من له أدنى مسكة من العقل، ويتضح وضوحًا لا يشك بعده من له قليل من الفهم، وهو يكفي لإثبات المرام ويغني عن دلائل أخرى للذب عن الإمام، ولكن الكلام يشد بعضه بعضًا فيصير بنيانًا مرصوصًا، هذا الفقه الأكبر من كلام إمامنا الأعظم شرحه جماعة من الحنفية عمدتهم علي القاري العلامة، وهذا كتابه الوصية صرح فيها بعدم خلق القرآن وكرره تأكيدًا واهتمامًا؛ فقال رضي الله تعالى عنه: والقرآن في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، لفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

قال العلامة القاري في شرحه: قد قال الإمام الأعظم في كتابه الوصية: نقر بأن كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور غير حالٍّ فيها،

والحروف و الحركة والكاغد والكتابة كلها مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد، وكلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء؛ فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ثم قال العلامة القاري: وقال فخر الإسلام: قد صح عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله تعالى في مسألة خلق القرآن فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وصح هذا القول أيضًا عن محمد رحمه الله تعالى، وقال رضي الله تعالى عنه في الفقه الأكبر أيضًا: وما ذكره الله تعالى في القرآن عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارًا عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، وقال أيضًا بفاصلة يسيرة بمثله: ويتكلم لا ككلامنا ونحن نتكلم بالآلات والحروف، والله يتكلم بلا آلة وحروف، والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، قال العلامة القاري تحته: بل قديم بالذات.

قال الطحاوي: فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وأوعده بسقر حيث قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾(١) فلما أوعده الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝﴾(٢) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر- انتهى.

وقال شارحه: قد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، ثم نقل المذاهب التسعة عن شارح عقيدة الطحاوي، وقال بعدما نقل المذهب التاسع-

(١) المدثر: ٢٦.
(٢) المدثر: ٢٥.

وهو أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وإن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا - انتهى، إن هذا يؤيد ما قدمناه انتهى، يشير إلى ما قال قبل هذا بأن كلام الطحاوي يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس بكلام الله وإنما هو عبارة.

ثم قال العلامة القاري: وهذا - يعني المذهب التاسع - المأثور عن أئمة الحديث والسنة، ولعل تكرار هذه المسألة في تأليف الإمام لكمال الاهتمام في مقام المرام - انتهى، وحقق رحمه الله تعالى هذا البحث وفصله وختمه بقوله: وبالجملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف - رحمهم الله - متفقون على أن القرآن غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات أو أنه حروف وأصوات، تكلم الله بعد أن لم يكن متكلمًا أو أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم، وهو مختار الإمام والطحاوية، والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقًا خلقه الله أو هو كلامه الذي تكلم به وقائم بذاته - انتهى كلام القاري عليه الرحمة من الله الباري.

وقد صرح في (سيف السنة الرفيعة) أيضًا أن المذهب التاسع الذي نقلناه من شرح الفقه الأكبر للعلامة القاري هو مأثور عن أئمة السنة والحديث، ثم إطباق الحنفية كلهم على عدم خلق القرآن، وعلى تقبيح قائل الخلق - كما يظهر من كتبهم الكلامية - ينبغي أن يضم إلى كلام الإمام في هذه المسألة؛ فإنه يفيد قوة فوق قوة ويزيد علمًا إلى علم؛ لأنهم يدينون الله تعالى في الأصول والفروع بأقواله المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويقاتلون بسيفه.

هذا ومما جرأ الواضعين والمفترين على وضع تلك الروايات ونسبتها إلى

الأشعري هو الفتنة التي وقعت بمدينة نيسابور قاعدة بلاد خراسان إذ ذاك في العلم وصارت سببًا لخروج إمام الحرمين والحافظ البيهقي والأستاذ أبي القاسم القشيري من نيسابور وآلت إلى أن صيغت الدائرة على من رام مذهب الأشعري بسوء كما قال العلامة تاج الدين ابن السبكي في طبقاته الكبرى في ترجمة الأشعري: كان سلطان الوقت إذ ذاك السلطان طغرل بك السلجوقي وكان رجلًا حنفيًّا سنيًّا خيرًا عادلًا محبًّا لأهل العلم من كبار الملوك وعظمائهم، وهو أول ملوك السلجوقية، وكان يصوم الإثنين والخميس، وهو الذي أرسل الشريف ناصر الدين بن[1] إسماعيل رسولًا إلى ملكة الروم فاستأذنها بالصلاة في جامع القسطنطينية جماعة يوم الجمعة، فصلى وخطب للإمام القائم بأمر الله، وتمهدت البلاد لطغرل بك، وسمت نفسه بحيث وصل أمره إلى أن سير إلى الخليفة القائم يخطب ابنته، وذلك في ذلك الزمن مقدم مهول، فشق ذلك على الخليفة واستعفى ثم لم يجد بدًّا من ذلك لعظمة طغرل بك، وكونه ملكًا قاهرًا لا يطاق فزوجه بها.

وقدم بغداد في سنة خمس وخمسين وأربعمائة وأرسل يطلبها، وحمل مائة ألف دينار برسم نقل جهازها فعمل العرس في صفر بدار المملكة، وأجلست على سرير ملبس بالذهب، ودخل السلطان وقبل الأرض بين يديها ولم يكشف البرقع عن وجهها إذ ذاك، وقدم لها تحفًا وخدمًا، وانصرف مسرورًا.

وكان لهذا السلطان وزير سوء وهو الوزير أبو نصر منصور بن محمد الكندري كان معتزليًّا رافضيًّا خبيث العقيدة لم يبلغ أن أحدًا جمع له من خبث العقيدة ما اجتمع له؛ فإنه على ما ذكر كان يقول بخلق الأفعال وغيره من قبائح

---

(١) في الطبقات: ناصر بن إسماعيل

القدرية، وسب الشيخين وسائر الصحابة وغير ذلك من قبائح أشرار الروافض وتشبيه الله بخلقه، وغير ذلك من قبائح الكرامية، وكان له مع ذلك تعصب عظيم، وانضم إلى كل هذا أن رئيس البلد أبا سهل الموفق[1] -الذي سنذكر إن شاء الله ترجمته في الطبقة الرابعة- كان ممدوحًا جوادًا ذا أموال جزيلة وصدقات دائرة وهبات هائلة ربما وهب ألف دينار لسائل، وكان مرموقًا بالوزارة، وداره مجتمع العلماء وملتقى الأئمة من الفريقين الحنفية والشافعية في داره يتناظرون وعلى سماطه يلتقون، وكان عارفًا بأصول الدين على مذهب الأشعري قائمًا في ذلك مناضلًا في الذب عنه، فعظم ذلك على الكندري لما في نفسه من المذهب، ومن بغض ابن الموفق بخصومة[2] وخشية منه أن يثب على الوزارة، فحسن للسلطان لعن المبتدعة على المنابر.

فعند ذلك أمر السلطان بلعن المبتدعة على المنابر فاتخذ الكندري ذلك ذريعة إلى ذكر الأشعرية، وصار يقصدهم بالإهانة والأذى والمنع عن الوعظ والتدريس وعزلهم عن خطابة الجامع، واستعان بطائفة من المعتزلة الذين زعموا أنهم يقلدون مذهب أبي حنيفة أشربوا في قلوبهم فضائح القدرية، واتخذوا التمذهب بالمذهب الحنفي سياجًا عليهم، فحببوا[3] إلى السلطان الإزراء بمذهب الشافعي عمومًا والأشعرية خصوصًا.

وهي هذه الفتنة التي طار شررها فملأ الآفاق وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز إلى آخر ما قال، ثم ذكر كتاب البيهقي إلى عميد الملك وفيه: فألقوا إلى سمعه- أي سمع طغرل بك المذكور- ما فيه مساءة أهل السنة والجماعة

---

(١) الطبقات: ابن الموفق.

(٢) الطبقات: بخصوصه.

(٣) الطبقات: فحسنوا.

كافة ومصيبتهم عامة من الحنفية والمالكية والشافعية الذين لا يذهبون في التعطيل مذاهب المعتزلة، ولا يسلكون في التشبيه طرق المجسمة إلخ، ثم قال: وكأنه خفي عليه- أدام الله عزه- حال شيخنا أبي الحسن الأشعري ﷺ وما يرجع إليه من شرف الأصل وكبر المحل في العلم والفضل وكثرة الأصحاب من الحنفية والمالكية والشافعية الذين رغبوا في علم الأصول وأحبوا معرفة دلائل المعقول.

ثم قال: إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حدثًا ولم يأت فيه ببدعة بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين، وأن ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء، فكان في بيانه وشرحه ما لم يدل عليه أهل السنة والجماعة، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري من الكوفة، والأوزاعي وغيره من أهل الشام ومالك والشافعي من أهل الحرمين ومن نحا نحوهما من أهل الحجاز وغيرها من سائر البلاد- إلخ.

ثم نقل رسالة القشيري المسماة بـ(شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة) أي في هذه الفتنة كتبها القشيري إلى البلاد، ووافق القشيري على هذه الرسالة جم من العلماء وكتبوا عليها، منهم القاضي الدامغاني من الحنفية، وفي آخر هذه الرسالة: ولما ظهر ابتداء هذه الفتنة بنيسابور، وانتشر في الآفاق خبره وعظم على قلوب كافة المسلمين من أهل السنة والجماعة أثره لم يبعد أن يخامر قلوب أهل السنة توهم في بعض هذه المسائل لعل أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمة الله عليه قال ببعض هذه المقالات في بعض كتبه، ولقد قيل: (من يسمع يخل) أثبتنا هذه الفصول في شرح هذه الحالة، وأوضحنا صورة الأمر بذكر هذه الجملة ليضرب كل أهل السنة إذا وقف عليها بسهمه إلى آخر ما قال:

اعلم أن الروافض لا زال قصدهم تفريق جمع أهل السنة وكسر شوكتهم وإزالة دولتهم، ورثوه من إمامهم اليهودي المنافق المتسلم المؤسس المؤصل لمذهبهم ابن سبأ المتعلم من أبي شيطين المعلم الذي أراد التفريق بين المسلمين بكيده ووسوسته لما رأى عزتهم وشوكتهم، ورأى ذلة اليهود ومهانتهم حتى صار رجالهم عبيدًا ونساؤهم إماء تخدمهم؛ فزخرف هذا المذهب وروَّجه على الجهلة من العجم والعرب.

ولما كان الله حافظًا لدينه وناصرًا لأهله ما أعقب كيدهم إلا الذلة والخيبة لهم، وإلا الهوان والكرب وما زادوا إلا التعب والنصب، ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب؛ فالكندري السوء أقام هذه الفتنة لدسيسته الخبيثة الرافضية؛ فأوسعت للفئة الطاغية معتزلة كانت أو رافضية مجالًا للبهتان والفرية؛ فالغالب أنهم افتروا هذه الروايات ألحقوها في الإبانة التي هي آخر كتب الأشعري كي تدوم بينهم الفرقة ولا تزول؛ فإن آخر الكلام يكون عليه اللزام، ولكن الله حفظ دينه وأقام من كل جانب عباده العلماء حتى بذلوا جهدهم وصرفوا وسعهم في الذب عن الأشعري قدوة هذه الأمة- كما سبق ذكره- فتنبه أهل السنة لذلك وأعادوا عن الكندري فتنته الوقيحة والمصيبة وأحاطت عليه منها الرزية والبلية.

وقول القشيري في رسالته السابق ذكرها بأنه لما ظهر ابتداء هذه الفتنة بنيسابور، وانتشر في الآفاق خبره إلى آخر ما قال: وقد ذكرناه تنبيهًا ونصيحة منه لكافة أهل السنة حتى لا يظنوا بالإمام الأشعري سوءًا إذا وجدوا أمرًا يوهم السوء في حقه، ويتأملوا إلى شأنه الأرفع أولًا، وإلى أصحابه السالكين على مسلكه الشريف من الحنفية والشافعية والمالكية والفضلاء من قدماء الحنابلة ثانيًا؛ فإن الأمرين يكفيان لنفي الذمائم عنه وإثبات المدائح له، فيجب علينا أهل

السنة الوقوف على هذا التنبيه والصيحة، واعتقد أن هذه الروايات مفتراة على الأشعري موضوعة ملحقة في كتابه (الإبانة)

وحيث أتينا بفضل الله تعالى بما يوضح ظلمة متن هذه الروايات وإبطالها بحيث لا يشك معه العاقل في بطلانها نتكلم الآن فيما يتعلق بسندها، وإن كان فيما ذكرنا غنية من النظر في السند لأن الأصل المقصود هو المتن، والسند ذريعة للوصول إليه، فإذا بطل أصل المقصود بالذات لم يكن للذريعة اعتبار حتى ينظر إليها إثباتًا ونفيًا، ولكن نتكلم فيه تتميمًا للكلام وتكميلًا للمقام على مجرى عادتهم ومر دأبهم، فنبحث أولًا عن سند الروايات الواقعة في (الإبانة) ونقول: إن الرواية الأولى في سندها انقطاع؛ لأن هارون مات بعد خمسين ومائتين، وولد الأشعري سنة ستين ومائتين؛ فليس الأشعري الراوي معاصرًا لهارون المروي عنه؛ فحذف الراوي الذي روى للأشعري عن هارون، وهذا القسم مردود عند المحدثين لا يقبلونه، وقد يحكم بصحته إذا عرف أنه جاء مسمى من وجه آخر ذكره الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر، وما جاء بهذه الرواية بوجه آخر سمي فيه المحذوف فتصير الرواية مردودة ساقطة من جهة السند أيضًا، وإنما جعل هذا القسم مردودًا للجهل بحال المحذوف ذكره الحافظ ابن حجر أيضًا، هذا حال مبدأ السند.

وأما هارون بن إسحاق نفسه فثقة ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) فقال: هارون بن إسحاق بن محمد بن مالك بن زبيد الهمداني أبو القاسم من أهل الكوفة يروي عن وكيع وعبدة بن سليمان حدثنا عنه عمر بن سعيد بن سنان وغيره، مات بعد الخمسين والمائتين[1] - انتهى.

---

(١) الثقات (٩/ ٢٤١).

وفي (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال) إنه عن ابن عيينة والمعتمر وخلق، وعنه البخاري في جزء القراءة له والترمذي في جامعه والنسائي في سننه ووثقه وابن ماجه في سننه قال معين. مات سنة ثمان وخمسين ومائتين. انتهى.

والعجب أن هارون بن إسحاق مع كونه معروف الرواية عن وكيع يروي عن أبي نعيم هذا، ووكيع يتبع أبا حنيفة رحمه الله تعالى ويفتي بقوله، ويكفر قائل الخلق، قال الذهبي في (تذكرة الحفاظ) في ترجمة وكيع: وقال يحيى: ما رأيت أفضل منه، يقوم الليل، ويسرد الصوم، ويفتي بقول أبي حنيفة[1].

ثم قال الذهبي: وروى أبو هشام وغيره عن وكيع قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر[2]؛ أيتصور من مثل وكيع في الدين وورعه في الشريعة أن يكفر قائل الخلق ثم يتبع قائله ويفتي بقوله؟ لا يتصور من مثل هذا الرجل مثل هذا الأمر الذي يعيد عليه اللوم أبدًا، وحيث اتبعه وكان يفتي بقوله، وذكر الأئمة هذا الإفتاء والاتباع في مقام المدح له ظهر أن الإمام ما كان قائلًا بالخلق، وأنه كان ثابتًا محققًا عند وكيع، ويبعد أن لا يعلم هارون هذا فإن هارون ثقة ووكيع شيخه المعروف، والرواة لاسيما إذا كانوا ثقات أيقاظًا يكون لهم علم بحال شيوخهم قضًا وقضيضًا ونقيرًا وقطميرًا، وخصوصًا إذا كانوا يسكنون في بلد واحد؛ فهارون كوفي ووكيع شيخه كوفي، واتباع وكيع لأبي حنيفة بإفتائه بقوله كان ظاهرًا مستمرًا!

واللازم من كل ذلك أن يعلم هارون من شيخه وكيع أن الإمام ما كان قائلًا بالخلق فكيف يتصور أن لا يذكره، ويروي عن أبي نعيم الذي لا يعرف له سماع

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠٧).
(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠٨-٣٠٩).

منه ما يخالفه لأنه إذا وجد عند الراوي روايتان تناقض إحداهما الأخرى فلا أقل من أن يذكرهما جميعًا، وهذا على سبيل التنزل، وإلا فالاقتضاء الظاهر أن يذكر هارون ما علمه من وكيع من أن الإمام ما كان قتلًا بالخنق ويترك ما وجده من أبي نعيم بخلافه أو يذكر ما وجده من أبي نعيم ويذكر معه ما علمه من وكيع ناقضًا له، وهذا لأن أبا نعيم ثلاثة: عبدالرحمن بن هانئ الكوفي الراوي عن الثوري، وشريك الذي روى عنه الكوفيون مات سنة إحدى أو اثنتي عشرة ومائتين على ما ذكره ابن حبان أو ست عشرة ومائتين على ما قاله الذهبي ذكره ابن حبان في (كتاب الثقات)[1]، وقال: ربما أخطأ لروايته عن الثوري عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ «من قتل ضفدعًا فعليه شاة محرمًا كان أو حلالًا»[2]، والذهبي في (ميزان الاعتدال)[3]، فقال عبدالرحمن بن هانئ أبو نعيم النخعي عن سفيان الثوري قال أحمد: ليس بشيء، ورماه يحيى بالكذب، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه ومن مناكيره حديثه عن سفيان عن أبي الزبير، فذكر مثل ما ذكره ابن حبان وحديثًا آخر.

وفي (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال) أنه روى عن الحسن بن الحكم النخعي وفطر بن خليفة، وعنه عباس بن عبدالعظيم، وأبو حاتم وقال: لا بأس به، وقال ابن حبان في (الثقات): ربما أخطأ، وضعفه أبو داود والنسائي وكذبه ابن معين.

وضرار بن صرد الطحان الكوفي الراوي عن إبراهيم بن سعد مات سنة تسع وعشرين ومائتين ليس بثقة، فيما ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات): قال الذهبي

---

(١) الثقات لابن حبان (٨/ ٣٧٧).
(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ٣١٥) في ترجمة عبد الرحمن بن هانئ.
(٣) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٩٥).

في ميزانه[١]: ضرار بن صرد أبو نعيم الطحان عن إبراهيم بن سعد قال أبو عبدالله البخاري وغيره: متروك، وقال يحيى بن معين: كذابان بالكوفة هذا وأبو نعيم النخعي، ثم ساق حديثه ثم قال: يروي عنه مطين وجماعة، قال النسائي: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: صدوق لا يحتج به، وقال الدارقطني: ضعيف، وهكذا في (تهذيب تهذيب الكمال)[٢] للحافظ ابن حجر فإنه نقل فيه جرحه عن أئمة الحديث بالتفصيل. وفضل بن دكين الكوفي عن الأعمش وزكريا بن أبي زائدة وجعفر بن برقان وأفلح بن حميد وخلق، وعنه البخاري وأحمد وإسحاق ويحيى بن معين وخلق، قال أحمد: ثقة يقظان عارف بالحديث، وقال الفسوي: أجمع أصحابنا على أن أبا نعيم كان في غاية الإتقان، قال يعقوب بن شيبة: مات سنة تسع عشرة ومائتين كذا في (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال)

فأبو نعيم كنية هؤلاء الثلاثة؛ فإن كان الراوي هارون هو الأول فهو متكلم فيه مختلف في شأنه؛ هذا أحمد بن حنبل رئيس المحدثين يقول فيه: ليس بشيء، وهذا يحيى المتيقظ الخبير البصير الثبت الحجة الرحال الجوال القافز من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي يرميه بالكذب، ويسميه: الكذاب، وهذا ابن عدي المحدث الجليل يقول: إن عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وابن حبان مع توثيقه يعترف بأنه يخطئ.

ولعمري إن كان أبو نعيم هذا هو الراوي هذه الرواية فيتأكد جرحه ويظهر كذبه ويتضح نكارة الرواية نكارة فيها فضيحة له وقباحة عليه؛ فإنك لا تجد أحدًا تابع عليها بل تجد جملة من الروايات تكذبها.

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٧-٣٢٨).
(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٠٠).

يز في مشارق الأرض ومغاربها وَطُفْ في أقاصي الأرض وأكنافها فانظر هل تجد أحدًا يتابعها؟ ألا من شذَّ كبَّه الله في النار، وأحله دار البوار، وليس بشيء من الاعتبار، وليس له في شذوذه من قرار، يستقر عليه أمره ويدار.

هذا ومن قواعدهم تقديم الجرح على التعديل لاسيما إذا كان الجرح مفسرًا مبينًا، وإن كان المعدلون أكثر، وقد وجد ههنا كل هذا؛ فإن الجرح مفسر مبين لخطائه ونكارة مروياته، والجارحون أكثر فسقط روايته خصوصًا على قول ابن عدي: إن عامة ما يرويه لا يتابع عليه، ومع كل ذلك فيما ذكروا صريحًا أن هارون سماعًا أو رواية عن أبي نعيم هذا غير ما قاله ابن حبان: إن الكوفيين رووا عن عبدالرحمن بن هانئ عن أبي نعيم؛ فهذا يشير الاحتمال بأن هارون لعله سمع من أبي نعيم ولكن لا يفيد القطع، ولابد من القطع في مثل هذا المقام المهول؛ فيجهل اللقاء بينهما، وإن كان الثاني فهو ليس بثقة- كما سبق ذكره- بل قدح فيه الأئمة الذين وقع بهم القدوة في هذا الفن، وتختلف في قدحه عباراتهم فأردأ ما قيل فيه: إنه كذاب، وقد سبقت كلها فلا نعيدها.

وأيضًا لا يعلم أن هارون سماعًا منه أم لا، غير ما تحتمله معاصرته وهو احتمال محض، وإن كان الثالث فهو حافظ ثقة يروي كثيرًا عن الإمام أبي حنيفة، كما قاله الحافظ الخوارزمي في (جامع المسانيد)، وهو من كبار شيوخ البخاري ومسلم، ولم يرو أحدهما منه نفسه أن الإمام كان يقول بخلق القرآن؛ فإذا كان أبو نعيم هذا يروي عن الإمام، وكان البخاري ومسلم يرويان عنه فيبعد أن يروي عن سليمان وهو يروي عن سفيان ولا يروي عن الإمام نفسه، وأن يروي عنه البخاري بالواسطة ولا يروي عنه نفسه، وأيضًا ليس هارون سماع معروف من أبي نعيم هذا غير ما تحتمله المعاصرة.

وأما أبو نعيم عن سليمان بن عيسى القاري عن سفيان الثوري؛ فسليمان

اثنان: أحدهما: ابن عيسى بن نجيح السجزي، وثانيهما: ابن عيسى بن موسى، فالثاني ثقة ذكره ابن حبان في (الثقات)[1] فقال: سليمان بن عيسى يروي عن جده موسى بن طلحة عن علي روى عنه يحيى بن سعيد الأموي، والأول مقدوح مجروح، قال الذهبي: سليمان بن عيسى بن نجيح السجزي عن ابن عون وغيره هالك، قال الجوزجاني: كذاب مصرح، وقال أبو حاتم: كذاب، وقال ابن عدي: يضع الحديث[2]؛ فهذا متفق على جرحه بأردأ ما يكون.

هذا أبو حاتم بن حبان يكذبه؛ فما علم أن سليمان الواقع في هذه الرواية أي سليمان، وأيًا من كان فما يعرف لأبي نعيم سواء كان عبدالرحمن بن هانئ أو ضرار بن صرد أو فضل بن دكين سماع منه.

وأما سماع سليمان من سفيان فيعلم مما ذكره الذهبي أن لسليمان بن عيسى بن نجيح سماعًا من سفيان، قال الذهبي في ترجمته[3]: وله عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة فساق حديثه، وأما سليمان بن عيسى بن موسى الثقة فما عرف له السماع من سفيان، فإن كان سليمان هذا ذاك الهالك الواضع فردُّه ظاهر، وإن كان ذاك الثقة فهو في منتهى السند، والمنتهى موقوف على المبدأ، ومبدأ السند قد علمت حاله.

وأما سفيان الثوري القائل: إنه قال لي حماد بن أبي سليمان: بلغ أبا حنيفة المشرك أني منه بريء، فهو وإن كان ثقة ثبتًا حجة إلا أن قدحه في الإمام وسوء قوله فيه لا يقبل أصلًا؛ لأنه من معاصري الإمام وأقرانه، وقدح الأقران والمعاصرين بعضهم بعضًا لا يقبل، صرح بذلك غير واحد من الأئمة منهم:

---

(١) الثقات لابن حبان (٦/ ٣٩٤).

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٢١٨).

(٣) ميزان الاعتدال (٢/ ٢١٨-٢١٩).

التاج السبكي في طبقاته الكبرى فإنه صرح فيه أنه لا يقبل كلام الثوري وغيره في أبي حنيفة ولا يلتفت إليه، وهذا كلام على وضع المقام؛ لأن المقام مقام البحث عن السند وإلا فالثوري ثبت عنه التزكية البليغة للإمام، وهو ينقض هذه الرواية ويهدم بنيانها، وقد ذكرناه فارجع وتذكر.

وهاهنا أعجوبة أخرى وهي أن حماد بن أبي سليمان القائل لسفيان: بلغ أبا حنيفة هو شيخ إمامنا أبي حنيفة النعمان، وقد ثبت ما يدل على غاية الموافقة الدائمة ونهاية المؤاسة المستمرة بينهما.

قال الحافظ محمد بن محمود الخوارزمي في (جامع المسانيد) للإمام الأعظم في ذكر حماد بن أبي سليمان: هو أستاذ أبي حنيفة ﷺ لزمه إلى آخر عمره وأخذ عنه الفقه، وقال علي الهروي العالي المقام في شرح مسند الإمام: وكان- أي حماد- يقول: ربما اتهمت رأيي برأي أبي حنيفة وأقول بقوله، وفي نسخة: اتهمت آرائي برأي أبي حنيفة وأقوالي بقوله، فهذا غاية موافقة منه مع الإمام، ونهاية محبة منه له، وفي هذه الرواية ما يدل على غاية المنافرة بينهما، والموافقة بينهما هي المعروف المشهور المعلوم عندهم، ولو كانت بينهما منافرة ولو بغير الوجه المذكور في هذه الرواية لعرفت ولرويت، وقد ذكر الذهبي حمادًا هذا في (ميزان الاعتدال)[1] وقال: روى عنه سفيان وشعبة وأبو حنيفة وخلق.

والدولابي في (الكنى) فقال في ذكر من كنيته أبو إسماعيل: حماد بن أبي سليمان الفقيه أستاذ أبي حنيفة الفقيه، وحماد بن زيد البصري، وحماد بن عمر النصيبي، وحماد بن نافع- إلى آخر ما قال وما ذكر، أم يوجد منه منافرتها مع أن المنافرة الواقعة بين الأستاذ والتلميذ تذكر في موضع يذكر أحدهما وينسب بتلمذه

---

(١) ميزان الاعتدال (١/ ٥٩٥).

وأحده إلى الآخر إن كان المذكور آخذًا وتلميذًا لغير المذكور، أو بمشيخة له إن كان المذكور شيخًا لغير المذكور لأن هذه لـــــه يذكروها لشهرتها المشعرة للارتباط بين المشاهير، فإذ كانت الشهرة التي هي مصادة للازم من هذه النسبة واقعة مستقرة -كما هي مقتضى هذه الرواية- صارت مقابلة للشهرة الحاصلة من تلك النسبة ومساوية لها، فذكروها وما تركوها، إذا لم يذكروا المنافرة بقيت هذه النسبة على أصلها، والأصل فيها هو إشعارها بالموافقة والمرافقة والمحبة والمؤاسة ثم هذا السند أتى من مبدئه إلى مختتمه على أضعف صيغ الأداء المحتمل للسماع وغيره وهو ذكر (وعن) كما ذكره الحافظ ابن حجر في (نخبة الفكر في مصطلحات أهل الحديث والأثر) هذا خلاصة الكلام في سند الرواية الأولى من روايات الإبانة

وأما الرواية الثانية -وهي ذكر سفيان بن وكيع قال سمعت عمر بن حماد بن أبي حنيفة إلخ، فمدارها على سفيان بن وكيع، وهو ليس بمعاصر للأشعري لأنه مات سنة سبع وأربعين ومائتين ذكره الذهبي عن ابن حبان- ففيه الانقطاع أيضًا؛ فلا يدرى من هو بين الأشعري وبين سفيان بن وكيع؛ فالرواية ساقطة مردودة، وهكذا الرواية الثالثة وهي ذكر هارون بن إسحاق قال: سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر إلخ

وأما الرواية الرابعة وهي: ذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت إلخ ففيه الانقطاع الكامل الموجب للرد والإسقاط؛ لأنه حذف السند من الأشعري إلى أبي يوسف كله.

وأما سفيان بن وكيع وهو سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرواسي، قال الذهبي. قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها، وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب، وقال ابن أبي حاتم: أشار أبي عليه أن يغير وَرَّاقه فإنه أفسد حديثه،

وقال له: لا تحدث إلا من أصولك، فقال: سأفعل ثم تمادى وحدث بأحاديث أدخلت عليه، وقد ساق له أبو أحمد جملة أحاديث منكرة السند لا المتن، ثم قال: وله حديث كثير، وإنما بلاؤه أنه كان يتلقن يقال: كان له وَرَّاق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه أو مرسل يوصله أو يبدل رجلًا برجل، وقال ابن حبان: مات سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان شيخًا فاضلًا صدوقًا إلا أنه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكُلِّم في ذلك فلم يرجع.

قلت: وتلقنه أيضًا يوجب سقوط رواية هذا.

ثم العجب أن والده وكيع بن الجراح يتبع أبا حنيفة ويعتقده وهو يروي في أبي حنيفة خلاف ما كان يعتقد فيه أبوه؛ فإن الأقرب في الأبناء أن يعتمدوا على آبائهم ويبطلوا ما كان خلاف أقوالهم ومعتقداتهم؛ فبعيد من سفيان أن يروي هذا ولا يعتمد على ما كان يعتقد أبوه في الإمام مع أنه يروي عن أبيه، كما ذكره الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب)[1] اللهم إلا أن يكون هذا من ملقنه السوء، وأما عمر بن حماد بن أبي حنيفة فذكره العلامة القرشي في (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) فقال: عمر بن حماد بن أبي حنيفة روى عن أخيه إسماعيل قوله: أنا إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ثم قال: تفقه على أبيه حماد.

قلت: يبعد غاية البعد أن يروي عمر عن أبيه هكذا ولا يرويه عنه أخوه إسماعيل - رحمهما الله تعالى - فإن إسماعيل رحمه الله تعالى من كبار الفقهاء ومشاهيرهم روى عنه كثير من الأعيان، فعدم رواية إسماعيل لهذه الرواية بل عدم وجدان شمة من معناها فيما نقلوا عنه يوضح أن هذه الرواية موضوعة على عمر -قبح الله واضعها- كيف وقد ثبت عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة ما

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ١٠٩)

يناقض هذه الرواية المروية عنه نقضًا ظاهرًا.

قال في (مفتاح السعادة) في المطلب الرابع الذي بين فيه مذهب الإمام في أصول الدين: قال عمر بن حماد بن أبي حنيفة- رحمهم الله: أقمت عند مالك مدة فلما أردت الرجوع قلت: لعل بعض الحساد ذكروا جدي عندك على خلاف ما كان عليه فأذكر لك مذهبه فإن رضيت فذاك وإلا فعظني، قلت: كان لا يخرج أحدًا من الإيمان بذنب، قال: أصاب، قلت: وإن أصاب الفواحش، قال: أصاب، قلت: وكان لا يكفر قاتل النفس، قال: أصاب فمن قال غير هذا فقد أخطأ.

قال: بلغني أنه كان يقول: إيماني مثل إيمان جبرئيل، قلت: بلغك الباطل، كان يقول: إن الله تعالى بعث جبرئيل إلى النبي ﷺ كما بعثه إلى من قبله؛ فأمره أن يدعو الناس إلى الإيمان إيمان وحد لا إيمانان أو ثلاثة، ولا إيمان هذا وإقرار هذا غير إيمان هذا وإقرار ذا، فتبسم كالراضي به ولم يقل شيئًا، قلت: وكان ينكر الشك في الإيمان، قال: وما الشك فيه؟ قلت: عندنا أقوام لا يقولون: أنا مؤمن حتى يستثني إيمانه أو يقول أحدهم: لا أدري أنا مؤمن أم لا، فأنكره وقال: من يقول هذا- انتهى.

مذهب عمر بن حماد رضي الله تعالى عنه عن جده، وبيّن ما كان عليه من الطريقة المستقيمة في الدين، وذكر في سبب بيان مذهبه لمالك رضي الله تعالى عنه أنه لعل بعض الحساد ذكروا جدي عندك على خلاف ما كان عليه؛ فأذكر لك مذهبه؛ فإن كان الحساد اتهموا الإمام بعقيدة الخلق والفتروها عليه لذكرها ألبتة وما تركها قط، ولما لم يذكر أن الإمام كان قائلًا بالخلق، والموضع موضع ذكر كل ما نسب إلى الإمام وهو بريء منه أو طعن فيه بسببه ولا يعود عليه الطعن بسببه بل هو الحق والصواب وخلافه الخطأ والانحراف- ظهر أن هذه العقيدة ما اتهمه بها الحساد أيضًا ما وجدوا مجالًا لاتهامه بها وافترائها عليه لكونه مشهورًا

معروفًا بخلافها؛ أيكون للاستتابة للروية عن عمر المذكورة في (الإبانة) قرار بعد هذه الرواية المذكورة في (مفتاح السعادة)

وأما ابن أبي ليلى الذي ذكر في هذه الرواية أنه استتاب الإمام في قوله بالخلق فهو ممن يقع في الإمام تارة ويمدحه أخرى- قاله الحافظ الخوارزمي في (مسنده)، فوسع حسده للإمام مجالًا للوضعين فوضعوا الرواية منسوبة إليه

وأما إسماعيل بن أبي الحكم الواقع في الرواية الثالثة فلا يعرف؛ فإن ابن حبان ذكر إسماعيل بن أبي حكيم الراوي عن سعيد بن المسيب روى عنه مالك وابن إسحاق؛ قال ابن حبان هو مولى عثمان بن عفان عداده في أهل المدينة، وقيل: هو مولى لآل الزبير يروي عن سعيد بن المسيب روى عنه مالك وابن إسحاق مات سنة ثلاثين ومائة بالمدينة، وليس فيه إسماعيل بن أبي الحكم، وذكره الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب)[1].

وذكر الذهبي في (ميزانه)[2] في ذكر من عرف بأبيه: فقال ابن أبي الحكم الغفاري عن جدته عن عم أبيها رافع قال: كنت غلامًا أرمي نخل الأنصار لا يكاد يعرف، روى عنه معتمر بن سليمان فم علم اسم ابن أبي الحكم هذا الذي ذكره الذهبي؛ فمجهول إسماعيل بن أبي الحكم الواقع في هذه الرواية.

وأما عمر بن عبيد الطنافسي فذكره ابن حبان في (ثقاته)[3]، والعلامة القرشي في (طبقات الحنفية)، قال ابن حبان عمر بن عبيد الطنافسي الحنفي من أهل الكوفة كنيته أبو حفص، يروي عن أبي إسحاق السبيعي وسماك بن حرب، روى عنه

---

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٢٥٣).

(٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٥٩١).

(٣) الثقات لابن حبان (٧/ ١٨٩).

إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وأهل العراق، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقال القرشي وله أخ اسمه محمد بن عبيد وثقهما الدارقطني، ووثقه الذهبي في (ميزانه)[1] فقال في ذكر عمر بن عبيد الخزاز: أما عمر بن عبيد الله الطنافسي فثقة لا جرح فيه.

قلت: لم يذكر هذا عن عمر بن عبيد واحد من الثلاثة المذكورين لا ابن حبان ولا القرشي ولا الذهبي، ولو كان هذا روي عنه لذكره هؤلاء الثلاثة وما خفي عليهم؛ خصوصًا الأول والثالث، فإنهما محدثان متيقظان ومع ذلك فليسا حنفيين، ولعمري الكذب واضح على هذه الرواية فإن عمر بن عبيد حنفي أفيتصور منه أن يقلد أبا حنيفة ويتبعه مع علمه بعقيدته التي موجبها الترك والهجران، ففي السند انقطاع وجهالة وظلمة.

وأما الرواية الرابعة وهي: ذكر عن أبي يوسف إلخ فمر أن فيه انقطاع تام فهي مردودة، مع أنه روى الثقات عن أبي يوسف ما يناقضه ويخالفه - وقد مر - وبالجملة الروايات كلها قد حوتها الظلمة في سندها ومتنها وأحاطتها الغرابة والنكارة؛ فهي مردودة مجهولة منقطعة ساقطة مظلمة.

وإذا تكلمنا في إسناد الروايات الواقعة في (الإبانة) فنتكلم الآن في الرواية الواقعة في خلق أفعال العباد للبخاري بتقدير أن لا يكون فيها الإبهام، وإلا فعلى ما وجدناها مبهمة فلا يوجه إليه البحث للجهالة الواقعة فيها فنقول أولًا: إن هذه الرواية ليست مسندة عن البخاري بل التعويل فيها على أحمد بن الحسن فإن كان أحمد بن الحسن هذا هو الذي ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)[2] فقال: أحمد بن الحسن بن جندب[3] الترمذي صاحب أحمد بن حنبل يروي عن يزيد بن

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٢١٣).

(٢) الثقات لابن حبان (٨/ ٢٧).

(٣) في الثقات، وتهذيب التهذيب: «جنيدب»

هارون ثنا عنه الحسن بن سفيان ومحمد بن إسحاق بن خزيمة وغيرهم، والحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب)[1] وصفي الدين في (خلاصة التهذيب) وقالا: روى عنه البخاري والترمذي فهو الذي ذكره الحافظ الخوارزمي في رد مطاعن الخطيب ناقلًا عن الخطيب.

فقال: وأما قوله حاكيًا عن أحمد بن الحسن الترمذي أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله ﷺ ما ترى ما فيه الناس من الاختلاف؟ قال: «في أي شيء»؟ قلت: فيما بين أبي حنيفة ومالك والشافعي، فقال: «أما أبو حنيفة فلا أعرفه وأما مالك فكتب العلم وأما الشافعي فمني إلي» والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن في متنه ما يدل على وهنه وكذبه؛ لأنه صح في الحديث أنه يعرض على رسول الله ﷺ أعمال أمته يوم الإثنين والخميس، فكيف لا يعرفه وإنه ﷺ يعرف كل بر وفاجر بعرض أعماله عليه، فكيف لا يعرف أبا حنيفة وأعمال أكثر أمته على مذهبه- إلى آخر ما قال.

فأحمد بن الحسن هذا من الطاعنين في الإمام فلا يعتمد على روايته التي موجبها الجرح في الإمام، ثم لو كان أحمد بن الحسن هذا يروي ذلك بسنده لذكره الخطيب ألبتة، كيف وقد حكي عنه ما يوجب الطعن في الإمام، وإذا ظهر من أحمد بن الحسن رؤياه الموجبة لطعنه فيظهرها بالضرورة لأنهما يشتركان في الطعن، لاسيما إذا اطلع عليها البخاري فلا يتصور قط أن يخفى مثل هذه الرواية على الخطيب، وهذا من أقوى الأدلة على كذب الرواية، وعلى أنه ما ذكرها البخاري في (كتاب خلق الأفعال).

وأيضًا لا يجيء من مثل أحمد بن الحسن المتكلم بما يوجب الطعن في الإمام

---

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٢١)

بعد أن ثبت عنده من رؤياه الطمس في الإمام أن يبهم، وأما سماعه من أبي نعيم فما عرف، ومع كل ذلك فيبعد من البخاري بعد كونه يروي عن أحمد بن الحسن هذا أن لا يروي عنه بصيغة التحديث بل يروي عنه بصيغة تحتمل السماع وغيره، وإن كان غيره فإما أن يكون أحمد بن الحسن بن خراش الخراساني البغدادي ذكره في (التهذيب)[1] و(خلاصة تذهيب التهذيب)، وقال في (خلاصة التذهيب): إنه يروى عن أبي نعيم وطبقته وثقه الخطيب مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين عن ستين سنة إلا عشرين يومًا، وقال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) قلت: وذكره ابن حبان في الثقات.

أقول: ليس أحمد بن الحسن هذا من رجال البخاري في شيء من كتبه بل روى عن مسلم والترمذي كما هو في (تهذيب التهذيب) و(خلاصة التذهيب) فلا اعتبار بروايته إن كان أحمد بن الحسن الواقع في خلق الأفعال هو لا سيما إذا نقل عنه البخاري بصيغة ضعيفة محتملة للسماع وغيره، وهو لفظ: قال، وإما أن يكون غيره، وليس لغيرهما ذكر في الكتب المصنفة في الرجال.

وأما الكلام فيمن وقع بعد أحمد بن الحسن إلى سفيان فقد سبق الكلام فيهم، ولم يقع أحمد بن الحسن في غير هذا الموضع من كتاب خلق الأفعال ثم هذه الروايات كلها معارضة بالروايات الصحيحة التي رواتها ثقات وبلغت التواتر -وقد مر ذكرها- فتكون مردودة لأن هذه الروايات واهيات ساقطات منقطعات فلا تصلح لأن تعارض تلك الروايات المحكمات الصحيحات المتصلات؛ لأن القوي لا تؤثر فيه مخالفة الضعيف قاله الحافظ ابن حجر في (شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر) في بحث المقبول من الخبر إذا عورض؛ فإذا كان الضعيف

---

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٢١).

الذي له أصل لا يؤثر في القوى ولا يعارضه فما ظنك بهذه الروايات التي آثار الوضع عليها لائحة وأمارات الافتراء فيها واضحة، فالحمد لله الذي أبان الحق ودمغ الباطل، فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا.



رسالة

لأبي القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس

في الذب عن أبي الحسن الأشعري

رحمهم الله تعالى



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال أبو القاسم عبدالملك بن عيسى بن درباس:

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وخص نبينا محمدًا وآله منه بالنصيب الأوفى.

أما بعد: فاعلموا معشر الإخوان- وفقنا الله وإياكم للدين القويم، وهدانا أجمعين للصراط المستقيم- بأن كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بِمَنّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها كيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها، وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عنه إلى غيره فإلى ماذا يرجع؟ أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون، وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم؟ هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين، أو هل يقال: إنه جهل الأمر في نقله عن السلف الماضين مع إفنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات، هذا مما لا يتوهمه منصف ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، ويكفيه معرفته نفسه أنه على غير شيء.

وقد ذكر الكتاب واعتمد عليه وأثبته عن الإمام أبي الحسن رحمة الله عليه، وأثنى عليه بما ذكره فيه وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منه إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم.

منهم الإمام الفقيه الحافظ أبو بكر البيهقي صاحب التصانيف المشهورة والفضائل المأثورة اعتمد عليه في كتاب الاعتقاد له، وحكى عنه في مواضع منه ولم يذكر من تأليفه سواه، فقال في باب القول في القرآن[١]: ما أبانا الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر بقراءتي عليه قال: أنا أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي الصاعدي قراءة عليه أنبأ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي قال: وقد حكي عن الشافعي ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا كلام الله، قال: وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل يعني أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه في كتاب (الإبانة)، ثم قال: وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل رحمة الله عليه في كتابه:

فإن قال قائل: حدثونا، أتقولون: إن كلام الله في اللوح المحفوظ؟ قيل له: نقول ذلك لأن الله قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[٢] فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم قال الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[٣]، وهو متلو بالألسنة قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾[٤] فالقرآن مكتوب في الحقيقة محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتنا في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٥]. هذا آخر ما حكاه البيهقي عن كتاب (الإبانة)، وقال

---

(١) الاعتقاد (ص ١٠٨-١٠٩).
(٢) البروج: ٢١-٢٢.
(٣) العنكبوت: ٤٩.
(٤) القيامة: ١٦.
(٥) التوبة: ٦.

البيهقي أيضًا في أول هذا الباب بعد احتجاجه بآيات وغيرها مما هو مذكور في كتاب (الإبانة) فقال: وقد احتج علي بن إسماعيل بهذه الفصول[1].

ومنهم الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت العراقي، فإنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه ما أخبرنا به- أبا الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت قال: رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ(الإبانة عن أصول الديانة) أدلة من جملة ما ذكرته على إثبات الاستواء، وقال في جملة ذلك: ومن دعاء أهل الإسلام جميعًا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون: يا ساكن العرش، ثم قال: ومن حلفهم جميعًا قولهم: لا والذي احتجب بسبع سموات- هذا آخر ما حكاه، وفي (الإبانة) كما ذكره.

ومنهم الإمام الأستاذ الحافظ أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني، فإنه قال: ما أنبأني به الشيخ الجليل أبو محمد القاسم ابن الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الشافعي بيت المقدس- حرسه الله- سنة ست وسبعين وخمسمائة قال: أنبأني أبي قال: سمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشار البوشنجي المعروف بالخربوي الفقيه الزاهد أراه يحكي عن بعض شيوخه أن الإمام أبا عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا بيده كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب به ويقول: ما الذي ينكر على مَنْ هذا الكتاب شرحُ مذهبه.

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر عقب هذه الحكاية: فهذا قول الإمام أبي

---

(١) الاعتقاد (ص ٩٦).

عثمان وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان(١).

ومنهم إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي فإنه قال ما أنبأني به الإمام الحافظ أبو طاهر السلفي عن أبي الحسن المبارك بن عبدالجبار بن أبي علي الصيرفي، وأخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم وفاطمة بنت الحافظ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاريان قالا: أنبأنا الإمام أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ، وذكر الإمام أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه فقال: وله كتاب في السنة سماه كتاب (الإبانة) صنفه ببغداد لما دخلها، قال: وله مسألة في الإيمان أنه غير مخلوق، قلت أنا: وهذه المسألة قد ذكرها الحافظ أبو القاسم بن عساكر أثبتها عنه، وهي عندنا من رواية الإمام الحافظ أبي طاهر السلفي، ولم يقع لي شيء من تآليف أبي الحسن بالرواية المتصلة إليه سواها.

ومنهم الإمام الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي رحمه الله، فإني وجدت كتاب (الإبانة) في كتبه ببيت المقدس -حرسه الله، ورأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولًا منها بخطه.

ومنهم الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، فإنه قال في كتاب (تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري)(٢) رادًا على من زعم أن أبا الحسن لم يكن يدين الله تعالى بما ذكره في كتاب الإبانة فقال: ما أنبأني به ابنه الشيخ الجليل أبو محمد القاسم ابنا أبي رحمه الله قال: وما ذكره- يعني الزاعم ما تقدم في كتاب (الإبانة)- فقول بعيد من قول أهل الديانة كيف يصنف في العلم كتابًا يخلده وقولًا يقول بصحة ما فيه ولا يعتقده بل هم- يعني المحققين من الأشعرية- يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٩).
(٢) تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٨-٣٨٩).

ويعتمدون عليها أشد اعتماد؛ فإنهم بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة لصفات الله معطلة، لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات، وما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح الروايات قال: «ولم يزل كتاب الإبانة مستصوبًا عند أهل الديانة»، ثم حكى ما حكيناه عن الأستاذ أبي عثمان الصابوني.

وقال في موضع آخر من كتابه هذا: فإذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلابد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركًا للخيانة؛ لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة فإنه قال: الحمد لله، ثم استمر الحافظ أبو القاسم رحمه الله في إيراد الكلام على نصه وفصه من أوله إلى باب الكلام في إثبات الرؤية لله ﷻ بالأبصار في الآخرة حرفًا حرفًا كما شرط[1]. ثم قال عقيب ذلك: فتأملوا - رحمكم الله - هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظروا سهولة لفظه فما أفصحه وأحسنه، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[2]، وتبينوا فضل أبي الحسن، واعرفوا إنصافه واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين، ولم تزل الحنابلة في بغداد في قديم الدهر على ممر الأوقات يعتضدون بالأشعرية حتى

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٥٢-١٦٠).
(٢) الزمر: ١٨.

حدث الاختلاف في زمن أبي نصر بن القشيري ووزارة النظام ووقع بينهم الانحراف من بعضهم عن بعض لانحلال النظام[1].

ومنهم الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه فقد أنبأني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك بن علي البغدادي ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب الإبانة قال: نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه مجلي الشافعي أخرجها إلي في مجلد فنقلتها وعارضت بها، وكان رحمه الله يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها، ويقول: لله من صنفه، ويناظر على ذلك لمن ينكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، وقال: هذا مذهبي وإليه أذهب - رحمنا الله وإياه، نقلت ذلك في سنة أربعين وخمسمائة بمكة - حرسها الله، هذا آخر ما نقلته من خط ابن الطباخ رحمه الله.

ومنهم الحافظ أبو محمد بن علي البغدادي نزيل مكة - حرسها الله - فإني شاهدت نسخة بكتاب الإبانة بخطه من أوله إلى آخره، وفي آخره بخطه ما تقدم ذكره آنفًا، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن بن المفضل المقدسي، ونسخت منها نسخة، وقابلتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي ببيت المقدس - حرسه الله.

ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين افتراء إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس فأنكرها وجحدها وقال: ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه، واجتهد آخرًا في إعمال رؤيته ليزيل الشبهة بفطنته، فقال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشويًّا فما دريت من أي أمريه أعجب: أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في التصانيف من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بنسبته إليه واشتهاره قبل توبته بالاعتزال بين

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٦٣).

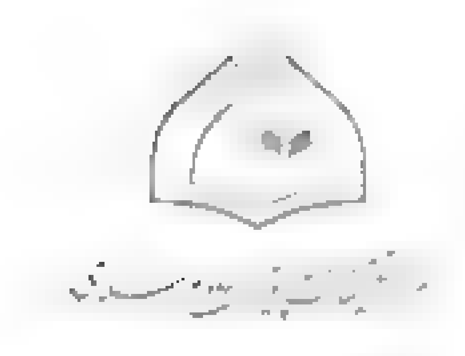
الأمة عالمها وجاهلها، وشبهت أمره في ذلك بحكاية أنبأناها الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الحافظ رحمه الله قال: أنبأ[1]

فإذا كانوا بحال من ينتمون إليه بهذه المثابة فكيف يكونون بحال السلف الماضين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين، وهم لا يلوون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم، هم والله بذلك أجهل وأجهل، كيف لا، وقد قنع أحدهم بكتاب ألفه بعض من ينتمي إلى أبي الحسن بمجرد دعواه وهو في الحقيقة مخالف لمقالة أبي الحسن التي يرجع إليها، واعتمد في تدينه عليها، قد ذهب صاحب التأليف إلى المقالة الأولى، وكان خلاف ذلك أحرى به وأولى لتستمر القاعدة وتصير الكلمة واحدة.

والحمد لله رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) بياض في الأصل بقدر أربعة أسطر.



رسالة

ذم التأويل

للإمام الهمام شيخ الإسلام
العلامة صاحب التصانيف النافعة
موفق الدين أبي عبد الله بن أحمد بن
محمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة ٦٢٠هـ
قدس الله روحه ونور ضريحه آمين



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(وبه المستعان، وعليه التكلان)

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، نافذ القضاء والإرادة، المتفرد بتدبير الإنشاء والإعادة، وتقدير الشقاء والسعادة، خلق فريقًا للاختلاف وفريقًا للعبادة، وقسم المنزلين بين الفريقين: للذين أساءوا السوءى، وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله صلاة يشرف بها معاده.

(أما بعد) فإني أحببت أن أذكر مذهب السلف من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان -رحمة الله عليهم- في أسماء الله تعالى وصفاته، ليسلك سبيلهم من أحب الاقتداء بهم، والكون معهم في الدار الآخرة، إذ كان كل تابع في الدنيا مع متبوعه في الآخرة وسالك حيث سلك موعودًا بما وعد به متبوعه من خير أو شر، دل على هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة ١٠٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور ٢١] وقال حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم ٣٦] وقال في ضد ذلك ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء ١١٥] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة ٥١] وقال ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود ٩٧، ٩٨] فجعلهم أتباعًا له في الآخرة إلى النار حين اتبعوه في الدنيا.

وجاء في الخبر: أن الله يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو غير ذلك ثم يقول: «أليس عدلًا مني أن أولي كل إنسان ما كان يتولاه في الدنيا؟» ثم يقول: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد في الدنيا» فيتبعونهم حتى يوردونهم[1]، فكذلك كل من اتبع إمامًا في الدنيا في سنة أو بدعة أو

(١) بأن يسقطوهم في الجحيم، أخرجه بنحوه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٣٢) رقم (٨١) من حديث أبي موسى الأشعري. قال في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٣): وفيه فرات بن السائب وهو ضعيف.

خير أو شر كان معه في الآخرة؛ فمن أحب الكون مع السلف في الآخرة، وأن يكون موعودًا بما وعدوا به من الجنات والرضوان فليتبعهم بإحسان، ومن اتبع غير سبيلهم دخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥] الآية.

وجعلت هذا الكتاب على ثلاثة أبواب

(الباب الأول) في بيان مذهبهم وسبيلهم

(والثاني) في الحث على اتباعهم ولزوم أثرهم.

(والثالث) صواب ما صاروا إليه، وأن الحق فيما كانوا عليه، ونسأل الله تعالى أن يهدينا وسائر المسلمين إلى صراطه المستقيم، ويجعلنا وإياهم من ورثة جنة النعيم برحمته آمين.

* * *

الباب الأول

في بيان مذهب السلف وسبيلهم

في بيان مذهبهم في صفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين، بل أمَرُّوها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها. وقال بعضهم- ويروى ذلك عن الشافعي رحمة الله عليه: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدقوه ولم يعلموا حقيقة معناها[1] فسكتوا عما لم يعلموه، وأخذ ذلك الآخرُ عن الأول ووصى بعضهم بعضًا بحسن الاتباع والوقوف حيث وقف أولهم، وحذروا من التجاوز لهم والعدول عن طرقهم، وبينوا لهم سبيلهم ومذهبهم ونرجو أن يجعلنا الله تعالى ممن اقتدى بهم في بيان ما بينوه، وسلوك الطريق الذي سلكوه.

والدليل أن مذهبهم ما ذكرناه أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها قابل لها غير مرتاب فيها ولا شاك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ولا تأولوه ولا شبهوه بصفات المخلوقين؛ إذ لو فعلوا شيئًا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية إذ لا يجوز التواطؤ[2] على كتمان ما يحتاج إلى نقله ومعرفته، لجريان ذلك في القبح مجرى التواطؤ على نقل الكذب وفعل ما لا يحل بأبلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا؛

إنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه تارة بالقول العنيف وتارة بالضرب وتارة بالإعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته؛ ولذلك لما بلغ عمر ﷺ أن صبيغًا يسأل عن المتشابه أعد له عراجين النخل، فبينما عمر يخطب

---

(١) المراد بحقيقة معناه كنهه وكيفيته في الخارج لا أصل المعنى اللغوي بدليل قولهم "الاستواء معلوم والكيف مجهول" وفي رواية "الاستواء غير مجهول، وتراها في الصفحة التالية عن مالك، وتجد فيما بعدها أن مذهبهم إجراؤها على ظاهرها أي ظاهر معناها اللغوي ونفي التشبيه والكيفية عنها.

(٢) التواطؤ معناه التوافق

قام فسأله عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ١، ٢][1] وما بعدها، فنزل عمر فقال: ما اسمك؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر، اكشف رأسك فكشفه فرأى عليه شعرًا فقال: لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف، ثم أمر به فضرب ضربًا شديدًا وبعث به إلى البصرة وأمرهم أن لا يجالسوه، فكان به كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسًا إلا قالوا: عزمة أمير المؤمنين، فتفرقوا عنه، حتى تاب وحلف بالله ما بقي مما كان يجد في نفسه شيء، فأذن عمر في مجالسته، فلما خرجت الخوارج أتى فقيل له: هذا وقتك، فقال: لا، نفعتني موعظة العبد الصالح.

ولما سئل مالك بن أنس ﵁ فقيل له: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك وعلاه الرحضاء -يعني العرق- وانتظر القوم ما يجيء منه فيه، فرفع رأسه إليه وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء، وأمر به فأخرج.

وقد نقل عن جماعة منهم الأمر بالكف عن الكلام في هذا وإمرار أخبار الصفات كما جاءت، ونقل جماعة من الأئمة أن مذهبهم مثل ما حكينا عنهم أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور، حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن الحسن الطريثيثي إذنًا قال أخبرنا ابن القاسم هبة الله بن الحسن الطبري قال حدثنا أحمد بن محمد بن حفص، حدثنا أحمد بن محمد بن المسلمة حدثنا سهل بن عثمان بن سهل قال سمعت إبراهيم بن المهتدي يقول: سمعت داود بن طلحة يقول: سمعت عبد الله بن أبي حنيفة الدوسي يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول: اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفات الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما

---

(١) الذاريات ذروًا هي الرياح، والحاملات وقرًا هي السحب التي تحمل ثقلًا من الماء. قال الحافظ ابن كثير: وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتًا وعنادًا.

في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء»، وقال محمد بن الحسن في الأحاديث التي جاءت «إن الله يهبط إلى سماء الدنيا»[1] ونحو هذا من الأحاديث: إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها.

أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي إذنًا، أنا أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبدالرزاق الزعفراني، أنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال: أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح: مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم[2]، ولا نقول: إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات الفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

أخبرنا محمد بن حمزة بن أبي الصقر قال أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قيس الغساني أنا أبي قال قال أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٤٩)، وأخرجه البخاري (كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (٧٤٩٤) بلفظ: «ينزل»، وفي (كتاب: الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل) (٦٣٢١) بلفظ: «ينزل».

(٢) أي العلم بكل شيء لأن العلم صفة أخرى وهو ليس كعلم المخلوق. ولا العلم بجميع الموجودات كما قال بعض المتكلمين لأن هذا تحكم لا دليل عليه من اللغة ولا من الشرع، وإنما يتعلق السمع بالمسموعات والبصر بالمبصرات، فهو تعالى يسمع دعاءنا وتحاورنا وتناجينا ويرى نجوانا وما يعرض لها وغير ذلك كما قال تعالى في المجادلة للنبي ﷺ في زوجها: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

الصابوني قال: إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقله العدول الثقات، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفونها تكييف المشبهة ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، ومَنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قوله عز من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وذكر الصابوني الفقهاء السبعة[1] ومَنْ بعدهم من الأئمة وسمى خلقًا كثيرًا من الأئمة وقال: كلهم متفقون لم يخالف بعضهم بعضًا، ولم يثبت عن واحد منهم ما يضاد ما ذكرناه.

أخبرنا الشريف أبو العباس مسعود بن عبدالواحد بن مطر الهاشمي قال أنبأ الحافظ أبو العلاء صاعد بن يسار الهروي أنبأ أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني أنبأ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أنبأ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وقبول ما نطق به كتاب الله تعالى وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ لا معدل عما ورد به ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونًا لهم الهدى فيهما، مشهودًا لهم بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم.

ويعتقدون أن الله تعالى مدعو بأسمائه الحسنى وموصوف بصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ، خلق آدم بيده، و﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] بلا اعتقاد كيف، وأنه عز وجل: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بلا كيف؛ فإن الله تعالى أنهى[2] إلى أنه ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ولم

---

(١) هم عبيد الله بن عبد الله وابن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وسعيد ابن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد. اهـ.

(٢) يقال أنهى إليه الخبر إذا أعلمه به، وأنهاه أوصله حتى انتهى إليه. ولعله قد سقط من هنا المجرور بإلى وأن أصله أنهى إلى نبيه أو إلى عباده أنه استوى على العرش.

يذكر كيف كان استواؤه.

وقال يحيى بن عمار في رسالته: نحن وأئمتنا من أصحاب الحديث -وذكر الأئمة وعد كثيرًا منهم ومن قبلهم من الصحابة ومن بعدهم- لا يستحل أحد منا ممن تقدم أو تأخر أن يتكلف أو يقصد إلى قول من عنده في الصفات أو في تفسير كتاب الله عز وجل أو معاني حديث رسول الله ﷺ أو زيادة على ما في النص أو نقصان، ولا نغلوا ولا نشبه ولا نزيد على ما في الكتاب والسنة.

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة: إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى نقلها الخلف عن السلف قرنًا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله تعالى في تنزيله ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف.

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد أنبا أبو بكر الطريثيثي إجازة أنبا أبو القاسم هبة الله أنبا محمد بن أحمد بن عبيد أنبا محمد بن الحسن أنبا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي ثنا بقية ثنا الأوزاعي قال: كان الأوزاعي ومكحول يقولان: أمِرُّوا هذه الأحاديث كما جاءت.

قال أبو القاسم حدثنا محمد بن رزق الله، ثنا عثمان بن أحمد، ثنا عيسى بن موسى، قال: سمعت أبي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل، وعن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة فقال: حديث عبد الله «إن الله يجعل السماء على إصبع»(١) وحديث «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»(٢) و«إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق»(٣) وإنه عز وجل «ينزل إلى السماء الدنيا كل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٤٨١١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥٠٦) عن أبي صالح الحنفي.

ليلة»[1] ونحو هذه الأحاديث فقال: هذه الأحاديث نرويها كما جاءت بلا كيف.

وقال أبو بكر الخلال أخبرني أحمد بن محمد بن واصل المقري ثنا الهيثم بن خارجة ثنا الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت، قال يحيى بن عمار: وهؤلاء أئمة الأمصار: فمالك إمام أهل الحجاز، والثوري إمام أهل العراق، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر والمغرب.

وقال أبو عبيد: ما أدركنا أحدًا يفسر هذه الأحاديث ونحن لا نفسرها، وذكر عباس الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدي سأل وكيع بن الجراح فقال: يا أبا سفيان هذه الأحاديث - يعني مثل «الكرسي موضع القدمين» فقال: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئًا قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت قال رجل من فقهاء المدينة: إن الله تبارك وتعالى علم علمًا علمه العباد، وعلم علمًا لم يعلمه العباد فمن يطلب العلم الذي لم يعلمه العباد لم يزدد منه إلا بعدًا، والقدر منه[2].

وقال سعيد بن جبير: ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين، قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء منهم سلم له ولم يناظر فيه كما لم يناظروا فيه.

وقال أبو بكر الخلال أخبرنا المروزي قال: سألت أبا عبدالله عن أخبار الصفات فقال: نمرها كما جاءت. قال: وأخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال: سألت أبا عبدالله[3] عن الأحاديث التي تروي «إن الله تبارك تعالى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: الدعاء في الصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وفي كتاب التوحيد باب: قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ (٧٤٩٤)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة (٧٥٨).

(٢) أي أن القدر من علم الغيب الذي لم يعلمه الله تعالى لعباده فهم لا يعلمون ما قدره تعالى إلا بعد وقوعه.

(٣) يعني والده الإمام أحمد.

ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا»[١] و«إن الله يضع قدمه»[٢] وما أشبهه فقال أبو عبدالله: نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى ولا نرد منها شيئًا، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح ولا نرد على رسول الله ﷺ قوله، ولا يوصف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله بلا حد ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت.

وذكر شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري قال أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن محمد بن الخلال حدثنا محمد بن العباس المخلص أنبأنا أبو بكر بن داود، حدثنا الربيع بن سليمان قال: سألت الشافعي ﷺ عن صفات من صفات الله تعالى فقال: حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه[٣] أو على لسان نبيه ﷺ.

وقال يونس بن عبدالأعلى سمعت عبدالله محمد بن إدريس الشافعي يقول: وقد سئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال: لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ لا يسع أحدًا من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية ولا بالفكر.

وقال ابن وضاح: كل من لقيت من أهل السنة يصدق بها لحديث النزول،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (٤٨٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦).

(٣) أي في كتابه بدليل العطف بعده، ولعلها سقطت من الناسخ.

وقال ابن معين: صدق به ولا تصفه، وقال: اقرءوه ولا تحدوه، وروي عن الحسن البصري أنه قال: لقد تكلم مطرف على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: الحمد لله الذي من الإيمان به الجهل بغير ما وصف به نفسه، وقال سحنون: من العلم بالله السكوت عن غير ما وصف به نفسه.

أخبرنا أبو الحسن سعد الله بن نصر بن الدجاجي الفقيه قال أنبأ الإمام الزاهد أبو منصور محمد بن أحمد الخياط أنبأ طاهر عبدالغفار بن محمد بن جعفر أنبأ أبو علي بن الصواف أنبأ بشر بن موسى أنبأ أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي قال: أصول السنة؛ فذكر أشياء ثم قال: وما نطق به القرآن والحديث مثل: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] ومثل: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي.

أخبرنا يحيى بن محمود إجازة قال أنبأ جدي الحافظ أبو القاسم قال: ما جاء في الصفات في كتاب الله أو روي بالأسانيد الصحيحة فمذهب السلف رحمهم الله إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها، لأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات، وعلى هذا مضى السلف كلهم، وقد سبق ذكرنا لقول مالك حين سئل عن كيفية الاستواء.

وروى قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة أنها قالت في قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان والجحود له كفر، وقال ربيعة بن أبي عبدالرحمن: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ، وعلينا التصديق، وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى واللفظ، ومن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة فاقتديا بها وقالا مثل قولها لصحته وحسنه، وكونه قول إحدى أزواج النبي ﷺ ومن المحتمل أن يكون الله

تعالى وفقهما للصواب وألهمها من القول السديد مثل ما ألهمها.

وقولهم: «الاستواء غير مجهول» أي غير مجهول الوجود، لأن الله تعالى أخبر به، وخبره صدق يقينًا لا يجوز الشك فيه، ولا الارتياب فيه، فكان غير مجهول لحصول العلم به. وقد روي في بعض الألفاظ: الاستواء معلوم، وقولهم: «الكيف غير معقول» لأنه لم يرد به توقيف، ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف، والجحود له كفر لأنه رد لخبر الله، وكفر بكلام الله، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر، فكيف بمن كفر بسبع آيات ورد خبر الله تعالى في سبعة مواضع من كتابه، والإيمان به واجب لذلك، والسؤال عنه بدعة لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا مَنْ بعده من أصحابه؛ فقد ثبت ما ادعيناه في مذهب السلف رحمهم الله بما نقلناه عنهم جملة وتفصيلًا.

واعترف العلماء من أهل النقل كلهم بذلك ولم أعلم عن أحد منهم خلافًا في هذه المسألة، بل قد بلغني عمن يذهب إلى التأويل لهذه الأخبار والآيات الاعتراف بأن مذهب السلف فيها ما قلناه. ورأيت لبعض شيوخهم في كتابه قال: اختلف أصحابنا في أخبار الصفات فمنهم من أمرها كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل مع نفي التشبيه عنها وهو مذهب السلف؛ فحصل الإجماع على صحة ما ذكرناه، والحمد لله.

• • •



الباب الثاني

في بيان وجوب اتباعهم والحث على لزوم منهجهم وسلوك سبيلهم، وبيان ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة

أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فتوعد على اتباع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد متبعهم بالرضوان والجنة فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية فوعد المتبعين لهم بإحسان بما وعدهم به من رضوانه وجنته والفوز العظيم ومن السنة قول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ[1] وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[2] فأمر بالتمسك بسنة خلفائه كما أمر بالتمسك بسنته، وأخبر أن المحدثات بدع وضلالة وهو ما لم يتبع فيه سنة رسول الله ﷺ ولا سنة أصحابه، وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك إن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ويزيدون عليها ملة -وفي رواية وأمتي ثلاثًا وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: يا رسول الله مَن الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[3] وفي رواية: «الذي أنا عليه وأصحابي»[4] فأخبر النبي ﷺ أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما كان عليه هو وأصحابه، فمتبعهم إذًا يكون من الفرقة الناجية لأنه على ما هم عليه، ومخالفهم من الاثنتين والسبعين التي في النار، ولأن من لم يتبع السلف رحمة الله

(١) النواجذ: الأنياب، وقيل: الأضراس.

(٢) أخرجه بلفظه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٤٦٠٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) من حديث العرباض بن سارية.

(٣) أخرجه بلفظه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١)، وقال: هذا حديث مفسر غريب، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨) (٤٤٤) من حديث عبدالله بن عمرو.

(٤) لم أعثر على هذه الرواية، ولكن ذكرها اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٠٠).

عليهم وقال في الصفات الواردة في الكتاب والسنة قولًا من تلقاء نفسه لم يسبقه إليه السلف فقد أحدث في الدين وابتدع، وقد قال النبي ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[(١)] وروى جابر قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «أما بعد فأحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[(٣)] يعني مردود.

وروى عبدالله بن عكيم قال: كان عمر -يعني ابن الخطاب ﷺ- يقول: إن أصدق القيل قيل الله، ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة، وعن الأسود بن هلال قال: قال عبد الله- يعني ابن مسعود ﷺ: إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ وإن أحسن الكلام كلام الله، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم، وكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار، وقال عبد الله: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة، وقال: إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر، وقال رحمة الله عليه: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله، وإنكم ستجدون قومًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم، فإياكم والبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق، وقال: أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم، فأيما مرية أو رجيل[(٤)] أدركه ذلك الزمان فالسمت الأول السمت الأول فإنا اليوم على السنة.

وقال ابن مسعود: من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والنسائي في كتاب: صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة (١٥٧٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧) عن جابر بن عبدالله.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) تصغير امرأة ورجل والمراد أن لزوم السمت الأول واجب على كل أحد.

واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، وذكر الحسن أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ فتشبهوا بأخلاقهم وطرقهم فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم، وقال إبراهيم: لم يدخر لكم شيء خبئ عن القوم لفضل عندكم، وقال حذيفة: يا معشر القراء خذوا طريق من قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا، وروى نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة رحمه الله: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة[1]، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

أخبرنا علي بن عساكر المقري حدثنا الأمين أبو طالب اليوسفي أنبأ أبو إسحاق البرمكي أنبأ أبو بكر بن نجيب أنبأ أبو عمر بن محمد الجوهري أنبأ الأثرم أنبأ عبدالله بن صالح عن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة أنه قال: عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة فإن السنة إنما جعلت عصمة ليستن بها ويقتصر عليها، فإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق؛ فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبفضل -لو كان فيها- أحرى، وإنهم لهم السابقون، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدث حدث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يشفي، فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي أنبأ أحمد بن أحمد الحداد أنبأ الحافظ أبو نعيم بإسناده عن عمر بن عبدالعزيز بنحو من هذا الكلام، وقال الأوزاعي رحمه الله: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول. وقال أبو إسحاق: سألت الأوزاعي فقال: اصبر نفسك على السنة،

---

(١) أي هي مقالات الفلاسفة فأعرض عنها، عليك إلخ

وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم، ولو كان هذا -يعني ما حدث من البدع- خيرًا ما خصصتم به دون أسلافكم فإنه لم يدخر عنهم خير خبئ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وبعثه فيهم ووصفهم به فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

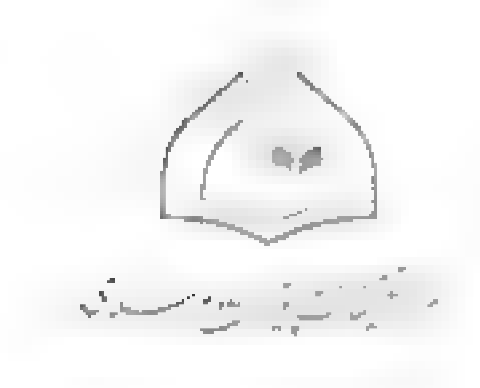
وقال الإمام: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وقال علي بن المديني مثل ذلك، وقد ثبت وجوب اتباع السلف رحمة الله عليهم بالكتاب والسنة والإجماع، والعبرة دلت عليه فإن السلف لا يخلو من أن يكونوا مصيبين أو مخطئين، فإن كانوا مصيبين وجب اتباعهم لأن اتباع الصواب واجب وركوب الخطأ في الاعتقاد حرام، ولأنهم إذا كانوا مصيبين كانوا على الصراط المستقيم، ومخالفهم متبع لسبيل الشيطان الهادي إلى صراط الجحيم وقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وصراطه ونهى عن اتباع ما سواه فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإن زعم زاعم أنهم مخطئون كان قادحًا في الإسلام كله لأنه إن جاز أن يخطئوا في هذا جاز خطؤهم في غيره من الإسلام كله، وينبغي أن لا تنقل الأخبار التي نقلوها، ولا تثبت معجزات النبي ﷺ التي رووها فتبطل الرسالة وتزول الشريعة، ولا يجوز لمسلم أن يقول هذا ولا يعتقده، ولأن السلف رحمة الله عليهم لا يخلو إما أن يكونوا علموا تأويل هذه الصفات أو لم يعلموا، فإن لم يعلموه فكيف علمناه نحن؟ وإن علموه فوسعهم أن يسكتوا عنه وجب أن يسعنا ما وسعهم، ولأن النبي ﷺ من جملة سلفنا الذين سكتوا عن تفسير الآيات والأخبار التي في الصفات، وهو حجة الله على خلق الله أجمعين، يجب عليهم اتباعه ويحرم عليهم خلافه، وقد شهد الله تعالى بأنه على الصراط المستقيم وأنه يهدي إليه، وأن من اتبعه أحبه الله ومن عصاه فقد عصى الله ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

* * *





الباب الثالث

في بيان أن الصواب
ما ذهب إليه السلف رحمة الله عليهم
بالأدلة الجلية، والحجج المرضية،
وبيان ذلك من الكتاب والسنة والإجماع والمعنى

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فذم مبتغي تأويل المتشابه وقرنه بمبتغي الفتنة في الذم، ثم أخبر أنه لا يعلم تأويله غير الله تعالى، فإن الوقف الصحيح عند أكثر أهل العلم على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ولا يصح قول من زعم أن الراسخين يعلمون تأويله لوجوه:

(أحدها) أن الله ذم مبتغي التأويل، ولو كان معلومًا للراسخين لكان مبتغيه ممدوحًا غير مذموم.

(الثاني) أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فهم الذين عنى الله فاحذروهم»[1] يعني كل من اتبع المتشابه فهو من الذين في قلوبهم زيغ، فلو علمه الراسخون لكانوا باتباعه مذمومين زائغين. والآية تدل على مدحهم، والفرق بينهم وبين الذين في قلوبهم زيغ، وهذا تناقض.

(الثالث) أن الآية تدل على أن الناس قسمان لأنه قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ و«أما» لتفصيل الجمل، فهي دالة على تفصيل فصلين، أحدهما: الزائغون المتبعون للمتشابه، والثاني: الراسخون في العلم، ويجب أن يكون كل قسم مخالفًا للآخر فيما وصف به، فيلزم حينئذ أن يكون الراسخون مخالفين للزائغين في ترك اتباع المتشابه مفوضين إلى الله تعالى بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] تاركين لابتغاء تأويله، وعلى قولنا يستقيم هذا المعنى، ومن عطف الراسخين في العلم أخل بهذا المعنى، ولم يجعل الراسخين قسمًا آخر ولا مخالفين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٦٦٥).

للقسم المذموم فيما وصفوا به فلا يصح.

(الرابع) أنه لو أراد العطف لقال: ويقولون بالواو؛ لأن التقدير: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون.

(الخامس) أن قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كلام يشعر بالتفويض والتسليم لما لم يعلموه، لعلمهم بأنه من عند ربهم كما أن المحكم المعلوم معناه من عنده.

(السادس) أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا رأوا من يتبع المتشابه ويسأل عنه استدلوا على أنه من أهل الزيغ، ولذلك عد عمر صبيغًا من الزائغين حتى استحل ضربه وحبسه، وأمر الناس بمجانبته، ثم أقر صبيغ بعد بصدق عمر في فراسته فتاب وأقلع وانتفع، وعصم بذلك من الخروج مع الخوارج، ولو كان معلومًا للراسخين لم يجز ذلك.

(السابع) أنه لو كان معلومًا للراسخين لوجب أن لا يعلمه غيرهم، لأن الله تعالى نفى علمه عن غيرهم، فلا يجوز حينئذ أن يتأول إلا من ثبت أنه من الراسخين، ويحرم التأويل على العامة كلهم والمتعلمين الذين لم ينتهوا إلى درجة الرسوخ، والخصم في هذا يجوز التأويل لكل أحد، فقد خالف النص على كل تقدير فثبت بما ذكرنا من الوجوه أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى، وأن متبعه من أهل الزيغ وأنه محرم على كل أحد، ويلزم من هذا أنه يكون ما قيل فيه أنه المجمل أو الذي يغمض علمه على غير العلماء المحققين أو الحروف المقطعة لأن بعض ذلك معلوم لبعض العلماء وبعضه قد تكلم ابن عباس وغيره في تأويله فلم يجز أن يحمل عليه، والله أعلم.

(وأما السنة) فمن وجهين أحدهما قول النبي ﷺ: «شر الأمور محدثاتها»[1] وهذا من المحدثات فإنه لم يكن في عصر النبي ﷺ ولا عصر أصحابه، وكذلك قوله: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[2] وقوله: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ وإن أصاب»[3] وهذا قول في القرآن بالرأي، وقوله في الفرقة الناجية:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٢٩٥٢)، وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/٢٠٨) (٥١٠١).

«ما أنا عليه وأصحابي»(١) مع إخباره أن ما عداها في النار، وقوله عليه السلام: «كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد»(٢) وهذا ليس عليه أمره.

(الثاني) أن النبي ﷺ تلا هذه الآيات وأخبر بالأخبار وبلغها أصحابه وأمرهم بتبليغها ولم يفسرها ولا أخبر بتأويلها، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بالإجماع، فلو كان لها تأويل لزمه بيانه ولم يجز له تأخيره، ولأنه عليه السلام لما سكت عن ذلك لزمنا اتباعه في ذلك لأمر الله إيانا باتباعه، وأخبرنا بأن لنا فيه أسوة فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولأنه عليه السلام على صراط الله المستقيم؛ فسالك سبيله سالك صراط الله المستقيم لا محالة، فيجب علينا اتباعه والوقوف حيث وقف، والسكوت عما عنه سكت، لنسلك سبيله فإنه سبيل الله الذي أمرنا الله باتباعه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ونهى عن اتباع ما سواه فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

(وأما الإجماع) فإن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرنا عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم ينقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة، والإجماع حجة قاطعة، فإن الله تعالى لا يجمع أمة محمد عليه السلام على ضلالة، ومن بعدهم من الأئمة قد صرحوا بالنهي عن التفسير والتأويل، وأمروا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت وقد نقلنا إجماعهم عليه فيجب اتباعه ويحرم خلافه، ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلو إما أن يكون علمه النبي ﷺ وخلفاؤه وعلماء أصحابه، أو لم يعلموه، وإن لم يعلموه فكيف يجوز أن يعلمه غيرهم، وهل يجوز أن يكون قد خبأ عنهم علمًا وخبأ للمتكلمين(٣) لفضل عندهم؟ وإن كانوا قد علموه ووسعهم السكوت عنه وسعنا ما وسعهم، ولا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم، ولأن هذا التأويل لا يخلو من أن يكون داخلاً في عقد الدين بحيث لا يكمل إلا به أو ليس بداخل، فمن ادعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلا به فيقال له: هل كان الله تعالى صادقًا في قوله ﴿ٱلْيَوْمَ

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) لعل الأصل وخبأه للمتكلمين.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] قبل هذا التأويل؟ أو أنت الصادق في أنه كان ناقصًا حتى أكملته أنت؟ ولأنه إن كان داخلاً في عقد الدين ولم يقله النبي ﷺ ولا أصحابه وجب أن يكونوا قد أخلوا ودينهم ناقص، ودين هذا المتأول كامل، ولا يقول هذا مسلم، ولأنه إن كان داخلاً في عقد الدين ولم يبلغه النبي ﷺ أمته فقد خانهم وكتم عنهم دينهم، ولم يقبل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، وقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] ويكون النبي ﷺ ومن شهد له بالبلاغ غير صادق، وهذا كفر بالله تعالى وبرسوله.

(ومن المعنى) أن صفات الله تعالى وأسماءه لا تدرك بالعقل، لأن العقل إنما يعلم صفة ما رآه أو رأى نظيره، والله لا تدركه الأبصار، ولا نظير له ولا شبيه، فلا تعلم صفاته وأسماؤه إلا بالتوقيف، والتوقيف إنما ورد بأسماء الصفات دون كيفيتها وتفسيرها؛ فيجب الاقتصار على ما ورد به السمع لعدم العلم بما سواه، وتحريم القول على الله تعالى بغير علم بدليل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ومن وجه آخر أن اللفظة إذا احتملت معاني فحملها على أحدها من غير تعيين احتمل أن يحمل على غير مراد الله تعالى منها، فيصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ويسلب عنه صفة وصف الله بها قدسه ورضيها لنفسه؛ فيجمع بين الخطأ من هذين الوجهين وبين كونه قال على الله ما لم يعلم وتكلف ما لا حاجة إليه ورغب عن طريق رسول الله ﷺ وصحابته وسلفه الصالح وركوبه طريق جهم وأصحابه من الزنادقة الضلال، ولأن التأويل ليس بواجب بالإجماع، لأنه لو كان واجبًا لكان النبي ﷺ وأصحابه قد أخلوا بالواجب وأجمعوا على الباطل، ولأنه لا خلاف في أن من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره ليس بآثم ولا تارك لواجب، وإذا لم يجب على قارئ القرآن فعلى من لم يقرءه أولى، ولأنه لو وجب على الجميع لكان فيه تكليف ما لا يطاق، وإيجاب على العامة أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، وإن وجب على البعض فما ضابط ذلك البعض؟ ولأن هذا مما لا يحتاج إلى معرفته، لأنه لا عمل تحته ولا يدعو إلى الكلام فيه حاجة ضرورية أو غير ضرورية،

وإذا لم يجب لم يجز أن يكون جائزًا لوجوه:

(أحدها) أنه إذا كان جائزًا كان السكوت عنه جائزًا فيكون الساكت سالمًا بتعيين الإجماع على جوازه، والمتأول مخاطرًا خطرًا عظيمًا من غير حاجة إليه وهذا غير جائز، ولأن الساكت عن التأويل لم يقل على الله إلا الحق، والمتأول يحتمل أنه قال على الله غير الحق، ووصفه بما لم يصف به نفسه وسلب صفته التي وصف بها نفسه وهذا محرم فيتعين السكوت ويتعين تحريم التأويل.

ومن وجه آخر وهو أن اللفظ إذا احتمل معاني فحمله على علم منها من غير واحد بتعيينه تخرص وقول على الله تعالى بغير علم، وقد حرم الله تعالى ذلك فقال: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ولأن تعيين أحد المحتملات إذا لم يكن توقيف يحتاج إلى حصر المحتملات كلها ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة جميع ما يستعمل اللفظ فيه حقيقة أو مجازًا ثم تبطل جميعها لا واحدًا، وهذا يحتاج إلى الإحاطة باللغات كلها، ومعرفة لسان العرب كله ولا سبيل إليه، فكيف بمن لا علم له باللغة؟ ولعله لا يعرف عملًا سوى عملين أو ثلاثة بطريق التقليد ثم معرفة نفي المحتملات متوقف على ورود التوقيف به، فإن صفات الله تعالى لا تثبت ولا تنفى إلا بالتوقيف، وإذا تعذر هذا بطل تعيين محمل منها على وجه الصحة ووجب الإيمان بها بالمعنى الذي أراده المتكلم بها كما روي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ﷺ أنه قال: آمنت بما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، وهذه طريقة مستقيمة، ومقالة صحيحة سليمة، ليس على صاحبها خطر، ولا يلحقه عيب ولا ضرر، لأن الموجود منه هو الإيمان بلفظ الكتاب والسنة، وهذا أمر واجب على خلق الله أجمعين، فإن جحد كلمة من كتاب الله تعالى متفقًا عليها كفر بإجماع المسلمين، وسكوته عن تأويل لم يعلم صحته والسكوت عن ذلك واجب أيضًا بدليل الكتاب والسنة والإجماع، ثم لو لم يكن واجبًا لكان جائزًا بغير خلاف، ثم فيه الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ واتباع الراسخين في العلم والسلف الصالح من

الصحابة والتابعين والأئمة المرضيين، والسلامة من أن يقول على الله ما لم يعلم، أو يقول في كتاب الله وصية ربه تعالى برأيه، وأن يصف الله تعالى بما لا يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله، وأن يسلب عنه صفة رضيها لنفسه ورضيها له رسوله؛ فبان - بحمد الله - وجوب سلوك هذه الطريق المحمودة واجتناب ما سواها، وتحقق أنه صراط الله المستقيم الذي أمرنا الله تعالى باتباعه، وما عداها فهي سبيل الشيطان التي نهانا الله سبحانه عن اتباعها ثم أكد ذلك بوصيته به بعد أمره ونهيه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣]

فإن قيل: فقد تأولتم آيات وأخبارًا فقلتم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] أي بالعلم، ونحو هذا من الآيات والأخبار فيلزمكم ما لزمنا قلنا: نحن لم نتأول شيئًا، وحمل هذه اللفظات على هذه المعاني ليس بتأويل لأن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره وهذه المعاني هي الظاهر من هذه الألفاظ بدليل أنه المتبادر إلى الأفهام منها، وظاهر اللفظ هو ما يسبق إلى الفهم منه حقيقة كان أو مجازًا، ولذلك كان ظاهر الأسماء العرفية المجاز دون الحقيقة كاسم الراوية والظعينة وغيرهما من الأسماء العرفية فإن ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة وصرفها إلى الحقيقة يكون تأويلاً يحتاج إلى دليل، وكذلك الألفاظ التي لها عرف شرعي وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج إنما ظاهرها العرف الشرعي دون الحقيقة اللغوية.

وإذا تقرر هذا فالمتبادر إلى الفهم من قولهم: الله معك أي بالحفظ والكلاءة، ولذلك قال الله تعالى فيما أخبر عن نبيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠] وقال لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه ٤٦] ولو أراد أنه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده في حق غيرهم كوجوده فيهم ولم يكن ذلك موجبًا لنفي الحزن عن أبي بكر ولا علة له، فعلم أن ظاهر هذه الألفاظ هو ما حملت عليه فلم يكن تأويلاً، ثم لو كان تأويلاً فما نحن

تأولناه وإنما السلف رحمة الله عليهم الذين ثبت صوابهم ووجب اتباعهم هم الذين تأولوه، فإن ابن عباس والضحاك ومالكًا وسفيان وكثيرًا من العلماء قالوا في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي علمه ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله ﷺ وإجماع السلف أن الله تعالى في السماء على عرشه، وجاءت هذه اللفظة مع قرائن محفوفة بها دالة على إرادة العلم منها وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧] ثم قال في آخرها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبدأها بالعلم وختمها به، ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله تعالى بحالهم، وأنه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه، وهذه قرائن كلها دالة على إرادة العلم فقد اتفق فيها هذه القرائن ودلالة الأخبار على معناها ومقالة السلف وتأويلهم، فكيف يلحق بها ما يخالف الكتاب والأخبار ومقالات السلف؟! فهذا لا يخفى على عاقل إن شاء الله تعالى، وإن خفي فقد كشفناه وبيناه بحمد الله تعالى، ومع هذا لو سكت إنسان عن تفسيرها وتأويلها لم يحرج ولم يلزمه شيء فإنه لا يلزم أحدًا الكلام في التأويل إن شاء الله تعالى.

• • •

فصل

ينبغي أن يعلم أن الأخبار الصحيحة: الثابتة بنقل العدول الثقات التي قبلها السلف ونقلوها ولم ينكروها ولا تكلموا فيها، وأما الأحاديث الموضوعة: التي وضعتها الزنادقة ليلبسوا بها على أهل الإسلام، والأحاديث الضعيفة إما لضعف رواتها أو جهالتهم أو لعلة فيها فلا يجوز أن يقال بها ولا اعتقاد ما فيها بل وجودها كعدمها، وما وضعته الزنادقة فهو كقولهم الذي أضافوه إلى أنفسهم، فمن كان من أهل المعرفة بذلك وجب عليه اتباع الصحيح واطراح ما سواه، ومن كان عاميًا ففرضه تقليد العلماء وسؤالهم لقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وإن أشكل عليه علم ذلك ولم يجد من يسأله فليقف وليقل: آمنت بما قاله رسول الله ﷺ ولا يثبت به شيئًا فإن كان هذا مما قاله رسول الله ﷺ فقد آمن به، وإن لم يكن منه فما آمن به، ونظير هذا قول النبي ﷺ: «ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم»[١] فمنعهم من التصديق خشية أن يكون كذبًا، ومن التكذيب خشية أن يكون حقًا، وأمرهم بالعدول إلى قول يدخل الإيمان بالحق وحده، وهذا كذلك وليست هذه الأحاديث مما يحتاج إليها لعمل فيها ولا لحكم يتلقى منها يحتاج إلى معرفته، ويكفي الإنسان الإيمان بما عرف منها.

وليعلم أن من أثبت لله تعالى صفة بشيء من هذه الأحاديث الموضوعة فهو أشد حالًا ممن تأول الأخبار الصحيحة، ودين الله تعالى هو بين الغالي فيه والمقصر عنه، وطريقة السلف رحمة الله عليهم جامعة لكل خير، وفقنا الله وإياكم لاتباعها وسلوكها.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب (٣٦٤٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٦).

الفهارس

الصفحة

الصفحة

الصفحة